

محمد جلال

أسوأ احتمال ممكن لحسين الشوربجي

رواية



www.darak-egy.com 

01027251915 - 01098952125 

51 ب شارع النهضة من شارع رمسيس - القاهرة 

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



أسوأ احتمال ممكن لحسين الشوربجي

اسم المؤلف: محمد جلال

تصميم الغلاف: عبد الرحمن محمد خلف

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2025/ 3636

الترقيم الدولي: 978-977-9672-34-2

الطبعة الأولى: 2025

إهداء إلى

الواقع والخيال والخط الفاصل بينهما

أقف على عتبات الجنون أو ربما تجاوزتها..
عقلي لا يستوعب ولا أصدق ما سمعته..
ولا دليل على ما حدث إلا أنني قد عشته بالفعل..
ما الذي حدث؟
دعني أخبرك حكايتي من بدايتها..

أنفاس ثقيلة تعبر إلى صدري بصعوبة، وأنا أراجع في رأسي القرار الذي اتخذته.. أغمض عيني للحظة محاولاً إيقاف أي فكرة تراجعني في قراري.. ثم أفتح عيني وأختار..

⌘	NEW GAME	⌘
⌘	LOAD GAME	⌘
⌘	SETTINGS	⌘
⌘	EXIT	⌘

(1)

أوائل الألفينيات

كانت الألوان باهتة والحياة أبطأ.. لذا كان لون مبنى مدرسة الأمل الابتدائية باهتًا.. وحركة صفوف الطلاب بطيئة وهم يتوجهون للفصول بعدما أدوا تحية العلم.. على صوت مارشات عسكرية يؤديها أفضل فريق موسيقي في العالم..

أنت تعرف ما يحدث هنا.. الكثير من الأنوف التي يسيل مخاطها.. ورائحة ساندوتشات الجبنة والبيض المسلوق تزكم باقي الأنوف.. والتي لا تختلف رائحتها عن رائحة ملاطفة بين أستاذ شريف مدرس الألعاب لميس سحر أستاذة الرسم، لو كان للملاطفة رائحة..

على ألحان صوت خرطوم الأستاذ رامي مدرس العربي الذي يشقُّ الهواء قبل أن يسقط على ظهورنا لكي نتعجل في الحركة.. ولكن الحقيقة لكي يعالج غروره الذي كسره ضعفه الجنسي..

في هذا الفصل المزدان بمجموعة من اللوحات المدرسية الرديئة تعم حالة من الفوضى غير الخلاقة.. طلبة يضربون بعض.. شخص اكتشف موهبته في العزف على الدكة.. شخص ظريف يصطنع أنه المدرس.. خرفان الحظيرة قبل أن يحضر الراعي..

أما أنا..

فأنا (حسين الشوربجي) الذي أجلس في الدكة أخيرة وحدي.. أراقبهم.. أعلم تمامًا أنني لا أشبههم ولا هم يشبهونني.. لا أشاركهم اهتمامتهم ولا أحب لعبهم.. كنت أعلم أن هذا ليس عالمي..

حاولت لعب البلي وقيادة الدراجات وعنكب والكورة والبوكيمون..
وفجأة.. وجدته..

ATLANTES VEDIO GAME تلك الياطرة المضاعة بلمة
بنفسجية ويتوسطها خطأ إملائي كانت تناديني لأدخل محل ألعاب
الفيديو البعيد الذي يشبهني في وحدتي.. وكانت هذه المرة الأولى
التي أرى فيها أجهزة الفيديو جيم.. بإضاءتها بأزرار التحكم المدمجة
فيها والعوالم المبهرة التي تظهر على شاشتها..

في هذا اليوم جربت هذه الألعاب لأول مرة.. وفي هذا اليوم علمت
أنني أخيرًا قد وجدت عالمي..

تعلمت من هذه الألعاب درسًا مهمًا.. أن الحياة تشبه الألعاب كثيرًا..
ولكي تفوز يجب أن تكون أقوى..

يجب أن تحصد كل الأسلحة وتقاتل كل من يقف أمامك.. مهما كان
حتى نهاية اللعبة..

(2)

اليوم

ولكن ما تعلمته من الحياة.. أنه ليس سهلاً أبداً أن تكون قوياً..
ليس سهلاً أن تحقق أحلامك وأن تصل لكل ما كنت تظن أنه يمكنك
الوصول له..

لم أكن أظن أنني سأدخل كلية لا أحبها.. لم أكن أظن أنني سأعمل
بوظيفة لا يملكني الشغف تجاهها.. لم أكن أتوقع وعشرينياتي
تنتهي من بين يدي أنني سأكون في هذا المكان.. أجلس خلف شاشة
كمبيوتر في مقر شركة كول سنتر لإحدى شركات الاتصال.. أرتدي
القميص الأبيض الموحد.. آخذ نفساً من بخاخة توسيع الشعب
الهوائية قبل أن أكمل محاولاتي في إقناع الحاج بيومي بأنه
استنزف باقته في مشاهدة الفيديوهات وأنا شركة شريفة لا تسرق
الميجات الخاصة بعملائها..

ولكن الحاج بيومي يصر على أن يصعد الأمور:

- طب إني المدير بتاعك..

قبل أن أرد كان مدير الفلور (رأفت) يقف أمامي بابتسامته التي
تحتوي على ثلث سماجة العالم يسألني:

- في مشكلة يا حسين!

لن أبلغه بأي مشاكل.. رددت الابتسامة بابتسامة تنافسها في
مؤشرات السماجة العالمية حتى يتركني ويرحل.. هناك اثنان من

الموظفين ينظران تجاهي ويضحكان لا أعلم لماذا؟!!

فهمت.. كل هذا الضحك بسبب بقعة كاتشب على قميصي سقطت من ساندوتش البطاطس الذي فطرت به.. أشعر كأنني لم أخرج من فصل الابتدائي بعد..

“الحياة أصعب بكثير.. الحياة ليست واضحة مثل الألعاب”

بعد نهاية يوم العمل أقف أمام الأسانسير لكي أنزل، ولكن موظفتين من المكان تتعديانني بكل سهولة، وتحتلان المكان الفارغ الوحيد وينزلوا في سلام.. لا بأس أنا أصلاً أحب أن أكون في الأسانسير وحدي..

“الحياة بها الكثير من المعاني المختلطة.. الصداقة، المصلحة..

الحب، الاستغلال.. العائلة، الضغط.. العمل، العبودية”

أستند برأسي على زجاج الميني باص، أنظر للناس وهم في مارثون في الحياة المتكرر.. كل يوم في نفس الوقت تتكرر الأسئلة داخل رأسي..

“كيف يستطيع البشر العيش وسط حياة مختلطة ومزدوجة بهذا

الشكل؟؟

هل يشعر الجميع بأن هناك شيئاً ناقصاً في روحهم لا يكتمل؟

هل تراودهم جميعاً نفس الأسئلة؟؟

أم أنني فقط الأضعف من اللازم؟!!

أعيش داخل رأسي أكثر مما أعيش في واقعي.. فلا أدرك متى

نزلت من الميني باص ومتى اشتريت الطلبات التي أدخل بها إلى الشقة الآن.. كل يوم في نفس الوقت يكون دخولي مصاحبًا لصوت شيء يتم قلبه في المطبخ، ورائحة تسمعك زقزقة عصافير البطن.. بيتنا ليس له رائحة مميزة مثل باقي المنازل.. أم أنني فقط اعتدتها؟

أذهب لوالدتي في المطبخ.. عندما تلتفت لي أعلم أنني أمام أكثر شخص يملك حناًا وطيبة في هذا العالم.. ولدي قناعة أنه لو كل نساء الأرض أخطأن فمستحيل أن تخطئ تلك السيدة التي تركت الباذنجان الأسود يُقلَى في النار، وهي في نفس الوقت تغسل طبق بسرعة قبل أن يحترق الباذنجان..

وأعلم تمام اليقين أنها تهتم لأمرى أكثر من أمرها.. وتحملت كل شيء وحدها بعد وفاة والدي إكلينيكيًا..

هو لم يتوفَّ حقيقة ولكنه قرّر الوفاة من حياتنا.. طلق والدتي في سن صغيرة وابتعد ولم يرد أن يكون موجود مرة أخرى..

ستلومني والدتي بالتأكيد على بقعة الكاتشب التي على ثيابي وتأخذ القميص تضعه في الغسالة.. وعلى المشروبات الغازية أنها ساخنة وستضعها بالفریزر بسرعة.. وتدفعني سريعًا نحو الحمام لأستحم قبل أن يأتي الضيوف.. فاليوم هناك عزومة عائلية ومن أبرز الحضور ندى وزوجها..

مَن ندى؟

سأخبرك، ولكن دعني أخبرك أولًا أنني أكره التجمعات العائلية.. فهي بالنسبة لي حفلة تنكرية وضعت فيها الأقنعة أمام القلوب..

فالكل يدّعي أنه يحب الآخر وينتمي له بشكل ما رغم أنهم لا يطبقون بعض، وتكفي مشكلة بسيطة لتشعل الحرب النووية في الصالة بينهم..

كما أن هناك فقرة ثابتة تسقط فيها دائرة ضوء المسرح على كل واحد من الحضور الكريم.. لكي يحكي لنا إنجازاته التي وصل لها، ويجب علينا أن نصفق ونصفر ونضرب الأرض بأقدامنا انبهاً بهذا الإنجاز السحيق.. حتى لو كان هذا الإنجاز مجرد أن أحد حيواناته المنوية استطاع بأعجوبة أن يلحق بويضة زوجته..

ثم تأتي فقرة (الأفتر بارتني) وهي المشاجرة التي يجب أن تحدث في المنزل بعد رحيل الضيوف.. هذا إن رحلوا في هدوء وليس إلى المستشفى بعد أن قرّر طفل من العائلة أن طرف المنضدة مكان مناسب لكي يطرقه برأسه..

مَن ندى؟

ندى هي الوحيدة القادرة على أن تصبرني على الجلوس إلى تلك المنضدة.. ندى ابنة خالتي، تلك الفتاة المحجبة الجميلة التي تجلس على الناحية الأخرى.. وهي مَن علمت قلبي في سنواته الأولى أن هناك كلمة عظيمة من حرفين (ح، ب).. لا زالت تحتفظ بابتسامة طفولتها ولا زلت أحتفظ بالجيم بوي الذي أهدته لي في عيد ميلادي.. لا زال قلبي يخفق بشكل مختلف عندما أراها..

ندى من علمتني أن أصعب كلمة على لساني هي (أحبك).. لم أخبرها أبدًا ودفنت الكلمة في أعماق قلبي حتى تحولت لحفوية بحرية تعبت أن الإنسان أصله (كلوت)..

“تعلمت أن الحياة لا تعطيك الأشياء لمجرد أنك تتمناها”

يشق صوت خفاجة زوج ندى تلابيب أفكاري، وهو صوت بطعم ورائحة السجائر الـL&M.. له القدرة أن يوجه كل العيون حول المنضدة إلي:

- مش هنفرح بيك يا أبو نسب.. على فكرة الجواز كل ما بيتأخر بيبقى وحش..

يقولها خفاجة وهو يسلك بظفره نسيلة دجاج بين أسنانه.. والدتي بالطبع تنتهز الفرصة:

- قوله والنبي يا خفاجة.. عقله...

وبالطبع كل من يريد أن يقوم بدور الناصح لن يترك الفرصة فالحفلة مستمرة.. انتظرت أن ينهوا أدوارهم ورددت عليه بهدوء..

- أكيد دي نصيحة مهمة خصوصًا من واحد اتجوز بعد الأربعين..

في الحقيقة ارتبكت عندما شعرت أنه تضايق من ردي.. ولكني كنت أذكر فقط الوقائع..

ولكن بما إنك لا زلت تسمع حكايتي فدعني أخبرك بما لا يُذكر؛ أنني أعتبر خفاجة من أبرز من قدموا دور الشر في حياتي.. إذا اعتبرنا أن أبرز اسم تفضيل مصدره البراز.. فأنا أكرهه منذ أن كان مراهقًا سميًا يقف أمام محل والده يستعرض خفة دمه بدفعة من اليد، أو عركلة بالقدم، كان يشبه الرأس مالية وهي تقهر الشعوب النامية.. ولكني لم أكن أعرف وقتها ما هي الرأس مالية، ولا أنني من الشعوب النامية..

“لا نطيق بعضنا البعض، ونأكل على منضدة واحدة..

كم أصبح المجتمع غريبًا؟!”

صوت صدمة تتبعها صرخة طفل.. الكل يجري وكنت متوقعا ما
حدث ولكني سمعت كلمات غير مطمئنة..

- خدت الشر وراحت..

- يامن، إنت كويس.. الحمد لله..

لقد أسقط يامن عليه لعنة الله شاشة الكمبيوتر ليحيلها إلى التقاعد
المبكر.. ويجعلني أتمنى لو كانت رأسه.. وفي وسط كل هذا تدخل
(عادل) ابن خالي لكي ينقذني ويأخذني لنذهب للقهوة..

ولكن كان هناك سؤال يدور في بالي: مَنْ هو يامن أصلاً؟ وَمَنْ
الكلب الذي أنجبه للحياة؟

(3)

المرتبطون يخرجون مع المرتبطين.. وغير المرتبطين يخرجون مع غير المرتبطين.. أما المتوحدون لا يخرجون أبدًا.. ولكني خرجت مع عادل وهي من النوادر..

أنت تعرف رائحة المعسل وأصوات ضرب قطع الدومينو.. وترتيلة (شاي على بوسطة) وأخواتها التي يتعبد بها صبي القهوة في محراب وجلالة القهوة الشعبية..

ينزل لعادل قهوته وشيشته دون أن يطلب، فواضح أنه زبون دائم هنا، كما أنه ينادي صبي القهوة بـ(ياض) هو ينادي الجميع بـ"ياض".. ولو سألتني هل تحب عادل أم لا؟ سأخبرك أنني لا أعلم..

ما أعرفه أنني كنت أفرح بلحظات لعبنا معًا.. وكنا مقربين بشكل ما.. ولكن مع الوقت تغيرت الأشياء التي نحبها.. وفتحت الحياة سحاب بنطالها وكنا نحن على الطرفين فابتعدنا دون أن ندرك..

يعمل عادل كمحام وتزوج وأنجب طفلين.. وعرفت أنه هو نفسه الكلب الذي أنجب يامن.. يعرف عادل القهوة على أنه مكتبه الثاني فهنا ينجز مقابلات تخص العمل..

يسرد عادل عددًا من حكايات موكله تحتوي على 1998 كلمة "ياض".. ومن تفصيلا غير مهمة لتفصيلا أقل أهمية.. كان يجب علي أن أبقى أهز رأسي مثل لعبة الكلب التي تكون في سيارات الأجرة.. يجب أن أبدو مهتمًا وإلا سأصير شخصًا غير اجتماعي..

“هل المفترض أن نرفض الأمور التي يجبرنا عليها المجتمع..

أم نستسلم ونطاوعها؟!”

يتضح أن عادل ينتظر شخصًا ونزولنا القهوة له أسباب أخرى غير أن ينتشلي من الحفلة التنكرية التي كنت فيها.. كان ينظر للبواب لحظة دخول الشخص الذي ينتظره..

وكان لحظة صمت دبت في المكان وموجة باردة تتحرك لتغلف القهوة.. لم يكن بشريًا بل هو أقرب للمدرعة.. عضلات مغلفة بالسمنة البلدي تكاد تمزق الجاكيت الجلدي الذي يرتديه.. ونظرة عين ذئبية تنظر في المكان دون أن تتحرك رأسه.. ولا أعلم لماذا تحركت أمعائي مع اقترابه ناحيتنا.. يسلم على عادل الذي يعرفه علي.. فيسلم دون أن يتحرك وجهه بأي مشاعر..

كان وجهة أقرب لجريدة الحوادث.. فلا يوجد مساحة إلا وتحتوي على مشاجرة أو سرقة بالإكراه أو حيازة سلاح أبيض.. كما أنه كل فترة يفرك أنفه دهنية التكوين لتصبح يده مليئة بالدهون المشعبة.. كل ما أرجوه الآن ألا يسلم علي..

يطلب عادل من صبي القهوة أن يزود معسلة أخرى، وهو يكلم جبر:

- هنعمل إيه مع الراجل بتاع برج الياسمين؟

لا يرد جبر ويكتفي بإلقاء نظرة تجاهي.. نظرة كفيفة بأن تجعل أمعائي تقفز من فمي، فيوضح عادل وهو يضغط على الفحم باللي:

- يا جبر ماقلتك ابن خالي.. زي أخويا..

هذا الشخص الوحيد الذي لم ينادِه عادل بـ "ياض" لأسباب واضحة لا تخفي على أحد.. يستريح جبر في جلسته ويقول:

- البواب لقيتله دخلة.. هيكسر ماسورة ويروح يجيب سباك يظبطها.. وهو بيتحرك هيديني رنة هنطلع نلم العفش وننزل..

يبدو على عادل الإعجاب.. فيكمل جبر وهو يرفع يده مفتوحة:

- بس هياخد كف شريف..

يتغير وجه عادل، ويبدو عليه الرفض الشديد:

- خمس بواكي كثير.. هما اتنين.. إحنا مش بنسرق الشقة إحنا بنرجع لواحدة متطلقة عفشها.. يعني بنعمل خير.. قوله حالة إنسانية..

لا أعلم هل كان الدخان أم أن الكلام كان كفيلاً لكي يخنق أنفاسي.. أخرج بخاخة الربو أضعها في فمي لتعطيني فرصة أخرى للحياة.. وأقف أمام القهوة ألتقط أنفاسي وأفكر..

"الحق.. حالة إنسانية.. فَعَلَ غير قانوني.. مسجل خطر..

كنت أظن هذه الأمور أوضح من أن تختلط ببعضها البعض..

ولكن الواضح أن هذا العالم أصبح أكثر جنوناً.."

أعود إلى غرفتي ألقى الهدوم على الكرسي، وأدلف إلى سريري.. أنظر لانعكاس أضواء سيارات الشارع على سقف الغرفة.. أحياناً كثيرة أتخيل حياة كل شخص من صوت ما يركبه.. سائق النقل الشقيان.. والشاب الذي أتت له أمه بالسيارة.. والفنان صاحب

الموتوسيكل الذي يحمل على عنقه مسؤولية نشر موسيقى
المهرجان للعالم أجمع..

”يوم مجنون آخر في نفس العالم.. نفس الناس.. نفس الأفكار
كل هذا يجعلني أتمنى أمنية واحد قبل النوم.. ألا أستيقظ“
ولكن صوت منبه الموبايل في الصباح يجعلني أعرف أنها مجرد
أمنية.. مثل باقي الأمنيات التي لا تتحقق..

خلال يوم العمل جاء مدير الفلور يخبرني بطريقة مقتضبة
أن مدير الفرع يريدني، ولذا تجدني أقف أمامه وهو يراجع تلك
الأوراق.. لو بإمكانني أن أضع أستاذ حازم في فئة من حياتي فهو من
الطيبين.. يشبه جدك الحنون.. يفرك شاربه ثم يخبرني:

- ال Rating بتاعك بيقل بشكل مش منطقي يا حسين؟ والغملا
بتشتكي إنك ما بتحلش مشاكلهم..

فعلها الحاج بيومي! كم أتمنى أن أمسكه الآن وأحشي جسده
بجيجات الإنترنت.. بينما يكمل أستاذ حازم:

- وإحنا وظيفتنا إننا نحس العميل إن طلبه مهم وبنشتغل عليه..
ولو مفيش حل لازم ترضيه ويقفل وهو مقتنع..

ثم يميل بجسده للأمام وهو يتأملني:

- هو إنت عندك مشاكل في حياتك ماثرة عليك؟

الحقيقة أن لدي حياة في مشاكلي.. فأنا لم أعد قادرًا على مسامرة

ركب الحياة.. أشعر أنني فقدت الشغف والمعنى.. أتحرك في الحياة
كأنني أسبح في بحر من الفالزين.. مجهود بدون حركة..

يصر (هادي) زميلي في الفلور أن آتي لأجلس مع باقي الزملاء..
ولكنني لست مستعدًا لأن أسمع كلامًا متكررًا عمن يرافق من.. ومن
يخون من.. ومن مؤخرتها أفضل.. كنت مشغولًا بربط ميداليتي ذات
دلالية البومة فدائرتها الحديدية أصبحت واسعة أعض عليها بأسنان..
يلكزني هادي وهو يشير بطرف عينه لجانب ويقول:

- ماتشوف يا حس البت فايضة دي.. بت محترمة وحلوة، ولسه
محدث قافشها..

أترك الميدالية جانبًا وأنظر تجاه تلك الفايضة.. كانت تلف حجابها
بطريقة جعلت رأسها تشبه الكائنات الفضائية، ورؤوس وجهها
السوداء أكبر من رؤوس الأموال في شركة مايكروسوفت، وأنفها
تصلح شقة غرفتين عائلات فقط.. هل الجمال نسبي إلى هذا الحد
أم أن (هادي) يخدعني؟

يقطع حديثنا صوت مدير الفلور :

- مساء الخير يا شباب.. في مؤتمر عاملاه شركة سوشيال لمدة
يومين.. هحتاج اتنين كل واحد يروح يوم ويعمل تقرير.. حد فيكو
حابب يروح ولا أرشح أنا؟

لماذا رفعت يدي؟ ربما كنت أحاول أن أحسن صورتي أمام مديري..
أو ربما كنت أبحث عن أي شيء جديد يحدث؟ أو ربما قدرنا يجذبنا
له دون أن ندري!

وفي مقر شركة سوشيال الضخم.. الذي ستؤلمك فقرات رقبتك وأنت تنظر لنهايته.. وقفت أنظر للمكان الذي بدا كأنه قادم من المستقبل.. فهذه الشركة العالمية تقيم هذا المعرض في أكثر من دولة في العالم لتعرض التقنيات الجديدة التي وصلت لها..

وفي قاعة المؤتمرات المظلمة كنت أستمع لمحاضرة المهندس مراد وهو مدير الفرع الإقليمي للشركة، وخلفه صور معروضة بتقنية الهولوجرام توضح شرحه:

- هو إيه اللي بيفرق الحلم عن الواقع؟ إيه أصلاً اللي بيخلينا نتأكد إن الحلم مش هو الواقع أو العكس؟ إحنا أصلاً ساعات جوه أحلامنا بنحاول نعرف هو إحنا بنحلم ولا لا وبنبقى متأكدين إنه الواقع.. ليه ده بيحصل؟ لأن كل حاجة بتحصل هنا..

يشير مراد إلى رأسه وهو يكمل:

- جوه دماغنا.. دماغنا سهل يتضحك عليها.. وهي دي الفكرة اللي بيشتغل عليها الـ Virtual Reality

الواقع الافتراضي.. والواقع الافتراضي مش مصطلح جديد وفي تطبيقات عليه ظهرت من 1928 منها محاكي الطيران لتدريب الطيارين.. الواقع الافتراضي والميتافيرس هما المستقبل ولأننا في شركة سوشيال

طول الوقت بنحاول نواكب المستقبل.. بنعرضلكوا النهارده أول خطوة لينا في العالم ده..

يعرض الهولوجرام أحرف إنجليزية ضخمة خلف مراد الذي يقول

بطريقة استعراضية:

- لعبة WCS.. وده worst case scenario.. أو أسوأ احتمال ممكن..

كلماته كما أثارت قلقي أثارت فضولي.. بينما يكمل مراد:

- وهنسمحلكوا تجربوا النسخة الـ DEMO منها.. اللعبة هتربط الواقع بالخيال..

يغير مراد أدائه إلى أداء استعراضي:

- الواقع والخيال بينهم خيط رفيع.. بيتقطع كل ما ناخذ خطوة ناحية المستقبل..

أظن من الواضح أن القاعة بالكامل صفقت له بعد جملته.. أما أنا فلم أكن أفكر إلا في شيء واحد وأنت تعلم ما هو.. اللعبة.. إنه عالمي المفضل، ولكن ما الجديد فعلاً في هذه اللعبة؟

كان صفا ممن يرغبون في تجربة اللعبة يدخلون لتلك الغرفة واحداً تلو الآخر.. وكل من يخرج يبدو منبهزاً.. كلها أمور تجعلني أكثر تشوقاً.. هناك موظف يجعلك توقع ورقة توضح أن تجربة اللعبة تتم لمرة واحدة وأنها تمت بناءً على طلبي.. ويبلغني عدة نصائح عامة وأن مدة التجربة خمس دقائق.. ويوجهني إلى هذا الكرسي الأبيض النائم الذي يشبه كرسي طبيب الأسنان..

أجلس.. ويعطيني قفازين أسودين يتصلان بالجهاز عبر عدٍ من الأسلاك.. ثم يجذب تلك النظارة البيضاء الضخمة التي يرسم حدودها ضوء أزرق لا يتوقف.. تدلى من أعلى الكرسي.. ويسألني

سؤالاً أخيراً:

- جاهز؟

أومئ برأسي نعم.. ليضع النظارة أمام عيني والتي لها طرف حديدي يلمس رقبتني من الخلف.. وأرى أمامي فضاء سحيق أتحرك فيه بسرعة شديدة وهناك أرقام في عد تنازلي أمام عيني..

3..2..1

وللحظة اختفى الصوت والضوء والحياة..

(4)

فتحت عيني.. صوت صفارة خفيفة في أذني.. لا أذكر شيئًا، لا أذكر
مَن أنا.. أتأمل يدي.. أنا في حمام مهدم كأنه من بقايا حرب.. وضوء
الشمس يتسلسل من تلك الفتحة يرتطم بالمرآة فيؤذي عيني ويزيد
حالة التشوش التي أمز بها..

مَن أنا؟!

لا أعلم.. ولكن يتضح من المرآة أنني أملك جسدًا رياضيًا وأرتدي
جاكيت جلدًا يجعلني أبدو ك... لا أعرف كيف أبدو.. أخرج من سوبر
ماركت محطة الوقود التي يتضح أنها هجرت من سنوات.. وتركت
وحيدة هنا لا تعلم مثلي أين تذهب.. وهناك نبات قرر أن يترععرع
على حوائطها..

أبحث في جيوبي عن أي شيء لا أجد إلا مفتاح سيارة.. أبحث
بعيني هناك سيارة كاديلاك قديمة أظن أن هذا المفتاح لها..

لا أعلم كيف وجدت نفسي أقودها وأتحرك بها على الطريق..
وأشعر بنسمات الهواء على وجهي ولكن الطريق ينتهي وهناك بوابة
مغلقة تتوسط سورًا مرتفعًا تقترب مني.. أخفض سرعة السيارة
وهناك حارس يطل من غرفته يتأملني ويسأل بعملية:

- تصريح الدخول؟

أوضحت له أنني لا أملك تصريح.. فطلب مني الرحيل عن المكان..
فرددت:

- بس أنا مش عارف أروح فين..

فكان رده أن تحسس مسدسه، رسالة قصيرة واضحة جعلتني أتركه وأرحل.. ابتعدت بالسيارة وتحركت مجددًا على الطريق.. ولكن ما يحدث كان غير عقلاني بأي شكل.. إنني أرى نفس السور والبوابة يقتربان مني مجددًا! أتوقف بالسيارة و...

- التجربة انتهت.. ياريت حضرتك تملأ الفورم..

كان صوت موظف شركة سوشيال الذي تزامن مع نزعه للنضارة عن عيني.. لينهي حالة الحلم الجميل التي كنت فيها..

لم أركز مع باقي تفاصيل اليوم.. لم تشغلني كل التفاصيل.. كانت رأسي صحراء خالية بها فكرة وحيدة صوتها عالي.. ما الذي جربته اليوم؟

كانت تجربة مختلفة عن كل شيء جربته أو سمعت به.. لقد كنت هناك.. في أرض غريبة شعرت بها.. شعرت بالهواء! لم أكن أعرف أنني في لعبة وأنا في الداخل.. كيف؟!

الصحراء داخل رأسي تتساقط عليها أمطار من كلمة كيف؟ فتنبت الأرض أشجارًا من الـ(كيف؟).. مهما حكيت فالأمر لا يقارن بالتجربة.. أما رأسي فبدأت تنبت فيها فكرة جريئة.. باختصار..

أنا أريد تجربة هذا الجهاز مرة أخرى..

دعني أختصر عليك ما فعلته في اليوم التالي.. تحدثت لزميلي

(تامر) الذي حصل على الدعوة الأخرى، ورَّحِب للغاية بأن يعطيني دعوته ليستغل الوقت ليذهب مع خطيبته لشراء السجاجيد أو الملاءات أيًا يكن.. ولكنه لا يعلم كيف سأذهب بدلًا منه والدعوة عليها صورته..

ولذا أجلس وقت (البريك) وحدي دون أن يلاحظ أحد لأقوم بعملية جراحية للدعوة لأستبدل صورتني مكان صورة تامر.. بهذا المشروط أقوم بشق الدعوة... و...

هادي اللعين يأتي ليربت على كتفي وهو يقول:

- عندي ليك خبر بمليون جنيه..

ارتبكت وأخفيت بسرعة الدعوة أسفل لوحة المفاتيح، وأعلم أنه لاحظ أن هناك شيئًا وسألني بعينه عما يدور، ولكنني تجاهلت سؤاله.. وسألته عن هذا الخبر المليون ليخبرني:

- سألتك البت أمل على فايزة.. طلعت هي كمان معجبة بيك..

هذا يعني أنني في الأساس معجب بها، وأكد (هادي) أنني لو اقتربت منها سنكون قريبًا في قاعة الماسة نسمع أغنية ظلي بالأبيض.. كررت أنني غير مهتم بالأمر وأوضحت له:

- أنا آخر حاجة عايزها في الدنيا إنني أتجوز أو أربط حد بيا..

يفحصني هادي بنظراته ثم يقول:

- آه.. هو إنت عندك مشاكل يا حس.. على فكرة الحاجات دي بقى

ليها علاج..

“الأمر الوحيد الذي أتمنى أن أجد له علاجًا.. أنني لا أستطيع أن أخرج شخصًا..

أتمنى لو كنت أملك هذه القوة وقتها لأخبرت الكثير أنهم لا يجب أن يظهروا

لنا خفة ظلمهم.. فهي نعمة لم يعطها الله للجميع”.

فليذهب هادي وأمل وفايزة وتامر وما شابه إلى الجحيم.. أنا لا أفكر إلا في أمر واحد وأنت تعلم ما هو..

قمت بإبدال الصور وتوجهت لمقر شركة سوشيال.. مرت الأمور بسلام رغم أن الموظف تشكك في إن كنت جربت الجهاز من قبل.. وقّعت الأوراق.. عدة نصائح.. خمس دقائق.. القفزات النظارات.. إلى آخره.. حتى يسألني الموظف:

- جاهز؟

النظارة.. الفضاء السحيق.. العد التنازلي..

3..2..1

واختفى الصوت والضوء والحياة مجددًا..

استيقظت في هذا العالم وكأنني أفيق من إغماءة.. ألتقط أنفاسي.. لا أذكر من أنا ولكنني أعلم أنني كنت هنا كنت أسير على الطريق، وفجأة ظهرت أمامي تلك البوابة مجددًا.. فتوقفت بالسيارة.. ثم ماذا؟ لا أذكر..

- إنت مين؟

تقدمت خطوة..

- معرفش.. بس أنا حاسس إنني أعرفك..

لم أكن أكذب.. كان الشعور طاغيا أنني أعرفها ولكن من أين..
وفجأة رأيت ثلاثة حراس يمتطون أحصنتهم وأسلحتهم، يتقدم
صاحب الشارب الكث الذي يبدو أنه قائدهم.. يلتفت تجاه الفتاة ثم
ينظر لي:

- إنت مين؟!

نفس السؤال الذي لا أعرف له إجابة.. أبتلع ريقى وأنا أفكر في
الهرب ويبدو أنه لمح الفكرة من عيني.. فيرفع (الشوت جن) الخاص
به يشد أجزاءه، ويكرر سؤاله:

- إنت مين؟!

العرق يملئ جبهتي.. لا فرصة للهرب..

و...

- التجربة انتهت.. ياريت حضرتك تما لا الفورم..

كان صوت الموظف مع نزع النظارة.. ولم أركز في باقي اليوم
كالعادة.. أستند برأسي على زجاج الميني باص.. أنزل في الزمالك
وأثناء سيرى في شوارعها دعني أخبرك بأمرٍ مهم أنني أعرف تلك
الفتاة الجميلة التي رأيته داخل العالم الافتراضي.. أعرفها جيدًا..
إنها ندى.. أنا واثق ومتأكد من ذلك.. ودعني أزيدك من الشعر بيثًا

ومن الطين بلة.. قائد الحراس كان خفاجة.. كيف؟ صدقني أشجار
الكيف ملأت رأسي وتنزح على ظهري وتكاد تبتلعني.. ولكني
وصلت..

أقف أمام (جاليري العسال)، وهو الذي تملكه صديقتي (هند)..
منذ أن تدخل الجاليري تستقبلك رائحة بخور مميزة تحافظ عليها
هند بالإضافة إلى عشيرة من قطط الشارع التي أنقذتها هند
وأعطتها حياة أفضل.. تنهي هند محاسبة هذا الزبون وأول ما تراني
تحتضني.. أنا وهند قصة تعارفنا يجب أن تحكى ولكن ليس وقتها..
دعني أركز على ما يحصل الآن..

جلسنا وصنعت لي قهوتها المحوجة على السبرتاية.. وهند غجرية
الهوى.. شعرها المجعد تتركه حرًا طليقًا لا تقيد إلا جذوره بغطاء
صغير.. جسدها ممتلئ ويدها مصبوغة بحنة حمراء، وإنشاد الشيخ
التهامي يسري في المكان الذي تتحرك فيه حافية القدمين وسط
مشغولتها اليدوية التي تبيعها..

لامتني كثيرًا على اختفائي الفترة الأخيرة.. ولكنه لوم بدون
عتاب.. فهند هي الشخص الوحيد الذي لو تركته سنوات نعود ونتكلم
كأننا كنا أمس.. وهي تعلم أنني قدمت لها لأنني أريد أن أحكي..
وتركتني لأحكي:

- إنتي أكثر حد في الدنيا عارف إنني مبقاش عندي شغف بأي
حاجة.. لا حب ولا شغل ولا حياة.

أتجنب نظرتها التي أفهمها وأكمل:

- عارف إنك قولتيلي قبل كده إنني صغير.. ومجربتش أصلاً عشان أقول الكلام ده.. بس ده اللي بحسه.. لغاية ما جربت حاجة خلت دماغي تحس إحساس مختلف وجديد.. حسيت إنني فعلاً عايز أكمل عشان أفهم وأعرف بس مش في أيدي أعمل ده تاني..

- وله.. إنت مشيت في سكة المخدرات!!

قالتها هند وهي تسحب نفسًا من سيجارتها الرقيقة.. فأوضحت لها أمر اللعبة وأنها لازالت في قيد التجربة ولكنني أريدها والآن.. فقالت هند بعد أن سحبت نفسًا آخر:

- خلاص كلم الشركة.. ابعثلهم.. شوف ممكن يساعدوك إزاي.. المهم إنك ماتسيبش حاجة إنت عايزها.. عشان ده بيخليك ترجع تندم.. والندم بيخليك تكتب أكثر ما إنت مكتئب..

امتدت جلستنا بعدها وتعشنا سوياً من عربية كبدة وخلال ذلك أرسلت لعادل ابن خالي المحامي رسالة "عادل.. أنا عايز رقم جبر" لم يرد سريعاً بعد أن ظهرت علامتي الصح التي تؤكد أنه شاهدها.

ثم أرسل الرقم ومعه رسالة: "الرقم أهو.. ابقى كلمني فهمني".

ولذا بعد أن ودعت هند أقف عند ناصية الشارع أتأمل ذلك الكلب الذي يبول على الحائط ليخبر كلاب الأرض أن هذه منطقته.. قبل أن يدخل جبر ويخفي ضوء عمود الكهرباء الأصفر، ويصبح الضوء يرسم حدود جسده كأنه كسوف الشمس.. أخبرته أنني أريده في عملية سرقة ولكن عليه ألا يخبر عادل بأي شيء.. فسألني:

- عفش وأجهزة برضو؟!

- لا.. هو جهاز واحد..

نعم كان هذا ردي.. ونعم هذا أنا.. ونعم كنت أفكر فيما تفكر فيه
الآن..

(5)

كيف وصلت لهذا؟ أجلس مع معتاد الإجرام في قهوة شعبية أتفق معه على عملية سرقة من داخل شركة مؤمنة تمامًا.. عملية سرقة مؤكد فشلها بنفس نسبة الجرائم التي يقتلها ديتول.. ولكني لم أكن أفكر إلا كالجرثومة الأخيرة التي تريد أن تكمل اللعبة بأي ثمن..

“فلو لم تكن الحياة لعبة.. لعلمي أجد في اللعبة حياة”.

سألني جبر عن المعلومات التي أملكها عن الشركة، عن تفاصيل المبنى، عدد رجال الأمن، وأخبرته أنني كنت أظن أن هذا من صميم مرادفات وظيفته كمجرم.. فبعثر دخان المعسل في الهواء وقال:

- بص يا باشمهندز.. أنا راجل متخصص في حاجة معينة.. أنا أطفش قفل.. أثبت بني آدم.. عربية.. أكمر.. أنقل.. لكن مليش في جو أطقس وأعرف حاجات ده.. أنا حرامي مش ساحر..

فعلاً!! لقد كنت أظن أنك ديفيد كوبر فيلد.. ثم أردف جبر:

- إديني معلومات وأنا معاك..

حسنًا المعلومات مسؤوليتي في هذه العملية.. أرحل.. أدخل للسريـر.. أنظر للسقف.. تعود الشمس.. رأسي على زجاج الميني باص.. تتعالى سميفونية الصباح وتتداخل معها رنات التليفونات وأصوات الموظفين..

سلمت التقرير الخاص بالمؤتمر وصنعت لتامر نسخة مختلفة..

ورأسي لا يشغلها سوى أمر واحد.. كيف أجمع المعلومات

المطلوبة.. وكان واضحًا أنني أحتاج مصدرًا من الداخل..

أشعر كأنني أتحول لعميل مخابرات في أرض العدو.. ونظرات كل من حولي كأنها تكشف ما بداخلي.. أبعد عيني عنهم.. ببحث سريع وصلت لمعلومة ذهبية رقص لها قلبي عشرة بلدي.. أن شركة Social عملاء لدى شركتنا في خدمة الإنترنت الأرضي.. وهي المعلومة التي قررت استغلالها في خطة مكونة من ثلاث خطوات يا ست الكل:

1- خلق مشكلة

أعلم الآن أن موظفي شركة سوشيال لديهم مشكلة في خدمة الإنترنت.. مشكلة لن يستطيع مهندس الـ IT أن يقوم بحلها.. ولذا سيتواصل مع شركتنا لبحث أصلها..

كل ما علي الآن أن أركز جيدًا من سيتلقى الاتصال.. أنظر حولي ناحية باقي الموظفين..

- المشكلة دي ظهرت في جهاز واحد يا افندم ولا كل الأجهزة؟

صوت أنتوي أعرفه.. إنها فاييزة التي تكمل:

- خلال نص ساعة يا افندم.. هيتم انتظام الخدمة.. شكرًا لاتصالك.

جهاز فاييزة هو هدفي الآن، ولذا ذهبت لهادي أخبره أنني فكرت في حكاية فاييزة، وأنه لا مانع أن يعرفني عليها.. كل المطلوب منه أن يقف معها في البلكونة في فترة البريك يكسب وقتًا وسأتي كأنها صدفة لأقف معهم.. وغدا سنحجز قاعة الماسة ونسمع ظلي بالأبيض وكل شيء.. كنت مستعدًا لقول أي شيء حتى تبدأ الخطوة

2 - استمرار المشكلة

لتستمر المشكلة يجب أن يظهر على جهاز فائزة أنه تم حلها وهو ما كنت أفعله بينما هادي يكسب بعض الوقت معها في البلكونة يتحدث عن ساعات العمل الإضافية وعلاقة ذلك بالانتخابات الأمريكية وتأثير ذلك على هجرة البطاريق..

في نفس الوقت الذي كنت أنهى فيه ما أفعله.. كانت فائزة قد عادت؛ فكما يبدو أنها نسيت زجاجة مياهها..

أنت تعلم أنني أقف عند مكتبها وهي تنظر لي للحظات لا تفهم ما يدور، لقد تم القبض عليك ويجب أن تبرر وجودك في موقع الجريمة حالاً.. ترفع فائزة حاجبها وتتحفز رؤوسها السوداء للانطلاق نحو:

- حسين! أنت بتعمل إيه على مكتبي؟

سؤال منطقي جداً.. وأحترم جداً رغبتك في الإجابة.. ماذا أفعل؟؟
ماذا أفعل؟؟ ألمح هادي عند البلكونة فأناديه ليقترّب:

- هادي.. إنت مش قولتلي أستناك هنا عشان تعرفني على فائزة.

ملامح وجه هادي تنقلب لألوان الطيف، وهو لا يصدق كم الغباء الذي أتفوه به، ويرتبك للغاية:

- أأ.. إنت كنت هتجيلنا البلكونة..

- يبقى أنا فهمت غلط.

أهز رأسي في ضيق مصطنع.. بينما فائزة يبدو عليها الامتعاض من

كلينا وتنصحنا بأن نكبر.. أعتذر لهادي بأنني أعلم أن حظي سيئ في موضوع الارتباط.. فيرد قبل أن ينصرف:

- أنا اللي حظي وحش إني عرفتكم..

ينصرف وأشعر بالارتياح.. فستبدأ الخطوة الثالثة..

3- حل المشكلة

اتصلت بشركة سوشيال أسأل عن حالة الخدمة، ويخبرني مهندس الـ IT بما أعرفه بأن الخدمة لا زالت معطلة.. وأرد بأنه خلال ساعتين موظف الصيانة سيكون حاضرًا..

كم سخرت من أن سوبر مان يظن أنه لن يعرف أحد شخصيته الحقيقية لمجرد أنه ارتدى نظارة طبية.. وكم من شيء سخرنا منه فعلناه لاحقًا.. وضعت نظارة ولاصقًا طبيًا على وجهي كعامل تشتيت.. فلو تذكر أي شخص وجهي من الأيام السابقة ستكون كارثة..

أقوم بكل إجراءات الصيانة الطبيعية ثم أخبر مهندس الـ IT بأنني أرغب في القيام بإجراء للاطمئنان وهو الكشف عن أي قطوعات في الأسلاك داخل الحائط.. وهو أمر يتم عن طريق جهاز أملك واحدًا منه، والغرض من ذلك أن أخلق سببًا للدخول لغرفة الاجتماعات في شركة سوشيال.. لماذا؟

لأنني سأزرع أسفل المنضدة جهازًا اشتريته وهو جهاز تتبع به ميزة نقل الصوت عبر الجوال ويمكن بسهولة استخدامه في التصنت.. ثم أحل مشكلة خدمة الإنترنت.

وهكذا تكون نجحت الخطة..

بعد نجاح الخطة لم أكن أريد أي شيء إلا الخروج من هنا، ولكنني رأيته كان يسير وحده، وهي فرصة لن تتكرر مرة أخرى.. ولم أتمالك نفسي لأنتهزها.. إنه المهندس مراد.. توجهت له وعزفتة نفسي كفني صيانة ثم سألته:

- هو أنا ممكن أسأل حضرتك سؤال؟!

ينظر مراد في ساعته.. فأوضح بسرعة:

- مش هأخذ من وقت حضرتك كتير.. هي الناس بتشوف إيه جوه لعبة VR اللي أعلنتوا عنها؟

- أنا قلت في لقاء قبل كده.. إن اللعبة هتكون شبه الأحلام..

- طب معلى ممكن حضرتك توضحلي أكثر..

- هو إحنا بنشوف إيه في الأحلام؟

يسألني مراد ولكن ليس لدي إجابة فيكمل:

- كل واحد فينا بيشف حاجة مختلفة.. بتعب عنه هو.. الأحلام تجربة خاصة جدًا.. واللعب دي هتكون تجربة خاصة.. كل حد جواها بيشف حاجات مختلفة ليه هو بس..

كان يأخذ خطوة ليبعد فوقفت أمامه وبعيني رجاء أن يجيبني:

- طب ليه اسمها WCS .. ليه أسوأ احتمال ممكن؟

ابتسم وتركني لضيق وقته بدون إجابة.. ولم أشغل بالي فقد كنت

أفكر في المرحلة التالية مرحلة جمع المعلومات.. فأنا الآن لي آذان داخل الشركة.. أو فلنقل شبكة صيد، والصيد يحتاج للصبر والتركيز حتى تصل لما تريد.. لكن هناك أحداثًا لم تكن في الحسبان..

كانت ندى تبكي وعلى وجهها آثار كدمة بينما والدتي تربت عليها، وندى تقول من بين دموعها:

- أنا مش هرجع البيت ده ثاني يا خالتو..

كنت عائداً من العمل سألتهم عن المشكلة، والدتي كانت تريد إخفاء الأمر، ولكن ندى أجابتنى:

- خفاجة مد إيده عليا ثاني..

إخبارها لي جعلني أشعر بالمسؤولية، وتحركت لأخرج من المنزل حاولت والدتي إيقافي ولكني لم أكن أفكر إلا في أمر واحد؛ أن لندى حقًا ويجب أن أخذه..

أصل لمحل الأدوات الكهربائية الذي كان يخص والد خفاجة.. لا زال يجلس هناك عند المدخل منذ كان طفلاً ثقیلاً زادته الأيام ثقلًا وثقالة.. ما إن رأني ارتفع حاجباه تعجبًا:

- أبو نسب!! خير؟؟

- هو إنت مديت إيدك على ندى؟!

كان سؤالي واضحًا أريد إجابة واضحة.. وضع خفاجة قدمًا على أخرى وسلّك بأظفره نسيلة بقيت بين أسنانه منذ مهد التاريخ وهو

يقول:

- هي جات اشتكتلكوا! وبعدين ماتتحمقش قوي كده دي حاجة بين الست وجوزها..

"كل ما أتمناه الآن أن هذا الكائن يجب أن يصمت.. للأبد".

وفجأة أمسك رأس خفاجة أصدمةا بقوة في المنضدة التي أمامه.. يغمى عليه.. لا يراني أحد.. آخذه إلى الصحراء وفي منطقة سيضل الذباب الأزرق طريقه لها أكثر مما أضل طريقي داخل المعادي.. وداخل حفرة عميقة أضعه هدية للأجيال القادمة ليكون بترولا لسيارات جمع القمامة..

"لكن ليس كل ما نتمناه.. نملك القدرة على تنفيذه".

ولذا لازلت واقفا هنا أمام خفاجة، تتفحصني نظراته ثم يقول:

- قول لبنت خالتك ماتخربش على نفسها أكثر من كده.. عيب تسيب بيت جوزها..

(هفأ.. بق.. جبان.. طري.. مش راجل) قل عني ما تقل فأنا أسب نفسي كل يوم بما هو أكثر.. ولكني لا أستطيع فعل شيء.. أخبرك أمرا؛ حتى لو فعلت فما تعلمته من الحياة أن الجميع يتصالحون وأبقى أنا السيئ في رواياتهم جميعا في النهاية..

(6)

عدت للمنزل أخبرتهم أن خفاجة يبدو عليه الشر أكثر مما يبدو عليه عادة.. ولكنني كنت أريد العودة للتركيز في موضوعي..

أقوم بتشغيل البرنامج الذي يتصل بجهاز التصنت.. وأضع السماعات.. كان الوقت متأخرًا، ويبدو أن هذا صوت عامل نظافة ينظف المكان وهو يدندن بلحن أغنية قديمة.. ونِمْث..

يوم جديد والسماعات في أذني.. أستند على زجاج الميني باص والسماعات في أذني.. أخرج من الأسانسير ولا زالت في أذني.. حتى أثناء قيامي باستقبال مكالمات العملاء دسست سماعة صغيرة في أذني اليسرى أسفل السماعة الكبيرة..

عندما أريد الاستماع لصوت هادئ أفضل الأذن اليسرى.. عندما أسمع صوتًا عاليًا سريعًا أفضل اليمنى.. لا أعلم هل لديك نفس المرض أم إنني المختل الوحيد! ونصبت أذني اليسرى كشبكة صيد التي مَرَّ فيها الكثير من اجتماعات شركة سوشيال:

- عدد الفولورز بعد التريند الأخير.. بيزيدوا كل يوم حوالي 100 ألف.

- في update الجديد حلينا كل مشاكل الأبلتيكيشن اللي قابلت المستخدمين...

- فكرة الساييت الناس بتعتبرها غريبة.. عدد المعجبين بيها 70 % منهم سنهم من 14:18.

- بالنسبة لجهاز VR في اللي كان واضح من التجارب..
- كانت هذه هي السمكة المحملة المنتظرة.. ركزت انتباهي هنا.. و...
كالعادة القدرة ربتة قوية على كتفي من هادي وهو يقول:
- صاحبك سيحت في الفلور إن إحنا الاتنين مجانيين..
- بالطبع صاحبتني هي فايضة.. و(الفلور) هي الغرفة الضخمة التي
نقوم فيها بعملنا.. والحقيقة فلتذهب إنت وفايضة للجحيم فلتحترقا
بأفران هتلر وليجري عليكما أشنع التجارب.. أقول بغضب مصطنع:
- هادي، ممكن تسيبني أنا بشتغل..
ينظر هادي حوله ويرد:
- بتشتغل إيه يا حس إحنا في بريك..
- فأنظر حولي لأجد مَنْ يشرب قهوة ومن يأكل ومن يعقدون
مقارنات حول مؤخرات سيدات المكتب.. أصبح في هادي:
- موضوع فايضة ده هبقى أحله.. بس لو سمحت سيبني دلوقتي..
ينظر لي بامتعاض وهو ينصرف:
- مالك يا ابن المجنونة.. والله دي عندها حق.
- يتركني هادي.. أركز فيما يقال هناك في شركة سوشيال وقد
وجدت ضالتي، أخذت تلك الضالة في يدي وأذهب بها للقاء جبر في
القهوة، وأخبره:
- الجهاز هيتنقل من الشركة عشان يتعمله صيانة بعد بكرة، وبعدها

هيسافر بره مصر.

يبصق جبر على الأرض ثم يرد:

- يروح ويرجع بالسلامة..

أعطيه نظرة لائمة قبل أن أوضح له مرادي:

- أنا معرفش الجهاز مدة سفره قد إيه وهيرجع أصلاً ولا لأ.. بس
إحنا لازم نسرقه خلال اليومين دول.

كان جبر يوضح لي أن الأمر مستحيل في حالة أننا لا نملك الخطة
أو الرجال الكافيين لتنفيذ عملية السرقة، ولكن يرانا عادل فيتدخل
ليفسد المتعة:

- الله.. ابن خالتي قاعد ع القهوة، ومع جبر.. الدنيا اتغيرت قوي..

ما هذا الغباء الذي أنا فيه!! لقد أخبرني عادل أن هذه القهوة هي
مكتبه الثاني وأنا أتيت لأفصح له نفسي بكل سلامة نية.. كان جبر
في نفس الوقت يتجهز ليعترف بكل شيء لعادل:

- ده البشمهندز يا متر كان عايزني في...

وهنا كان لا بُد أن أتدخل:

- في خناقة.. حد مضايقني عشان كده خدت منك رقمه..

لم يقتنع عادل، وأخبرني أنه سيتركني فقط لأن معه زبون، ولكنه
سيفهم لاحقاً.. بينما جبر يلومني:

- ما كنت ترشيني إنك مش عايز المتر يعرف..

صدقني لم أكن أعرف أننا في عصر لا نخفي فيه أننا نخطط لسرقة جهاز من شركة.. كما أنني أتذكر أنني أخبرته من قبل أنني لا أريد أن يعرف عادل شيئًا، ولكنه ينكر أن هذا حدث..

أخذت جبر لنقف في زقاق مظلم بجوار صندوق زبالة يقوم قِطْ بمعاشرة قطعة في الأسفل بينما صديقه يراقبان له المكان ويطمئنانه أن هذين الرجلين لن يفصلا تلك العملية الحميمة..

جبر كان يخبرني بتكلفة العملية التي وصلت إلى 100 ألف جنيه بعد تخفيضات لأجل المتر والحبايب والمجتمع والناس.. أخبرني أن الحد الأدنى لهذه العملية رجلان بخلاف جبر.. كل واحد من الرجال سيحصل على 20 ألف.. بخلاف تأجير معدات برقم مقارب وعندما سألته عن البقية أخبرني جملة لن أنساها:

- أنا أي عملية بطلعها يبقى مقلق من 3 حاجات.. يا هتقتل يا هقتل يا هتسجن.. القلق ده مش ببلاش..

لا يوجد وقت، ويجب أن أجمع المال بسرعة، لا توجد حلول إلا بيع الأجهزة التي أملكها.. عندما عدت للمنزل كانت ندى في البلكونة.. ترددت ولكني ذهبت لأقف معها.. لمحت تلك الدمعة في عينها فسألتها:

- إنتي بتعيطي يا ندى؟

أنكرت.. حاولت التماسك ولكنها انفجرت بالبكاء دموعًا تروي شفقتها على نفسها.. أنظر لها.. لا أريد شيئًا الآن إلا أن أكسر كل خوف داخلي.. كل ما يربطني ويقيد ذراعي من أن يحاوطوها

وأخذها في حضني وأخبرها أن العالم كله بأراضيه بمحيطاته
بكائناته بالمحطات الفضائية الدولية.. أرخص من دمعة واحدة من
عينها.. ولكني أرد:

- أنا مش عايز أكون بتدخل في اللي مليس فيه.. بس لو في حاجة
أقدر أعملها قوليلي.

"دائماً في انتظار التوجيه.. أن يخبرني شخص آخر بما علي فعله..
لا أتخذ أي قرار.."

ولذلك قمت برفع الشاشات والكمبيوتر والبلاي ستيشن القديم..
كل شيء وتوجهت بهم لمول الكمبيوتر.. أعلم أنها صفقة خاسرة
ولكني لم أهتم.. وضعت المبلغ على كل ما أملك.. وكل ما أملك كان
عبارة عن خمسة آلاف جنيه كانوا مخبئين لأجل الزمن الغدار..

"فالقرار الوحيد الذي اتخذته من فترة طويلة هو أن أكمل اللعبة..
ولذا فأنا مُصرٌّ أن أكمله للنهاية".

كان الاتفاق أن أذهب لجبر بنصف النقود ولذا عندما ذهبت له
بالأقل ثار علي:

- والله ما هتاكل يا بشمهندز.. شوف حد غيري يعملها.. إنت بتتكلم
في 20 ألف جنيه فرق.. هو أنا هحطهم في جيبى دول بتوع الراجل
التالت اللي هيطلع معانا..

ولا أعلم كيف خرجت مني الجملة التالية بسهولة.. بدون تفكير
بدون حسابات:

- أنا هبقى الراجل التالت..

نظر لي جبر متعجبًا ولا ألومه.. أنا أنظر لنفسي الآن متعجبًا..

بينما أسند رأسي على زجاج سيارة النقل خارج شركة سوشيال..
بجواني يجلس جبر خلف المقود وهناك رجل يجلس في حقيبة
السيارة..

وداخل أذني كانت السماعة التي ستنتقل من خلالها رصاصة
انطلاق هذه المرحلة.. مرحلة التنفيذ.. المرحلة الأصعب، ورغم ذلك
هي المرحلة الأكثر تحمسًا لها.. قطع جبر كل هذا الحماس بقوله:

- على فكرة الفلوس كانوا ناقصين خمسين جنيه.. معلش الحق
حق..

كنت أعرف ما يدور الآن العمال يقومون بتحميل الجهاز داخل
سيارة نقل مغلقة عليها لوجو الشركة يستعدون للتحرك للمطار..
ودعني أخبرك بالخطة التي اتفقنا عليها في هذا الجراج القذر بينما
جبر وهذا الشاب الذي عرفت أن اسمه (حادثة) وهو استعارة مكنية
عن حالة وجهه.

والخطة بسيطة هدفها بسيط للغاية.. وهو إيقاف السيارة والانفراد
بها على الطريق وهو ما سيتم على النحو التالي..

ينزل حادثة من سيارة النقل يرتدي قيس قيس فسفوري ويضع
الحواجز المرورية على الطريق لتتوقف السيارات بحجة
الإصلاحات..

ثم سنتحرك بجوار سيارة النقل الخاصة بسوشيال أشير للسائق

بأن هناك مشكلة في الإطار، ولذا سيتوقف بجانب الطريق ليطمئن على الإطارات..

في نفس الوقت كنا نسبقه وننتظر مرور آخر سيارة.. ثم فرشنا مسامير إيقاف السيارات.. تمر سيارة سوشيال فتنفجر الإطارات وبعدها بعدة أمتار تقف سيارة النقل بالعرض بينما أنا وجبر نقف ملتمين رافعين السلاح تجاه سيارة سوشيال..

“منذ أسبوع بالضبط لو أخبرتني أن هذا المشهد سيحدث

سأقول إنَّ هذا خيال علمي..

سحقًا للخيال والعلم، والخط الفاصل بينهما”

أقترب أنا وجبر من سيارة سوشيال التي تحتوي على السائق وبجواره فردٌ تأمين.. يصيح جبر في السائق بصوت أخافني شخصيًا، وجعلني أحمد الله أنني في فريقه:

- مفتاح الشنطة يلا بدل ما أغربك إنت وهو.. محدش يعمل فيها بطل عشان ميزعلش مني..

يأخذ جبر المفتاح ويتوجه لفتح السيارة وبدأنا نتعاون في حمل الجهاز لنخرجه من السيارة.. ولكني وجدت جبر يقوم بأغرب تصرف قد أراه..

(7)

أقف رافعًا المسدس وبجواني جبر معتاد الإجرام نوجّه سلاحنا تجاه سيارة شركة سوشيال التي تقف مجبرة بعد أن ثقت إطارتها.. كيف وصلنا لهذا؟ قمنا بإيقاف الطريق.. وأخرنا سيارة الشركة عن باقي السيارات حتى نعزلها عنهم.. ثم أجبرناها على التوقف حتى نسرق الجهاز.. أي جهاز؟

لو كنت لا تذكر فصدقني أترك ما في يدك وتوجّه للطبيب حالاً فلديك مشكلة عويصة في التركيز.. ودعنا من مشاكلك الشخصية فقد كنت في منتصف مشكلة عويصة أخرى..

كما فهمت لاحقًا الموظف الخاص بالتأمين قرّر أن يقوم بوظيفته، ولم يقبل بأن يقوم اثنان ملثمان مثلنا.. بتثبيت السيارة وربما كان يطمح في مكافأة من الشركة.. ولذا استل مسدسه ونزل من السيارة ويوجه المسدس نحو ظهري.. وفجأة رأيت جبر يقوم بوضع الجهاز من ناحيته مرة أخرى داخل السيارة.. لم أفهم إلا عندما رأيته يمسك يد موظف الأمن ليغير زاوية الفوهة لتتحرف رصاصة كانت ستستقر داخل مخي..

الأدريينالين.. يكفي أن أجري من مكاني وصولاً لذهب 3 أيام أربع ليالٍ بدون انقطاع..

يصدم جبر رأسه في رأس موظف الأمن ليصدر صوت دقة كاتدرائية عتيقة أربكت توازن موظف الأمن.. في نفس الوقت كان السائق ينزل بعصا الكوريك يحاول ضرب جبر من الخلف.. لم تمر

لحظة ووجدت نفسي أقفز فوق السائق وأقوم بضربه أخرجت ميدالية مفاتيحي أمسكها لتبرز المفاتيح من بين أصابعي كأنني (وولفرين) وأقوم بضرب السائق ضربة تلو الأخرى..

الأدريينالين.. كفيل بأن تخرج عيني من محاجرها وروحي إلى بارئها أسرع من أسرع دليفري في مصر.. آخذ نفسًا من بخاخلي يساعدي على التقاط أنفاسي..

كان الجزء السابق هو الجزء غير المتوقع من الخطة.. أما البقية فكنت أعرفها؛ نقلنا الجهاز إلى سيارتنا ثم تحركنا بالسيارة عند حادثة الذي يرفع الأقماع.. بينما أنا وجبر نشد اللاصق الأحمر عن هيكل السيارة بالكامل ليظهر لونها الأبيض الأصلي.. ونغير أرقام السيارة ويقوم حادثة بتثبيت القوائم لتتحول السيارة من مفتوحة إلى شاحنة مقفلة عليها شعار شركة لصناعة الألبان.. ويزوب اللبن وسط باقي السيارات..

يدخل جبر وحادثة يحملان الجهاز إلى غرفتي في المنزل.. بينما والدتي متعجبة أنني عدت مبكرًا من العمل.. أوعدها أنني سأشرح لها ما يدور فكل ما يحدث غريب.. ابنها عاد في منتصف يوم عمله.. يدخل معه اثنان يشبهان رجل الكهف يحملان كرسي دكتور أسنان.. لذلك أعذر نظراتها المتعجبة والمتسائلة..

بعد أن يضع جبر الجهاز ينظر للمنزل يخبرني بعينه أنه أصبح يعرف بيتي جيدًا.. ثم يقول بلسانه:

- أشوفك بالليل ع القهوة يا هندزة عشان نخلص حسابنا..
ماتأخرش..

ينصرفان.. أغلق باب غرفتي.. أقوم بكل التوصيلات اللازمة..

هناك لحظات مهمة، وهناك هذه اللحظة.. زخم الأفكار والأحداث
أكثر من اللازم، ولكني لا أفكر إلا في هدفي الذي يفصلني عنه وضع
النظارة.. فأضعها.

الفضاء السحيق..

3..2..1

واختفى الصوت والضوء والحياة مرة أخرى..

كأنني أفيق من كابوس قوي لا أذكره.. ينتفض جسدي وتفتح
عيني على أقصاها..

لا أستطيع شد جسدي فهناك ما يقيد حركة يدي.. وعلى ضوء القمر
الباهت القادم من خلف تلك الأسياخ الحديدية أرى يدي مربوطة
بأصفاد حديدية.. كأنني المسيح مصلوبًا..

عيني تحاول تبين ملامح الغرفة التي أنا فيها.. فلا أرى إلا ضوءًا
أصفر قادمًا من أسفل الباب وظلال أشخاص تتحرك في الخارج
ضحكات وأصوات متداخلة..

أين أنا؟

لا ذكريات.. لقد كنت أمام تلك الفتاة.. ثم.. ثم كان هناك خيول
وأسلحة.. وتهديد.. ثم؟

لا أعلم..

مَن هي؟

لا أذكر..

مَن أنا؟

لا أعرف..

عندما رأيت ظلالاً في الخارج مرة أخرى.. صرخت فيمن بالخارج ليأتي.. تدخل تلك الممرضة ذات العياب البيضاء التي تنتمي لحقبة قديمة.. تقترب أكثر وتتفحصني.. أسألها.. مَن أنا؟ أين أنا؟ ما الذي جاء بي هنا؟

لا تجيبني..

وتتقدم ممرضة أخرى تتناقشان معاً بعيداً عني.. قبل أن تخبرني إحداهما:

- قريب هيجي حد يجاوب على أسئلتك.

وتطفأ الإضاءة وتُغلق الباب مجدداً غير مبالية بصرخاتي..

مرت لحظات ربما دقائق أو حتى ساعات.. الوقت لا معنى له عندما لا يتغير شيء.. وطوال الوقت السابق لم أفعل إلا مراقبة الظلال والصراخ كل حينٍ وآخر.. حتى انفتح الباب مجدداً عن هذا الشخص الذي لا تتضح لي الآن إلا حدود جسده.. ينفث الدخان من فمه وأنفه كأنه كائن أسطوري جاء لمحاربتني..

لحظات تمر وهو ينظر نحوي.. ثم يقترب بهدوء تاركاً الغرفة مظلمة

ينعكس فقط على وجهه وشاربه الإضاءة القادمة من الخارج..
وأقسم إنني وقتها شعرت أن لو كان للموت شكل فلن يختلف كثيرا
عما أراه..

- مش هتقولي بقى إنت مين.. وكنت داخل أرضنا تعمل إيه؟

قالها ونفت الدخان في وجهي.. أخبرته بكل ما أعرفه، وأني
لا أملك إجابات فإن كان يعلم شيئا فليخبرني به.. أخذ نفسا من
سيجارتته وقال وهو ينفث دخانه في وجهي مجدداً:

- يعني إنت عايزني أصدق الحكاية الغريبة بتاعة إنك فوقت في
البنزينة مش عارف إنت مين.. لقيت مفتاح في جيبك ولقيت عربية..
ركبتها فوصلت للبوابة.. مشيت الناحية الثاني فلقيت نفس البوابة..
فقلت بقى المكان ده لازم أدخله..

يبدو أن وجهي مكانه المفضل لنفت الدخان.. ثم أكمل:

- إنت مصدقني وأنا بحكيك كده؟!

يقف ذو الشارب ويتحرك أمام عيني ويوضح:

- بص يا بني لو إنت مش عارف إنت مين.. فأنا هعرفك بقى أنا
مين..

يقرب وجهه مني لأشتم رائحة القبر تخرج من فمه.. ألم أخبركم
أنه الموت.. يكمل الموت:

- أنا خفاجة.. المسؤول عن أمن الأرض اللي إنت دخلتها.. واحنا
هنا مابنقلش بالغرب فأنا لازم أعرف إنت مين وعايز إيه؟! وإلا

هشوف بقى العقاب اللي يناسبك.

يقولها وهو يداعب حلقة بتهديد واضح:

- ركز بقى معايا عشان ما آخدش القرار بتاعي بسرعة.. اللي كنت واقف معاها دي تعرفها منين؟

تذكرته، إنه نفس الشخص الذي كان على الحصان .. لكن لماذا لا يفهم أنني مثله أبحث عن الإجابات.. وقبل أن أكّرر كلامي كانت هناك جلبة قادمة من الخارج وسمعت صوت الممرضة تتكلم مع شخص ما:

- حضرتك كده هتعميلي مشكلة.

تزامنت نقطة نهاية الجملة السابقة مع انفتاح الباب، وظهرت هي.. فتاة الغابة.. وكانت الممرضة تحاول منعها من الدخول.. نلتفت تجاهها أنا وخفاجة الذي يعاجلها:

- إيه اللي جابك هنا؟

- أنا اللي مش فاهمة إنت اللي بتعمل إيه هنا.. ده واحد مغمى عليه بقاله كام يوم.. أول حاجة هتعملها هتحقق معاه؟

كم يومًا! أنا أريد أنا أعلم كم يومًا.. شعرت وقتها بأمان لحظي بأن هناك من يدافع عنك ويطلب حقوقتي.. أنهى خفاجة حالة الأمان هذه بجملته:

- ده شغلي وأنا عارفه كويس.. وملكيش خالص تدخلي فيه..

فترد عليه قبل أن تنصرف:

- صح.. خليني أجيبك بقى اللي ليه حق يتدخل في كل حاجة..
وتتحرك بسرعة.. بينما يناديها يحاول إيقافها:

- ندى.. ندى..

الآن أصبحت فتاة الغابة لها اسم أعرفه (ندى) كنت سعيدا بتلك
المعلومة الإضافية.. سعادة لا تتجاوز مدة النشوة الجنسية.. أنهاها
صوت خفاجة وهو يجذب رأسي لأنظر له:

- إنت شكلك بتلعب لعبة أنا مش فاهمها.. وأنا معنديش مشكلة
خالص في اللعب..

ثم يفكر خفاجة قليلاً قبل أن يخبرني:

- بس لو هنلعب.. هنلعب بطريقة.. إيه رأيك؟

أظن أنه لم يكن يطلب رأيي بجدية.. فقد بدأ في شرح تفاصيل
اللعبة، وهو يخرج مسدسه يفك البكرة ويقوم بإعادة تركيبها مرة
أخرى وهو يشرح:

- أنا هسالك نفس الأسئلة تاني.. بس كل مرة هتقول معرفش.. أو
مش فاكرك.. أنا هدوس ع الزناد.. وإنت وحظك.. لو حظك حلو.. فإنت
هيبقى معاك فرصة تقول معرفش 5 مرات.. بس الأكيد إن الستة
مش هيبقى الحظ معاك..

لعبة واضحة جدًا ومفهومة.. وعادلة بشكل ما.. فوهة المسدس
الباردة على رأسي الآن ويكرر خفاجة السؤال الذي أتمنى معرفة
إجابته:

- قولتلي بقى اسمك إيه؟

وبطرف عيني ألمح إصبعه المتحفز للضغط على الزناد.

(8)

لا زال مسدسه على رأسي يهددني بإطلاق رصاصته لو لم أخبره
بما في رأسي.. والحقيقة لو أن هذه الرصاصة ستجعلني أتذكر فلدي
رجاء شخصي بأن يسرع في إطلاقها..

يكرر أسئلته.. فأكرر أجوبتي.. فيزيد ضغط إصبعه على الزناد.. و...
يفتح الباب وتظهر تلك الممرضة.. فيخفض مسدسه سريعًا،
ويصيح بها:

- هو أنا مش قلت محدش يدخل هنا؟

- بس في تليفون لسعادتك..

قالتها بطريقة معذرة لتضغط زر عصبيته.. ويقول ممطرًا وجهي
برذاذ فمه العطر:

- مش عايز أي تليفونات دلوقتي.. اطلعي بره يلا..

- هو التليفون ده لازم ترد عليه..

قالتها لينصرف وقد أصبح عصبيا أكثر.. ظللت طوال الليل
أنتظره.. لم يهون عليّ الوقت إلا أن أتذكر وجهها.. ندى.. حتى
سحبني النوم إلى غياهب أحضانه..

لم أحلم بأي شيء في تلك الليلة، داعبت أشعة الشمس عيني حتى
تجبرها على أن تُفتح.. زقزقة العصافير في الخارج وصوت طائر

عجيب يطير مبتعدًا كان هذا كل ما أسمعه..

قبل أن يفتح باب الغرفة ويظهر حارسًا آمن يوجههما ذلك المدعو خفاجة صاحب الشارب الذي يسد عين الشمس ومؤخرتها لو أراد:
- هو ده..

واضح أن الهاء في (ده) ضمير مستتر تقديره أنا الجالس على السرير.. يفكون الأغلال عن معصمي ويقتادوني.. أسألهم:
- هتسيبوني أخرج؟

فيقترب خفاجة وهو يشعل سيجارة الصباح:

- طبعًا.. ما أنا قلبت القصة الهبلة بتاعتك دي في دماغي وأول ما دخلتها.. قلت أخرجك..

ثم يبتسم ابتسامة تكشف عن سنوات من الترسل الجيري الممتاز، ويكمل:

- عشان تيجي معايا..

لم يستمع لنداءاتي المكثرة بأنني لا أعرف شيئًا.. في نفس الوقت يدخل الطبيب يخبر خفاجة بأن ما يفعله غير قانوني وسيسبب مشكلة.. ليخبره خفاجة بتهديد واضح:

- كل مشكلة ليها حل.. إلا لو مشكلتك دي معايا..

حسنًا حسنًا حسنًا.. يتم اقتيادي الآن لا أعلم إلى أين، ولكن شعور بعدم الارتياح وبخازوق محمّل بالغراء الفاخر يحوم في الأجواء.. كلها أمور جعلتني أفكر في أمر واحد؛ هو الهرب.. أنتهز فرصة أن

خفاجة يتحدث مع الطبيب وأقوم بدفع الحارس الذي يقتادني وأجري بسرعة نحو باب الخروج من المستشفى..

وفجأة سمعت صوت طلقة تزامن مع ثقب محترم في الباب الذي أجري نحوه.. فتخشب جسدي كرد فعل غريزي نحو رغبته في البقاء.. وسمعت صوت خفاجة الذي يوجه مسدسه نحوي:

- الطلقة الجاية في دماغك..

ولذا ها أنا مربوط اليد بحبل متصل بالحصان الذي يمتطيه أحد الحراس أتحرك ماشيًا منكس الرأس بين منازل البلدة.. التي ضنعت من الأخشاب ومكونة كلها من دور واحد على صفين متقابلين..

ترمقني عيون أهالي البلدة.. حتى وصلنا إلى مبنى خشبي مكوّن من دورين يتضح أنه قسم الشرطة هنا.. وتم وضعي في غرفة قذرة خلف قضبان صدئة ترتبط يدي بها.. طلبت منه:

- ممكن أشرب طيب؟

فوضع كوب من الماء ورغيف من العيش على الأرض بعيدًا عن متناول يدي، ورد:

- طبعا.. أول ما تتكلم على طول..

وأنصرف تاركا الجوع يتغذى على جدار معدتي.. مر بعض الوقت الثقيل قبل أن أسمع هذا الحوار من الغرفة المجاورة.. كانت ندى تحدث خفاجة:

- هو مش الحاكم طلب منك تسيبه ومتحققش معاه!!

- طبقًا إنتي اللي طلبتي منه يعمل كده.. عمومًا أنا نقلته هنا عشان مجرم وحاول يهرب.. يمكن لو كنت وصلتلك متأخر يوم ما كنتي معاه كان آذاكي..

تمر لحظة صمت قبل أن أسمع صوت ندى تطلب منه:

- قبل ما يغمى عليه قال إنه يعرفني.. وأنا كمان حاسة إنني أعرفه.. سيبنى أتكلم معاه يمكن أفكر..

يبدو أنه يصمت ليفكر قبل أن يقول:

- مع إنني مش مقتنع بس ماشي.. ما تقوليش بعد كده إنني مابعملش حاجة عشانك.. دخلها الحجز وتأخذ مدة الزيارة العادية..

كما تعرف أن الجملة الأخيرة كانت للحارس..

لحظة صمت يقطعها صوت زئير الباب الصدا.. وتدخل ندى تنظر لي لحظات قبل أن ينصرف الحارس..

تلاحظ العيش والمياه الموجودين على الأرض فتقترب مني تطعمني وتسقيني كانت ملاكي الحارس مرسولة الإله.. سألتني بعدها:

- إنت قبل ما يغمى عليك قلت إنك حاسس إنك تعرفني.. تعرفني منين؟

تعتصر عظام جمجمتي مخي لتخرج منه أي معلومة.. فأرد:

- حاسس إنني شفتك بره الأرض دي.. مكان ثاني.. عالم ثاني.. كأنه حلم قديم بس مش فاكراه.. إنتي مش حاسة إنك شفتيني قبل كده؟

- بصراحة لأ.. دي كانت أول مرة نتقابل بس أنا كدبت عليهم
وقولتلهم إني أعرفك عشان يسيبولي فرصة أتكلم معاك..

ثم أوضحت:

- عايزة أعرف السر اللي وراك.. إيه للي يخلي حد يحاول يدخل
هنا.. وفي ناس بتتمنى تخرج منه ومش عارفة..

أنت تعرف الشخص عندما يتحدث عن نفسه.. كانت تتحدث عن
نفسها وهربت بعينها خوفًا من أن تفضحها عينها أكثر.. حاولت
تذكيري بكل شيء دون نتيجة قبل أن يقطعنا صوت الحارس:

- وقت الزيارة خلص..

وقبل أن تنصرف نظرت لي:

- ما تخافش أنا هحاول أساعدك..

تركنتني في حالة من الأمان المزيف الجميل.. الذي جاء خفاجة
بعدها بشاربه الذي يشبه الجرافة ليهدم كل بيوت الأمان ويشيد
قصورًا من الخوف والرعب:

- أتمنى المقابلة دي تكون فكرتك بحاجة.. ولا هتكرر نفس الكلام؟

لا أرد.. فيجذب كرسيًا ليجلس أمامي ويكمل:

- طب بص يلا.. إنت معاك الشمس تروح وترجع وبعدها هحكم
عليك بالموتة الصعبة..

كان عدم الفهم واضحًا على وجهي فأكمل وهو يقوم بالتمثيل
بيديه شارحًا:

- لو ماتعرفهاش.. فدي عقوبة الجواسيس في أرضنا.. هنربط إيديك ورجليك، وندهن جسمك وهدومك بالزيت.. وتركب مركب.. نزقها في البحيرة.. ونشنجي هيرمي عليك سهم مولع.. النار هتمسك فيك.. ولما تلحق نفسك وتنط في المياه.. تغرق..

يبتسم ابتسامة شيطان:

- ما قُلتك اسمها الموتة الصعبة..

- صدقني أن..

يرد بضربة قاضية تقتل الكلام:

- لو هتقول نفس الكلمة أنصحك ماتقولهاش وإلا هنفذ الحكم ده دلوقتي.. أنا إمبارح كان ممكن أصدقك بس محاولة هروبك أگدت شكوكي.. الشمس تروح وترجع.. هتروح معاها فرصتك الأخيرة..

كما عرفت لاحقًا فندى كانت في نفس الوقت تحاول أن تساعدني وتقنع والدها الحاكم أن يتوسط لي لكي أخرج.. ولكنه لم يكن متفرغًا.. فكانت هناك كارثة تخص البلدة.. ثلاثة أطفال دخلوا إلى الغابة منذ عدة أيام ولم يعودوا.. وحتى الحراس الذين ذهبوا في رحلة للبحث عنهم أيضًا اختفوا.. وهو ما جعل باقي الحراس يرفضون عملية البحث خوفًا على حياتهم.. لماذا؟ سأخبرك ولكن كان هناك ضيف جديد علي..

كان الليل مجرمًا في تلك الليلة وأقبل قاتلًا الشمس.. فنزفت على أرضية السماء.. لتنعكس تلك الحمرة على محيط الزنزانة.. الحارس فك وثاقي لأستطيع أن أجلس براحتي داخل الزنزانة ولم أكن أطمع

في أكر من ذلك.. أما داخل زنزانة رأسي فكان يتردد صوت ندى:
"دي كانت أول مرة نتقابل بس أنا كدبت عليهم وقولتلهم إنني أعرفك
عشان يسيبولي فرصة أتكلم معاك" وصوت خفاجة "الشمس تروح
وترجع وبعدها يحكم عليك بالموتة الصعبة" كان مزيجا عجائبيا.. لم
يخرجني منه إلا انفراج باب الزنزانة..

وظهر هذا الشاب الذي يقتاده حارسان.. ملامحه سمراء قليلاً
وشعره مجعد طويل يرتدي جاكيت هو الآخر.. للوهلة الأولى لم
أرتح لوجوده فواضح أن هذه ليست زيارته الأولى للمكان.. يطلب
مني الحارس أن أمد يدي للخارج ليعيد تقييدها حتى يدخل هذا
الشاب وبعد أن يدخل يفكني مرة أخرى ويتركنا معاً قبل أن يحذروا
الشاب أنه لا توجد فرصة ليهرب مجدداً.. يسند الشاب رأسه للحائط
ويرمقني بنظرة:

- شكلك غريب.. إيه اللي حدفك على أرض القدر؟

أرض القدر.. حسناً هذه معلومة جديدة.. كان يبدو أنني تفاجأت
بها..

- هو إنت مش عارف اسم المكان اللي إنت فيه!! إنت حكايتك إيه
وجاي منين؟

- مش عارف.. كل اللي عارفه إنني فُقت لقيت نفسي في البنزينة
اللي ع الطريق ومش فاكر حاجة قبل كده.

- إوعى تكون بتسوقها عليا!!

يا ليتني كنت (أسوقها) هزرت رأسي نافياً.. ليسألني سؤالاً قاسياً:

- أومال لو خرجت من هنا هتروح على فين؟

كان سؤالاً مؤلماً أوجع رأسي وأصابني بصداع لحظي.. فكرت في الإجابة وقلت:

- برضه مش عارف.. أنا عايز أخرج بس عشان في واحدة قابلتني هنا بتحاول تساعدني من غير سبب.. بس أنا حاسس إن هي اللي محتاجة مساعدة..

- آه.. دي واحدة عاجباك بقى وعايز تعلقها.

قالها مع غمزة مفهومة فأوضحت:

- لا مش كده.. بس هي الوحيدة اللي حاسس إنني أعرفها وشفقتها قبل كده..

يبتسم:

- ما إحنا بنقول كده فعلاً لما بنكون عايزين نعلق واحدة.. مروان بس قولي مارو...

يقول اسمه ويمد يده بالسلام.. فأرد السلام وأخبره:

- مش عارف..

ليخبرني إن لم أكن أعرف اسمي فعلاً فسيسميني (س) وهو ما يرمز للرقم المجهول في الرياضة.. حسناً سيكون اسمي (س) ليست بداية سيئة عمومًا..

أخرج مارو زجاجة صغيرة من باطن حذائه وهو يقول:

- أنا مش هقدر أقعد هنا أكثر من كده.. جاي معايا يا س ولا بايت؟

(س)، يجب أنا أعتاد عليه.. في الحقيقة لم تكن الزنزانة مكانًا لطيفًا للبقاء سأختار الهروب بالتأكيد معه.. يفتح تلك الزجاجاة ويسكب المادة التي بها على الحائط.. لتخرج الأدخنة من الأحجار.. يلتفت يمينا ويسرة يطمئن لعدم وجود أحد ثم بكوعه يضرب الحجر ليتفتت كأنه عاد رملًا.. أساعده في إزالة عدد من الأحجار لكي نخلق فتحة تسمح بخروجنا.. وكان واضحًا أن هذا الشاب شجنٌ هنا وهرب من هنا أيضًا مئات المرات..

نتسلل من المكان.. نقف خلف الحائط حتى يمر حارس الدورية.. ثم نكمل جرينا نريد أن نصل لأطراف الغابة قبل أن يرانا أحد.. في نفس الوقت كان واحد من الحرس يدخل للزنزانة واكتشف الثقب في الجدار.. ليضرب الناقوس الذي يعني أن هناك حالة طوارئ..

وفجأة ينير كشافًا ضخمًا يحركه واحد من الحراس بحثًا عن الهاربين.. الجرس مستمر والحراس كلهم يبحثون.. بينما نجري أنا ومارو.. لا نملك إلا رغبة واحدة أن نصل لأطراف الغابة..

وقبل أن نصل التفت مارو لي ليحطني على الجري أسرع:

- يلا بسرعة ماتقفش..

لكنه توقف مصدومًا عندما رأى عيني تبيض وأميل للسقوط مغشيًا علي.. صرخ في مناديا:

- س.. يا س...

(9)

- حسين.. حسين..

كان النداء الأخير من والدتي التي نزعت عني نظارة الـVR..
ولامتني أنها تنادي عليّ من مدة وأنا لا أستجيب.. نظرت للساعة
التي تبين أنها قبل منتصف الليل بقليل..

مر وقت طويل داخل العالم الافتراضي.. لكن لم تمر إلا ساعات في
العالم الحقيقي.. رنت في أذني جملة المهندس مراد

"شبه الأحلام"

أكملت والدتي لتوضح لي لماذا أيقظتني:

- في حدع الباب عايزك.. مش عارفة عايز إيه؟ ولا عارفة إنت
قاعد طول اليوم في الأوضة بتعمل إيه؟ ولا إيه ده؟!

كمية من عدم المعرفة مستحقة ولا ألومها.. فكيف لابنها الممل
الذي لم يتغير في يومه أي شيء على مدار سنوات عديدة يصبح
غامضًا لهذا الحد.

"الأسئلة كثيرة.. ولو فتحت الباب لها لن تنتهي.."

كان ما يشغلني الآن سؤال واحد: مَنْ الذي جاء لمنزلي يريد
مقابلتي الآن..

وأظن أنني استطعت أن أخمن من هو..

بجسده (الغورلي) المعالم والمشاعر كان جبر يقف عند الباب..

وبصق على الأرض ومسحها بحذائه لا أعلم هل يفعل ذلك بنفس
غريزة الكلاب التي تتبول في كل مكان في المنطقة لتخبر العالم أن
هذا مكانها.. أظن أن الأمر قريب مع اختلاف الحجم ونسبة الجين
الحيواني لصالح جبر بالتأكيد.. الذي عوى قائلاً:

- ما إنت مجتش ميعادنا قولى أجي أنا..

أخذ خطوة لخارج الشقة وأغلق الباب قليلاً لكيلا تسمع والدتي
كلامنا:

- ممكن تستنى عليا يومين ثلاثة..

لم أكن أملك المبلغ المتبقي وأحتاج لأي وقت لأفكر فيما سأفعل..
لكن عروق جبر نفرت على رقبتة وجبينه كأنها مدينة تشيد في
لحظات:

- ده إنت عايز تقلبها عوق! يبقى كنا نستنى لما الفلوس تحضر.. إنما
مش جبر اللي يتسوح.. والله لو بتسوح ما كنت هعز عليك..

ثم يقترب مني قليلاً.. أشعر بالهرمونات الإجرامية تتساقط على
سطح جلدي فتثير في الخوف.. يحرك يده على حواف فمه مفكراً ثم
يقول:

- عشان خاطر الأصول والمعرفة والمنطقة والحاجات دي..
هستنى.. بس لو الفلوس محضرتش كاملة والـ 50 جنيه قبل الـ 50
ألف.. بعرف أبقى قليل الأصل وأكل ابن منطقتي عادي فشخ..

يربت على كتفي:

- بس إنت شكلك ابن ناس ومش حمل إنك تتحط ع الزلافة..
صح؟

وصح الصح لو أردت.. بل أكبر علامة صح في التاريخ الحديث..
علامة صح ثوَّع في أكبر ميادين العالم ويأتي لها السائحون من
كل مكان ليتصوروا أمامها كأنهم يسندونها، وتكون عنصرًا مهمًا من
عناصر الدخل القومي..

يتركني جبر لأبرر لأمي كل ما يحدث:

- ده بتاع الدليفري اللي كان بيوصلي الجهاز الصبح.. كان في غلطة
في الحساب..

يبدو أنها لا تصدقني.. ولكن كل ما كان يشغلني الآن أنا أعود لعالم
اللعبة..

لقد بدأت أفهم عدة أشياء واضحة.. وأنا داخل اللعبة لا أتذكر
حقيقتي.. الشخصيات داخل اللعبة يشبهون شخصيات عالمي
الحقيقي وبنفس أسمائهم.. وأني داخل اللعبة مطارِد وهارب من
الحجز وأغمى عليّ وسط كل ذلك..

النظارة.. الفضاء.. 3.. 2.. 1.. ينسحب كل شيء..

أفتح عيني رائحة الغابة تملأ أنفي.. تملأ أنفي حرفيًا فهناك ورقة
شجر داخل أنفي ومجموعة من الأغصان والأوراق تخفي جسدي
تمامًا وأنا محشور بين أطراف جذر الشجرة الضخم..

وقبل أن أتحرك.. كانت هناك خطوة قريبة للغاية وصوت خفاجة:

- حد شافه؟

- لا بس في صوت حركة هنا..

الأخيرة كانت من أحد الحراس.. يبدو أنهم يعبثون حولي.. يتسلل رقيقي بصعوبة شديدة على حلقي الحجري.. قبل أن يسري في المكان صوت صهيل حصان والذي أطلقه مارو بصفارة خشبية معه.. انطلق خفاجة خلف الصوت.. واستطاع مارو أن يشتته ليأخذه بعيدًا عن المكان.. ثم كان ينتظره أعلى شجرة قفز من فوقها وأسقط خفاجة..

ثم امتطى حصانه وانطلق به، كانت خطة هروب لا يعيها إلا أنه تركني وحدي أسفل أوراق الشجر، وشيء آخر.. تلك الرصاصة التي أطلقها خفاجة على قدم الحصان.. ليسقط أرضًا ويستطيع القبض على مارو..

يمسك الحراس مارو ويركعونه أرضًا.. بينما خفاجة يشعل سيجارته:

- فين اللي كان معاك؟

- محدش معايا أنا طول عمري لوحدي..

يقولها مارو مازحا لا يهتم بكل ما يحدث.. يقوم خفاجة بركله في المعدة.. وينزل بجسده ليكون في مقابل وجه مارو:

- من معرفتي بيك فأنت هتقعد تلعب بالكلام ومش هتديني

الإجابة اللي أنا عايزها.. اللي هربته ده جاسوس.. وكان هيتنفذ عليه الإعدام بكرة الصبح.. فلو مظهرش في حد ثاني هيتنفذ عليه الحكم..

يطفىء السيجارة في يد مارو ليصرخ بشدة.. ويكمل خفاجة:

- بتوقع؟ اعتبره تمرين بقى عشان بكرة..

ثم يقتاده الحراس حتى واجهة القسم ويقومون بربطه من يديه.. كنت أراقب كل هذا من أسفل الأغصان التي يبدو أن مارو خبأني أسفلها عندما أغشي علي..

وفجأة سمعت صوت حركة خلفي أفزعني بشدة..

التفت.. لأجدها ندى وقبل أن أتكلم وضعت يدها على فمي لكيلا نسمعنا أحد.. وتحركنا بهدوء لنبتعد عن المكان.. سألتها عن الأرض وما الذي يحدث هنا.. فحككت:

- الحكاية بدأت من سنين كثير من قبل ما آجي للدنيا.. البشر بعد ما وصلوا لكل المعرفة والراحة اللي كانوا بيحلموا بيها.. كل حاجة أتقلبت.. حروب.. أمراض.. كوارث.. البشرية انتهت.. ومبقاش فاضل غير مجموعة اتقسموا، وكل مجموعة منهم عملت أرض تعيش فيها.. أي حد بره الأرض بيعتبر جاسوس مش معروف نيته.. والحقيقة إنني بساعدك عشان عايزة أخرج من المكان ده.. ونفسي أشوف الناس والأماكن بره السور وعايزاك تساعدني في ده..

أبعدت نظري عاليًا أنني أخذل طلبها الآن:

- بس أنا مش فاكّر حاجة.. أنا حاوت أبعد عن الأرض ومشيت في عكس الطريق وصلني ثاني للبوابة.

تبتسم ابتسامة تنكسر على جانب قمها:

- عشان كده اسمها أرض القدر.. واضح إن الشخص اللي كنت
فاكره هيساعدني أخرج.. هو شخص الأرض اخترته يكون فيها..
أخبرتني أن وجودنا في الخارج الآن خطر عليّ ولا بُدّ أن خفاجة
ورجاله يبحثون عني الآن.. وأنها ستخفيني الليلة حتى نجد طريقة
لننقذ بها مارو قبل أن يأتي الصباح..

في هذا الأسطبل الذي يتبع منزل ندى مددت جسدي على الأرضية
اتخذت بعض الوقت ليعتاد جسدي على رائحة الروث والقش
وصوت أنفاس الحصان وصهلته المكتومة حتى نمت أخيرًا..
عندما عادت الشمس أيقظتني ندى وأعطتني غطاءً للرأس لأخفي
وجهي لكيلا يراني أهل البلدة.. ولكن الكثير من الأعين كانت تراقب
تحركنا.. حتى وصلنا لهذا المنزل الصغير.. قبل أن تطرق الباب سألتها
عن صاحب المنزل.. فردت:

- ده الشخص الوحيد اللي ممكن يساعدنا..

ينفتح الباب عن شخص عجوز رث الثياب.. بل وضرير أيضًا لا
يرى.. لا أقصد شيئًا، ولكن لو أن هناك هرمًا تسلسليًا لمن ممكن أن
يساعدونا فهذا الشخص في قاع الهرم.. سأل بصوت المتعب عمّن
بالباب.. فردت:

- أنا ندى يا عم نصر.. ومعايا ضيف..

أفسح لنا المجال ودخلنا وجلسنا على وسائد مهترئة على الأرض حتى انتهى من الحكى، وصب لنا العم نصر مشروبًا يميل إلى الأصفر رشفة واحدة كفيلة بأن آخذ قرارًا بأنني لن أشرب هذا الشيء إلا لو كان سينقذني من الموت ولن يكون قرارًا سهلًا.. كانت الجلسة تكشف جزءًا من ساق ندى.. سرحت للحظة في ذلك ثم أبعدت عيني لتسقط على هذا السيف المعلق على الحائط.. وقفت وذهبت لتأمل؛ سيف غريب ذو يد تحتوي على ماسات ذات ألوان مختلفة داخل كل منها رسمة مختلفة خطان متقاطعان ودائرة.. وأقسم إنني رأيت السيف يلمع للحظة .. كانت ندى تنهي حكيها.. ليرد العم نصر:

- وإنتي عايزة مني إيه يا بنتي؟

- عايزاك توقف خفاجة..

كان رد ندى سريعًا واضحًا.. لكن عم نصر ابتسم في سخرية:

- أنا يا بنتي يمكن أكون قدرت أوقف الغربان السود مرة.. رغم إن التمن كان إن الدنيا تبقى سودا لحد ما أموت.. بس ما أقدرش أوقف خفاجة..

كانت أول مرة أسمع مصطلح (الغربان السود) دعني أخبرك بالمهم أن تعرفه الآن.. الغربان السود هم السبب الأساسي لخوف الحراس من دخول الغابة.. وهم المتهم الوحيد في اختفاء الأطفال الثلاثة..

لا زالت ندى تحاول حث عم (نصر) أنه الأوحد القادر على إيقاف خفاجة وهو يرفض.. وسألها:

- هيسمع كلامي بصفتي إيه؟

- بصفتك أبوه..

كانت مفاجأة أخرى بالنسبة لي.. وارتسمت مشاعر الحزن على وجه عم نصر وأثرت على صوته وهو يقول:

- ولو خفاجة يعمل حساب لأبوه كان زماني عايش العيشة دي! أنا متساب للموت يا بنتي..

كان وجه ندى الآن صالحًا تمامًا ليوضع في القاموس بجوار كلمة (شعور الخيبة).. وما قطع جلستنا هو أصوات عالية قادمة من الخارج من أهالي البلدة.. جعلتنا نخرج من البيت لنرى ما يحدث.. لا أقصد شيئًا لكن عم نصر لم ير معنا ولكنه كان يسمع..

أهالي البلدة كلهم يجرون في اتجاه واحد.. وسألت هذا المراهق عما يدور فأخبرنا:

- في مجرم هيتعدم عند البحيرة..

نظرت لندی فقد كان واضحًا أنه يقصد مارو..

(10)

لم أكن أعرف مارو من قبل، ولكن ما أعرفه أنه من النوع الذي تشعر أنه يتعامل مع الحياة كلعبة.. مرح.. متحرك.. لص وليس جدًا للحد الأقصى فقد كان يهرب وتركني.. ولكنه أيضًا أنقذ حياتي..

هذا الخليط جعلني مهتمًا بأن أنقذ حياته ولكن لا أعرف كيف أفعلها..

عند البحيرة تجمع أهل البلدة.. أخفيت وجهي ودسست نفسي وسط الجموع لأشاهد مارو الذي أجلسوه على ركبتيه وكمموا عينيه وفمه وهناك حارس يقوم بصب الزيت عليه.. بينما خفاجة يكلم الجمع:

- القانون هو الحاجة اللي بتحمي الأرض.. وإلا هنبقى شبه الغابة.. والقانون لازم يكون قاسي وصعب عشان أي حد قبل ما يكسره يفكر مليون مرة.. وإن كان كل عقوبات السرقة مجبتش نتيجة.. فاللي متأكد منه إن عقوبة مساعدة جاسوس وتهريبه صعب تتكرر.. عشان كده قررت الحكم على المجرم بالإعدام..

- أنا الجاسوس اللي بتدور عليه..

التفت الجمع نحو صاحب الصوت.. وهو أنا.. وقفت ندى متعجبة مما فعلته... أقول بينما اثنان من الحرس يمسكان بي بسرعة لأجاور (مارو):

- بس لو عندك دليل واحد إني جاسوس طلعه.. لو عندك أي دليل إني جاي هنا في أذى قول هو إيه؟!

يأتي أحد الحراس بدلو نحاسي ممتلئ بالزيت ليستعد لصبه عليّ
أنا الآخر، بينما يفرقع خفاجة رقبتة ولا يشعل سيجارته وإلا نشبت
في الزيت والجمع، وتحولت لحفلة شواء عالمية ويقول:

- ديلي إن بلدنا مبتقبلش الغرباء.. ودخولك هنا ما بيتمش إلا في
حالتين إنك من أهل البلد أو معاك تصريح ودعوة من حد من أهل
البلد.. وإنت ولا من أهلنا ولا حد منّا يعرفك..

- أنا أعرفه.. وأنا اللي طلبت منه ييجي الأرض..

كان صوت ندى التي تجاوزت الجموع وأصبحت وسط الدائرة..
كان يبدو الضيق على وجه خفاجة.. وسمعت صوت ندى عميقًا غير
مفهوم.. ولكن شفاها لا تتحرك.. لا أفهم ما يحدث تهتز الرؤية و...

في غرفتي المألوفة كانت ندى تمسك النظارة التي خلعتها عن
عيني وهي تنادي:

- حسين.. حسين..

أفرك عيني وتبدأ تضح الرؤية كأنها كاميرا تركز على الشخص
أمامها.. توضح ندى:

- كنت معدية جنب الأوضة سمعت صوت المنبه شغال بقاله
شوية.. فخوفت تتأخر على شغلك..

الشغل!! قفزت من مكاني أبحث عن موبايلي.. الساعة 9 وربع
والآن.. ما يعني أنني سأصل متأخرًا ساعة كاملة على أقل تقدير

وفقًا لحركة مرور القاهرة، وعلى المقيمين خارجها مراعاة فروق التوقيت..

“ساعات طويلة مرت داخل أرض القدر.. وأنا هناك أنسى كل ما يربطني

بهذا العالم.. لكن نسيانك للعالم لا يعني أنه سيتوقف عن دورائه..
نسيانك للعالم لا يعني أن صراعاتك فيه ستنساك..

كان من الواضح أن العالم الحقيقي كان ينتظرني..”

أقف أمام مدير الفرع الذي يقلب في الأوراق.. ثم يفك نظارته التي تنفصل لجزئين عن عينه ثم يقول لي:

- كنت متخيل إنني لما لفت نظرك المرة اللي فات إنني المستوى والتركيز هيتحسن بس واضح إنه بيقل.. اعتذارات.. غياب.. تأخير..
إنت عارف لو ده اكرر فإنت بتكتب نهايتك في المكان؟

“يجب أن أركز أكثر.. يجب ألا أخسر الواقع”

عدت لمكتبي بعد أن وعدت (مستر حازم) أنني لن أكرر أخطائي..
وما بين رغبتني في التركيز في العمل وبين محاولة استماعي لما يحدث داخل شركة سوشيال. أمسك ميداليتي أعبت بها لاكتشف أنني فقدت دلالة البومة.. هل أسقطتها وقت السرقة؟

الحقيقة أنني بالفعل أسقطتها، وأصبحت الآن في يد مراد الذي يقود بنفسه التحقيق في حادثة السرقة لكنني لم أكن أعرف كل هذا بعد..

أنهيت شغلي اليوم بوضع الطيار الآلي لا أركز في أي شيء
فدماغي كانت مشغولة بشيء أكثر إلحاحاً.. حتى إنني أمسكت
بنفسي أنهى مكالمة مع عميل:

- شكراً لحضرتك يا أفندم.. شرفتنا باتصالك..

أنهيت المكالمة وأنا لا أعرف ما المشكلة وهل حللتها أم لا.. ولا
أعرف كيف وصلت لأن رأسي تستند على زجاج الأتوبيس.. أفكر في
الأمر الملح (كيف سأتي لجبر بنقوده؟)

أخذتني قدمي لـ (هند) وفي الجاليري أو مزرعة القلط كنت
أمسح وبرة من على وجهي، وأنا أطلب منها أن تقرضني المبلغ..
ضحكت وهي تقول:

- 50 ألف جنيه!! وإنت يا ابني لو فكرت أنا معايا 50 ألف جنيه
كنت هفضل عارفاك! وبعدين إنت عايز المبلغ ده كله في إيه؟

- محتاج أشتري حاجة..

كانت تعرفني وتعرفني عندما أكذب.. ولكنها طاوعتني لكيلا
تضايقني:

- هتشتري عربية.. ولا ناوي تفرحني وتقولي هتتجوز..

تمتت بيني وبين نفسي، ولكنها سمعتني أقول:

- شكلي كده مش هلحق..

تركت القهوة التي كانت لا تزال تعدها وصاحت في:

- ليه يا ابني بتقول كده وتقف لها في وشي.. ما إنت لو اتجوزت

يبقى في أمل إني كمان أتجوز... بس عروستك لازم أوافق عليها..

أخبرتها أن الأمر ليس له علاقة بأي زواج وأن المبلغ المطلوب لو لم يحضر خلال يومين ثلاثة سأقع في مشكلة كبيرة.. قامت عند درج البيع وهي تأتي بنقود من داخله:

- أنا لو معايا المبلغ مش هتأخر عنك.. دول 5000 جنيه كنت شايلاهم للإيجار.. خليه معاك.. يمكن يساعدوا في أي حاجة.. حتى لو مش عايز تقولي هي إيه الحاجة..

وأعطتني نظرة تعني بوضوح أنها ستتركني بمزاجها.. أخذت النقود ورحلت..

عندما وصلت عند بيتي كان خفاجة يخرج من الباب وهو يصيح:

- ورحمة أبويا يا ندى لو ما لميتي الدور ورجعتي بيتك بالذوق لأرجعك بالعافية.. خليكى شاهدة يا أم حسين إني بتعامل بالذوق للآخر..

يصطدم بكتفي فيقف ليوّجه لي كلامه:

- عقل بنت خالتك عشان كل واحد ليه آخر..

يقولها وينصرف.. أدخل الشقة التي تبدو وكأنها ساحة حرب حصلت على هدنة للتو.. أرى ندى وعينها اغرورقت بالدموع وتتحرك بسرعة نحو البلكونة.. أنظر لأمي متسائلا فتخبرني:

- خفاجة كان عايز ياخدها ع البيت بالعافية.. الحمد لله إنك جيت دلوقتي.. ربنا ينتقم منه.

مرت ساعة وندى لا زالت في البلكونة.. حتى تجرأت وذهبت لأقف معها أحاول أن أفهم ما يدور.. كانت عيناها لم تجفا بعد من الدموع وهي تخبرني:

- أنا معرفش خفاجة ممكن يعمل فيا إيه لو حكيت أي حاجة!

- أي حاجة هتقوليلها هتبقى بيني وبينك بس لو مش مرتاحة إنك تتكلمي بلاش..

- أنا عايزة أتكلم بس ساعات بحس إن الكلام ملوش لازمة.. في الآخر كل العيلة هتزقني إني أرجع بيتي وأخلي بالي من جوزي وأركز عشان أجيب عيل..

هززت رأسي وارتسمت على شفتي ابتسامة بطعم المرارة.. فبالفعل هذا تفكير العائلة فـ (ندى) أصبحت مشكلة يجب أن تحل بعد وفاة والديها، والحل الأمثل لكل مشاكل العصر هو الزواج طبقًا.. وقبل أن أرد كانت وصلت لأقصى نقطة ويجب أن تفرغ ما بداخلها:

- لكن محدش بيفكر أنا عايشة إزاي.. والراجل ده فعلاً ينفع يكون أب لولادي ولا لا.. قلة أدب وعدم تقدير لأي حاجة طول الوقت.. مفيش حاجة مهمة إلا اللي هو عايزه.. ولما كان عايزني وأنا رفضت حاول معايا بالغصب والضرب..

تدمع عيناها أكثر وتكمل:

- كنت زمان فاكرة إن لما أتجوز.. ه يكون هو الراجل اللي بستخبي وراه من أي حاجة مخوفاني.. مش ه يكون هو الحاجة اللي بتخوفني..

سألتها عما تريده هي.. فقالت وهي تمسح عينيها:

- عايزة أكون مرتاحة.. وللأسف مبقاش في مكان عارفة أكون
مرتاحة فيه..

“رغم اهتمامي الشديد بمساعدة ندى في مشكلتها..

إلا أنني كان لدي اهتمام أكبر بأن أعرف هل ساعدتني في العالم
الافتراضي أم لا؟”

النظارة.. 3.. 2.. 1..

(11)

عدت من إغماءتي المتكررة مجهولة السبب.. كان الليل قد حل
وكنت في المستشفى وحولي كل من ندى ومارو والطبيب الذي
يؤكد أن الدواء الذي تم إضافته في المحلول هو ما جعلني أفيق..
وأنه يجب أن ألتزم بالأدوية لمعالجة إغماءاتي الغامضة..

ينصرف الطبيب بينما مارو يقف ويتحرك في المكان فهو لا
يستطيع أن يبقى ثابتًا أبدًا، ويلومني:

- أنا عايز أعرف هو إنت مبيغماش عليك إلا لما يكون في مصيبة؟!
رددت بصوت متعب:

- هو أنا من ساعة ما جيت هنا ومفيش حاجة غير المصايب أصلًا..
يشير لي مارو بسبابة متحركة بمعنى أصبت ثم يعقب:

- بس المصيبة دي بقى ندى طلعتنا منها.. بس في مشكلتين.. إن
الآنسة ندى دخلنا في مصيبة جديدة.. وإني مش عارف أخلص من
ريحة الزيت دي..

يقولها وهو يحك يده على أمل أن يتخلص من رائحة الزيت..
ألفت لندی وسألته عن المصيبة الجديدة فردت:

- أنا قولت لخفاجة ولأهل البلد إن أنا اللي بعثلك تيجي هنا علشان
تساعدنا نوصل للأطفال اللي تاهوا في الغابة..

أمارات الغباء وعدم الفهم واضحة تمامًا على وجهي.. فيوضح
مارو:

- ليه بقى هي طلبت مساعدتك؟! عشان الحراس بقوا خافين ينزلوا الغابة.. ليه خافين؟! عشان الغربان السود..

أظن الرؤية بدأت تضح والصورة يكملها مارو:

- الغربان السود.. هما الموت.. وهما أصعب كابوس.. محدش بيقابلهم وبيرجع.. ولو رجع صعب يرجع زي ما كان.. اسم لما تسمعه لازم تهرب.. بس إحنا هنروح للغراب في عشه.. شفت بقى الأنسة ندى عاملة معانا واجب إزاي.. إحنا هنتحرك بكرة مع الغروب.. لو عايز تكتب وصيتك يدوب تلحق..

لا يوجد حتى وقت لكتابة الوصية.. أوضحت ندى إنها لم يكن لديها حل آخر لكي تنقذنا من الإعدام، فأخرجت خفاجة أمام أهل البلد لكي يكون مجبرًا على الموافقة.. فلو رفض سيعني ذلك أنه لا يهتم لأطفال البلدة.. أخبرتها:

- أنا مش متضايق.. يمكن أنا موجود في الأرض دي عشان دوري فعلاً في الحكاية.. طالما مش فاكر فالدور اللي هيختاره القدر هيبقى مكاني..

صفق مارو لي ساخرًا، بقيت في المستشفى بأمر الطبيب حتى جاء الصباح، ولم تتوصل رأسي إلا لفكرة واحدة وهي أن هناك شخص يجب أن أقابله أقف على عتبة منزله الآن.. قلت لأوضح له من أنا:

- أنا س.. أنا اللي جيت..

فيكمل عم نصر:

- مع الآنسة ندى.. أنا كنت مستنيك..

دخلت إلى المنزل وجلست مع عم نصر.. أشعر من لقائه أنه يبدو عليه سعادة خفية لا أعلم سببها.. وهو يصب العصير الغريب في كوبى، وقال وهو يسقط بعضاً منه ولا أقصد شيئاً لكنه لم يكن يعرف أن الكوب امتلأ:

- من يوم ما جيت هنا وأنا عارف إنك هتيجي تاني.. إنت أول واحد تقف قدام السيف ده.. إيه اللي خلاك تقف قدامه؟!

يعرف أنني وقفت أمام السيف! قلت أي كلام.. فسألني:

- يعني محسيتش إنك عايز تشيله من مكانه؟ مش جاي دلوقتي عشان تسألني عنه؟!

لا أنكر أن السؤال فاجأني فهذا الشعور مَرَّ بي بالفعل وقتها للحظة.. ثم أوضحت:

- أنا جاي أسألك عن الغربان السود.. إنت الوحيد اللي قابلتهم ولسه عايش..

يضحك عم نصر ويشرب عصيره الغريب:

- ما هو إنت كده بتسأل عن السيف برضه.. هو ده الحاجة الوحيدة اللي أنقذتني يومها وخلتني أرجع عايش.. وإنت رايح تقابلهم ومحتاج السيف.. صح؟!

- إنت عارف كل ده إزاي؟!

كيف يعرف ما بداخلي قبل أن أقوله.. كنت أشعر به كأنه يقرأ

رأسي كأنها كتاب مفتوح بدون مجهود.. ويكمل:

- اللي إداني السيف ده زمان.. قالي إن في يوم السيف هيلمع لحد هيقف قدامه.. وإنه هو صاحبه الحقيقي.. إنت مش شخص عادي.. أنا استنيتك سنين والأرض دي مستنياك من سنين أكثر..

قشعريرة تمر على ظهر ذراعي وشعور أكيد بأنه مخطئ.. لا أقصد شيئاً ولكن عينه الراحلة أكدت لي ذلك فقلت:

- أنا!! إنت أكيد غلطان.. أنا ما أعرفش حاجة ولا فاكرا اسمي أصلاً.. إنت أكيد متلخبط..

فردّ وهو يقف يتحسس طريقه ليأتي بالسيف:

- أنا هعمل اللي شايفه حتى وأنا ضرير السيف ده ملكك.. والأيام هتثبت مين فين اللي مش شايف صح.. أتمنى يكون إنت..

أخرجت السيف ليظهر نصله اللامع الذي يبشر أن هناك حكاية كبيرة تبدأ..

مع رحيل الشمس اليومي وصبغها للسماء باللون الأحمر.. كنت أقف مع مارو أمام القسم.. وبينما يتم إعطاء كل منا حصان وسلاح وبعض الموارد كان خفاجة يتلو ورقة..

كانت ندى تراقبني من بعيد رأيته وكانت تومئ لي مشجعة.. بينما صوت خفاجة لا زال يرن في أذني:

- باسم أرض القدر.. يتم إعطاؤكم لقب محارب للذهاب في مهمة

أشبهه بالمستحيل، وده اللي بيعمله المحارب الحقيقي يذهب إلى قدره ولو كان مستحيلًا.. ويلاقى دايماً طريق للفوز وطريق للرجوع..

كان شبح ابتسامة الشيطان واضحاً من أسفل شارب خفاجة.. نتحرك بالأحصنة بينما يقول مارو ساخراً مقلداً طريقة خفاجة:

- قالك المحارب الحقيقي يذهب إلى قدره.. طب ما لو هو محارب حقيقي ما يذهب هو ويريحنا طيب..

ابتسمت ثم سألته أين كان طوال اليوم فقد كان مختفياً.. ليرد:

- كنت بدور على حاجة تساعدنا في الورطة اللي إحنا فيها دي..

التفت له وعيني تسأل عن الإجابة ليخرج خريطة قديمة مهترئة.. وهو يقول:

- الخريطة دي هتوصلنا لطريق يبعدنا عن الغابة ندور حولها ونهرب من الناحية الثانية..

لم أكن متوقعاً أن هذا ما يريده ولكنه أكمل يوضح وجهة نظره ليقتنعني:

- أومال إنت فاكّر إنني رايح أحارب الغربان السود فعلاً.. إنت متعرفش الغربان.. أنا هنا من سنين.. الغربان دول محدش يعرف هما إيه.. كله بيقول خيالات سودا تشوفها تعرف إن ميعاد موتك جه.. واللي رجع يحكي الحكاية كان خسران حاجة من جسمه.. لا حد يعرف هما إيه ولا عايزين إيه.. وأنا عارف مكاني كويس أنا حرامي مش محارب..

يكمل حكايته:

- أنا أصلاً حكايتي غريبة زيك كده.. أنا مش من ولاد أرض القدر.. وأهلها عمرهم ما اعتبروني منهم.. رغم إني هنا من وأنا طفل.. لا بيرضوا يشغلوني وقليل منهم اللي بيساعدني.. والإنسان بيحتاج ياكل.. فأعمل إيه؟ كل يوم يومين أسرق حاجة.. أروح الحجز أقعد يوم يومين.. أهرب.. وأهي ماشي كده.. ده أخري في الشقاوة.. إنما بقى تقولي إعدام وغربان.. يبقى اهرب خالص..

- بس أنا مش ههرب..

- تبقى حمار..

قالها مارو وكان واضح أنه اتهام مباشر بالغباء بشكل سيعرفه الغبي.. قلت ليفهم:

- أنا عايز الفرصة دي.. ممكن أعرف أكون واحد من أهل الأرض ويقبلوني..

- وإنك فكرك إني كنت طول الوقت حرامي.. أنا حاولت بس هما مبيقبلوش حد بزايمهم.. افهم.. لو مت حتى عشانهم مش هينسوا إنك غريب..

فانفلت الحقيقة من بين لساني بسرعة:

- أنا عايز الفرصة دي عشان نفسي..

- يبقى مع نفسك..

كان هذا رده ولا أستطيع أن ألومه.. كنا في تلايبب الغابة الآن ينظر

مارو حوله ليكتشف المكان ثم ينزل عن حصانه وهو يقول:

- إحنا نخيم هنا النهارده.. والصبح كل واحد يشوف طريقه.. عايز
تيجي معايا وأنا بنصحك بده يبقى خير وبركة.. مكنش.. يبقى
اتقطعت بينا الطرق.. يا س.. حافظ ع الاسم ده بقى..

قالها مبتسماً.. ما كان يعتمر داخل قلبي أنني أريد أن أحافظ على
الاسم وعلى من منحني إياه، ولكن وجهته كانت واضحة..

خيمننا هنا الليلة ولكن الحصات أسفل ظهري جعلت النوم غاية
صعبة الإدراك.. حتى عندما غفلت عيني قام هذا العنكبوت بعملية
إنزال على وجهي ليكدرني.. حتى نمت أخيراً..

(غاااا... غاااا.. غااا)

صوت يحمل نذر الشؤم في العالم مجمعة.. نعيق غراب مرتفع
أيقظني.. حاولت إيقاظ مارو، ولكنه أعطى لي ظهره..

تحركت مثنياً ظهري أبحث عن مصدره.. أعلم أن ما أفعله غباء،
ولكن هذا ما حدث.. الصوت كان غريباً لدرجة تجعلك تريد أن تعلم
مصدره..

اتخذت خطوات وخطوات وراء الصوت.. حتى وجدت نفسي في
مساحة تحيطها الأشجار.. وبدأت ألحظ ظلالاً سوداء تتحرك حولي
بسرعة شديدة.. التفث لها.. فيلمح طرف عيني ظلاً آخر.. التفث..
هناك آخر وآخر..

ورأيت كل تلك الظلال تقترب مني.. سقطت أرضاً وأخفيت يدي
بوجهي وصرخت..

(12)

صرخت مثل المرأة الحامل وقت المخاض:

- مارو..

لم تنقذني صرخاتي، أنظر تجاههم.. كانوا أربعة يتشحون بالسواد وعلى وجه كل منهم قناع حديدي مغطى بجلد أسود فيبدو كراس غراب.. يتحركون تجاهي في حركة متزامنة.. أبحث عن فجوة بينهم لأهرب منها وهو ما أفعله وأنا أصرخ:

- مارو..

أستمر في الركض بين الأشجار.. وأقفز لأتجاوز تلك الشجرة النائمة أرضًا.. أدخل بين ممر من الأشجار وأنظر خلفي لكي أتأكد أنه لا أحد ورائي.. يبدو أنني قد أضعتهم..

وفجأة أجد أحدهم أمامي.. أعود بظهري للخلف.. فيقترب مني.. خطوات للخلف فيتخذ خطوات.. أسقط أرضًا وهو يقترب.. أنهار العرق تتفجر من رأسي.. أبحث بعيني عن أي شيء ينقذني فلا أجد إلا هذا الحجر.. لا السيف.. أمسكه بقوة.. و...

تبيض عيني مغشيًا علي..

كانت والدتي تمسك النظارة بعد أن خلعتها عن عيني أصرخ بها:

- ليه يا ماما شيلتي النظارة دلوقتي.. ليه؟؟

- مالك يا حسين؟! الساعة بقت 12 ومخرجتش من أوضتك
فجيت أصحيك..

12!! أي 12 هل نحن صباحا أم مساء؟

أنا حقًا أعترض يبدو أنها الثانية عشرة ظهرًا.. أقفز من مكاني
وأرتدي ملابسي الموضوعة على السرير بسرعة وأنا ألوم والدتي:

- يا نهار أسود.. أنا كده هترقد وأستاذ حازم أصلًا واقفلي على
غلطة.. ليه سايبني نايم كل ده؟

- هو إنت يا ابني مش أجازتك الجمعة!

الجمعة.. هذا أمر يستحق حمد الله وشكره.. بينما والدتي متعجبة
من تصرفاتي، وأظن أنها متأكدة أن ابنها أصبح مختلًا بالكامل ولا
ألومها في ذلك.. سألتها لماذا أتت لتوقظني رغم أنه يوم الإجازة..
فقالت:

- عشان تقوم تصلي ولا مش هتصلي النهارده؟

أنظر لها وللجهاز الذي أريد العودة له.. ثم أقول:

- لا هصلي طبقًا.. متخليش حد بس يدخل الأوضة..

وأذهب للحقّام لكي أفرغ مائتي وأغسل وجهي.. ثم شعرت بأني
عطشان للغاية.. لم أشرب منذ مدة نهلت من الصنبور مياها معدنية
بقوة صدأ المعادن.. ثم توضأت وخرجت وكانت والدتي تنتظرني
ممسكة فوطة تناولني إياها وهي تقول:

- خد بالك إنت لسه مقولتليش إيه اللي واخد دماغك وملخبطك

وتشير برأسها ناحية الغرفة.. تهربت من سؤالها وبدخلي كانت الإجابة..

"إنه الحلم الذي وجدته أخيرًا.. وكل خوفي أن يتحول لكابوس".
ما أعلمه أنه لن يفهم أحد أنه رغم حربتي في الواقع كنت أشعر أنني مقيّد، كلماتي وحركتي لا ينطلقون بسهولة.. أما في العالم الافتراضي فقد بدأت أشعر أنني إنسان حر رغم كل القيود.. أشعر أنني آخذ نفسي لأول مرة في الحياة..

وعند نهاية شارعني يقع الجامع الذي كنت أصلي فيه منذ الطفولة.. ولا أقول إنني ملتزم دينيًا.. فقد كنت أمشي على سطر وأتجاوز سطورًا أخرى..

لم أجد أيّ عمود فارغا لأسند ظهري.. وتربعت في أحد الصفوف لأصبح هدفًا لكل من يتجاوزون المصلين وهم يتحركون للأمام ليصدموا كتفي وظهري.. كما أصر الإصبع الصغير لقدم الحاج بجواري على فرم إصبعي.. إصبعه ليس طبيعيًا بالتأكيد يذهب لصالة الحديد..

أنهيت الصلاة وخرجت وسط باعة البطيخ الذين يصيحون:

- حمرا وع السكينة يا بطيخ..

"من الأسئلة الوجودية التي تطاردني.. كيف يكون هناك دائما

باعة للبطيخ بعد صلاة الجمعة سواء كنا في الصيف أو الشتاء؟

ولكن السؤال الأهم الذي يجب أن أعرف إجابته..

ما الذي يدور في شركة سوشيال الآن”

لذا أخرجت الموبايل الذي كنت قد ثبت عليه البرنامج الذي ينقل لي مكان وصوت جهاز التتبع الموجود أسفل طاولة الاجتماعات..
و.. لكن توقفت فجأة بجواري تلك السيارة الـ 127 حمراء وطلّ جبر برأسه منها:

- حرقاً يا عسلية..

وفرك أنفه الزيتي كعادته.. أربكني وجوده سألته عن حاله، فردّ مبتسماً:

- أنا حلو طول ما إنت حلو.. اركب.. اركب..

اركب الأولى كانت لطيفة.. اركب الثانية كانت مخيفة لا تقبل الرفض..

توقف جبر بالسيارة جوار الخرابة التي تحتوي على قمامة منذ عصر الديناصورات.. كان مسندا على سيارته وهو يرد على طلبي أن يؤجل الدفع:

- لا ما هو مش كل يومين هتقولي كمان يومين.. إنت مش بتكلم هتية لا مؤاخذه..

كان الخمسة آلاف جنيه لا زالوا في المحفظة ناولتهم له وطلبت أن يصبر عليّ في البقية.. كان يعدّهم وهو يقول:

- كثير قوي 45 استنى عليهم.. أنا مبعرفش أناام وأنا فلوسي مش متدفية في جيبى..

- هتصرف.. قولي ممكن أعمل إيه تاني!!

فرك جبر في ذقنه.. لا بُدَّ أن يفرك في شيء وهو يفكر:

- لا هو في كثير ممكن يتعمل.. ممكن أقول للمتر وهو يتصرف مش إنتوا قرايب.. أو نبيع بقى الجهاز اللي إنت سرقتة خردة.. شكله غالي ممكن يجيب الـ45.. أو...

صمت جبر وكأنه يتأكد من نظرة عيني إلى أي مدى الجهاز مهم لي وسأفعل أي شيء لكي يتركه.. وبعد أن تأكد أكمل:

- أو تهب معايا ع الشقة اللي رايحها النهارده..

- إنت عايزني أسرق معاك!

- ده على أساس إنها أول مرة! ده اللي عندي تسد فلوسك شغل معايا.. وكل حاجة ليها تمن.. فكر وقلبها ومنتأخرش عليا.. عشان أنا ليا وش تاني غير اللي إنت شايفه ده خالص..

قالها جبر وركب سيارته ورحل تاركاً إياي هنا في الخرابة وحدي..

“الصوت الذي كان يصل لي من الشركة توقف ولا أعرف السبب..

ولا أعرف هل مُث داخل العالم الافتراضي أم لا..

ولا أعرف ما الذي سيورطني جبر فيه”

كانت ندى تنهي صلاتها ثم اقتربت وأنا أقف في البلكونة أحاول مع السماع مرة أخيرة.. فأخبرتها أنني أريدها أن تنفذ أمرًا لي.. ولكن قبل أن أكمل رن موبايلها نظرت للرقم وأغلقتة بضيق.. فسألتها:

- ده خفاجة؟

أومأت برأسها أنه هو، وقالت وهي تضع الهاتف بعيدًا عن يدها:

- عمال يكلمني من أمبارح.. بس مش قادرة أرد عليه..

- اعملي اللي يريحك يا ندى..

ولا أريد ظنونا سيئة لم أقل ذلك لأنني أريدها ألا تعود لخفاجة، ولكن كنت أريدها أن تكون مرتاحة فقط..

.

.

بصراحة ولأني لا أريدها أن تعود لخفاجة.. ذي شارب المقشة.. سألتني عن الأمر الذي كنت أريده.. فقلت:

- عايزك تحبسيني..

نظرت لي غير فاهمة.. فأوضحت لها أنني أريدها أن تغلق عليّ باب غرفتي وتأخذ المفتاح وألا تسمح لأي شخص يدخل عليّ... حتى الساعة العامنة تفتح الغرفة وتخلع عني النظارة.. لأن هذا يتبع عملاً مهمًا يجب أن أركز فيه.. أغلقت الباب.. أمسكت النظارة وكلي لهفة أن أعرف..

“هل أنت حي أم مُت يا س؟”

النظارة.. 3..2..1..

فتحت عيني لا أعلم ما الذي أراه.. ولكن عيني تؤلمني بشدة ومحاولة أخذ نفس أثبتت لي أنني تحت المياه.. ينتفض جسدي بقوة بشكل معاكس ليد مارو التي تدفع رأسي للأسفل.. ثم يسعل صدري ليترد كل نقطة مياه..

- خضتني يا س كنت فاكرك مُت..

يقولها مارو وهو يتركني.. فقلت وأنا لا زلت أسعل:

- فُقلت تموتني وتخلص..

- الحق عليا إني بفوقك.. ما كنت سبتك ومشيت..

يقولها مارو وهو يتحرك ليجلس بجوار النيران التي أشعلها.. ويقوم بتقليب ذلك الأرنب الذي خوزقه بعصا من مؤخرته إلى فمه.. تمر لحظات يهدأ فيها جسدي ثم أقترب منه وأسأله عما حدث.. فأخبر ما أذكر هو الظل الأسود ذو وجه الغراب الذي كان يقترب مني.. كنت أرجع للخلف ثم سقطت أرضاً..

يقول مارو:

- أنا كنت عايزك إنت اللي تحكي لي.. عشان أنا مش مصدق..

ألمس يد السيف المعلق إلى جانب قدمي.. وأتذكر..

لقد أمسكت بحجر ثم تركته.. يتلوى جسدي على الأرض كنعبان
وأنا أعود للخلف.. الغراب يقترب أكثر وأكثر.. ثم تتحرك يدي لتسحب
السيف عن جانب قدمي.. يهجم الغراب عليّ.. ويكمل مارو:

- أنت قتلت واحد من الغربان السود..

نقف بجوار الجمّة أتأملها ثم أنثني بجوارها ممسكًا القناع يسألني
مارو عما أفعل.. فأجيب:

- عايز أعرف إيه اللي ورا الوش ده..

لم يمانعني لكنه كان قلقًا قليلًا.. نزعت القناع ليتضح أنه شخص
عادي تمامًا.. بدأت أخلعه ملابسه لأجد على كتفه الأيمن وشمًا
لغصني شجر.. يوضح مارو:

- ده وشم رجالة الأمن.. هو وشه كمان مش غريب عليا..

كان رأسي يربط الخيوط معًا.. واستنتجت:

- ده معناه إن حكاية الغربان السود دي أي كلام..

- مش شرط.. لازم الأول أحكيك حكاية الغربان..

احك.. أرجوك أن تحكي.. ولكن صوت نعيق مرتفع صدر فجأة
جعلنا نقفز من مكاننا ننظر حولنا.. صرخ في مارو:

- إحنا لازم نمشي من هنا..

انعنيت على الغراب أفتشه أبحث عن أي شيء يفيدني لم أجد إلا
تلك العملة.. ولكن النعيق أصبح أعلى وأعلى وشدني مارو من يدي،
وامتطينا الأحصنة.. ولم ينس الأرنب بالتأكيد.. ثم انطلقنا..

(13)

بدأت الشمس تشرق على غابة أرض القدر.. لتتخلل أشعتها الأغصان، وتتغير أصوات الحيوانات.. وتتبدد حالة الخوف والوحشة الليلية..

يقرأ مارو الخريطة قبل أن يوجهني لطريقنا.. ويكمل الحكاية وهو يلوك قزمة من ذلك الأرنب الذي لا ينتهي:

- حازم كونه حاكم الأرض أدى لخفاضة أمر إنهم يقطعوا جزء من شجر الغابة.. ويضموا حثة جديدة للأرض يتبني فيها بيوت وشوارع.. الحاجة الوحيدة اللي كانت واقفة قصادهم هي الأطلال.. شكلك جعت تاخذ حثة؟

بالفعل كان الجوع قد بدأ يملكني أخذت منه الأرنب المتخوزق بعد أن أكد لي أنه سيعجبني.. أخذت قزمة وسألته:

- وهي إيه الأطلال دي؟

- دي يا سيدي الأرض اللي بيتدفن فيها محاربين الأرض حولين مغارة قديمة.. متعرفش بقى خفاضة كان شارب حاجة ولا حكايته إيه.. أمر الرجالة يكسرو المغارة دي وساعتها طلع الغربان دي من جواها وقتلوا كل رجالاته.. الأساطير بتقول إن الغربان دول أرواح المحاربين القدامى.. وأي محارب بيموت في الغابة بيبقى منهم وبيحارب معاهم أي حد يدخلها..

رغم اهتمامي بما يحكيه، ولكن طعم الأرنب جعلني لا أمسك لساني عن التعليق:

- طعم الأرنب ده غريب قوي..

- أرنب إيه!! ده فار..

قالها ببساطة إنه دجاجة فلا تضخم المواضيع.. لكن معدتي كان لها رأي آخر وأفرغت ما فيها في لحظة، وصرخت فيه:

- الله يقرفك..

- إيه يا س هو أنا بقولك فار ميت!! ده كان عايش وزى الفل..

أخذ مارو الفار وبدأ يأكل منه مجددًا وكأن شيئًا لم يكن.. بينما كنت أحاول قطع لساني.. ثم يكمل:

- فالحارس ده أكيد مات هنا.. وبعدها أتحول لغراب.. فهمت ولا أنا بكلم نفسي..

لا زلت أحاول استيعاب كل شيء.. وبداخلي رغبة في البحث أكثر، سألته:

- هي فين المغارة دي؟

- واضح إن مشاكلك في النظر قد مشاكلك في الفهم.

ويشير مارو بكتا يديه للمغارة التي كانت أمامنا.. مغارة صخرية وسط الغابة ويبدو أنها تؤدي لأسفل الأرض.. أخبرت مارو بأننا سندخل هز رأسه نافيًا وهو يقول:

- لا لا أنا مش هدخل.. إنت كل مرة يحصل فيها مصيبة بيغمى عليك.. وأبقى مسؤول أحلها لوحدي..

حاولت إقناعه بكل طرق.. لم يقتنع وأتبعني مضطراً..

كانت المغارة أكر برودة من الخارج.. وأصوات خطواتنا يتردد صداها فيها.. نزل على الصخور حتى وصلنا إلى منتصف المغارة التي بدت كأرض ممهدة طويلة..

الممر يحتوي على صفي من الأسطوانات المعدنية الممتدة تخرج من الأرض يصدر منها ضوء أحمر.. تصنع ممراً على جانبي المغارة.. أسأل مارو:

- هو إيه ده؟

- إنت بتسألني!! ما أنا لسه شايفهم معاك!

في نهاية الممر كانت هناك بوابة ذات قضبان حديدية.. تحركت نحوها أحاول فتحها.. يقترب مارو مني:

- ما تيلا نمشي مفيش حاجة هنا..

كان داخلي شعور يهزني أنني سأجد إجابة هنا.. ولكن شعوري بأن الأرض تهتز كان أكبر..

اهتزت الأرض من تحتنا.. وبدأت المغارة تسقط بعضاً من صخورها.. كل شيء حصل بسرعة.. يصرخ في مارو لنخرج:

- يلا بسرعة..

ولكنه عندما نظر نحوي كنت أسقط فاقدًا الوعي..

كانت ندى تهز جسدي بقوة اخترقت عالمي الافتراضي وهزت أرجاءه.. وهي تخلع النظارة عن عيني.. عقلي يمر بلحظة توقف ينتقل من العالم الافتراضي للواقعي أنظر لها فتقول بصوتها الحاني:

- أنت كويس؟

لم أكن بخير ولكني ردت:

- تمام الحمد لله..

نظرت لي وكأنها تتأكد من إجابتي وقالت:

- أنا بقالي دقيقة بحاول أقوّمك.. أنا خُفت.. إنت نومك مكنش تقيل كده..

ابتسم قلبي لأنها تذكر تفصيلة عني.. سألتني عن الجهاز وهل هو السبب، ولكن الساعة الثامنة مساءً والخمس دقائق ويجب أن أنزل.. أقف مع جبر بجوار الشاحنة التي قمنا بها بسرقة الجهاز ومعنا نفس السائق.. يفرك جبر أنفه ويربت بيده الزيتية على كتفي:

- نعيد ثاني عشان زي ما بنقول التكرار بيعلم إيه.. ع الحوار يا عسول.. وبيعلم الحمار برضه..

كان يقصد سبّي، ولكن لا بأس فالسباب لا يلتصق.. يكمل جبر شرح الخطة والتي تتلخص في عدة نقاط.. أولها أنه قام برشوة البواب ليكسر ماسورة المياه الخاصة بالعمارة.. سيشتكى الجيران.. فيخبرهم أنه اتصل بالسباك عدة مرات ولم يرد، وسيذهب للإتيان به..

مما سيعطينا ربع ساعة فقط لا غير حتى نقوم بسرقة كل ما يمكن من أثاث الشقة المستهدفة، والذي نسرقه لصالح مطلقة ستستغله في رفع قضية تبديد..

كنت أقوم بوضع اللغام على وجهي بينما جبر يضع قناع صوفي يليق بمحترف، ويخرج مسدسًا يضعه في يدي وهو يقول:

- ده ماتطلعوش إلا لو اترفع علينا واحد زيه..

أبتلع ريقى وأضع المسدس في جانبي.. سعدنا للشقة كسرنا الريتاج، وقمنا بنقلة وأثناء الثانية خرجت تلك الجارة العجوز ذات الشعر الأبيض الملفوف تسألنا عما نفعل.. أتذكر ما قاله جبر عن أن الجيران سيخافون أن يدخلوا أنفسهم في مشكلة ليس لهم علاقة بها.. ولذا كانت نظرة واحدة من ذكر الدب المدعو (جبر) كفيلة بأن تدخل العجوز شقتها وتغلق بابها بكل الأقفال..

لكن ونحن ننتهي قابلتنا مشكلة.. إنه صاحب الشقة نفسه.. اقترب منا ونحن نضع الكرسي الأخير وصرخ:

- ده الأنتريه بتاعي.. إنتوا حرامية.. أنا هوديكو في 60 داهية..

دعنا من اسم صاحب الشقة، ودعنا نركز على المهم فقد كان قوي البنية يلكم جبر بقوة، وبدأ صراع يستحق أن يشاهد على ناشيونال جيوجرافيك.. حاولنا أن نتدخل أنا والسائق وكانت ركلة ولكمة كافية بأن نعرف كم أن الأسفلت طعمه لذيذ..

لا زال الدب يصارع الغوريلا.. يجتو صاحب الشقة فوق صدر جبر:

- هي اللي باعتاكوا صح؟ والله لأحبسكوا يا ولاد الكلب..

وكان يستعد لتوجيه لكمة أخرى لجبر، ووقتها لم أجد حلاً إلا السلاح في جانبي أستله وأوجهه له:

- سيبه.. بقولك سيبه..

العيون لا تكذب في التهديد ولا في الحب.. وعيني التي تظهر من بين اللام كانت صادقة سأطلق النيران.. جبر نفسه لم يصدق ما يحدث.. أصرخ في صاحب الشقة:

- طلع موبايلك.. اكسره..

كان غرضي من ذلك أن نكسب وقتاً قبل أن يبلغ الشرطة.. تحرر جبر من قبضته وركبنا السيارة ورحلنا..

وفي السيارة المنطلقة بسرعة خلع جبر قناعه ونظر لي:

- أنا مش عارف إنت طلعت المسدس ليه؟ ما قُلتك ما تطلعوش إلا لو هنموت..

- يعني كنت عايزني أسيبه يضربك؟

يبتسم جبر وهو يربت على ركبتي:

- جدع.. شكلنا هبقى شقايق..

لا أريد أن نكون أشقاء، كل ما أردته أن تتم العملية كما اتفقنا دون أن يقبض علينا.. والأهم من كل ذلك أن أسد النقود التي علي.. سألته بكم يحسب هذا العملية.. فردّ:

- وإنت فكرك إن دي عملية.. ممكن نعتبرها ربط كلام للي جاي.. أنا

قلت من الأول ييجي منك..

ثم يبتسم وهو يقول باستعراضية:

- نورت عالم الجريمة..

"أصبحت رسميًا عضوًا عالمًا بعالم الجريمة وبشهادة البروفيسور/

جبر

الفترة الأخيرة أصبحت أفعل كل ما لم أتوقع أن أفعله

أسرق.. أهدد.. أضرب..

كيف نصر على أننا نعرف أنفسنا، رغم أننا لم نوضع بعد في اختبار

حقيقي؟!"

كيف يعطي صوت المياه المتدفقة كل هذا الشعور بالراحة.. هل
يذكرنا بصوت رحم الأم.. آخر مكان شعرنا فيه بالراحة؟

كنت أغسل هذا الجرح الذي حصلت عليه من لكمة الدب.. ورأيت
ذوبان الدم في الماء أتأمل وجهي في المرأة؛ ليس جرحًا كبيرًا..
تقترب ندى وهي تحمل اللاصق الطبي:

- ملقيتش غير ده..

أخذته من يدها دون أن أتكلم وضمدت الجرح.. ولكنها وقفت بباب
الحمام لتسألني:

- هو إيه اللي عمل فيك كده؟

- خناقة..

قلتها وأبعدت عيني.. فقالت وهي تنظر تجاهي:

- أنا عارفة إنك مبتحش الخناقات.. وعارفك لما بتكذب بتبعد عينك كده.. إيه اللي مخبيه يا حسين؟

لا مكان لأبعد عيني الآن.. فرددت بكل صراحة:

- أنا كنت مع حرامي بنسرق شقة وصاحبها جه وحاول يمسكنا.. هو اللي عؤرنى وأنا هددته بمسدس..

نظرت لي ندى للحظة ثم ضحكت.. كانت تظنني أمازحها.. تركتها لهذا الظن البريء وأعطيتها المفتاح لتوقظني صباحا..

وقبل أن أذهب للعالم الافتراضي قمت ببحث سريع على الإنترنت.. والغريب أنه لا توجد أي أخبار بعض عن سرقة جهاز VR.. كان الأمر مطمئنا ولكنها كانت راحة غير مستحقة فكما عرفت لاحقا أن شركة سوشيال تقوم بتحقيقها الخاص في الأمر.. استطاع مراد بتحليل الحادث ترجيح عدد من الأفكار، ومع ميدالية البومة التي وجدوها وذكرى أنه شاهدها من قبل كان يرجح فكرة وجود جهاز دليل داخل الشركة.. واستطاع أحد من الموظفين إيجاد جهاز التتبع ثم الفيديو الذي يحتوي على صورتى وأنا أضعه.. والتي تم مقارنتها بصورة من كاميرا أمام الشركة لي مع جبر.. وكانوا على بُعد مسافة من الوصول إلى.. أقل من طول عضو رجل يفتخر بفحولته كل يوم..

لم أكن أعرف فلم يشغلني أي شيء ووضعت النظارة..

3..2..1..

(14)

أفتح عيني أنظر تجاه مارو الذي كان يعدّ ذلك المشروب الأسود في كوب صنعه من لحاء الخشب.. يلاحظ أنني أفقت فيقول:
- على فكرة يا س أنا عرفت المرض اللي عندك اسمه إيه.. اسمه طلع عين أم مارو..

يعطيني الكوب لأشرب يبدو على وجهي القرف فيؤكد:
- ماتقلقش ده نبات هيخليك فايق..

أشربه على مضض كان لزجا في حلقي.. ولكني شعرت بالدماء تجري في عروقي بسرعة ووقفت أطلب منه أن نعود لداخل المغارة.. رفض ولكن عندما ذهبت لحق بي وهو يقسم:
- لو أغمى عليك تاني وإحنا جوه هسيبك.. أنا بقولك أهو..

كانت بداخلي رغبة ملحة بأن أفتح البوابة الموجودة داخل المغارة.. تجاوزت القطع الصخرية التي سقطت على أرضية المغارة.. وساعدني مارو على أن نكسر تلك البوابة.. وعندما دخلت رأيتهم.. وقفت مكاني فلاحظ مارو وقفتي وعندما وجه عينه لما أنظر له توقف هو الآخر..

فقد كان هناك طفلان، للتحديد طفل وطفلة..

كانت الشمس قد بدأت في الغروب وكنا نجلس بجوار الغابة بينما الطفلان يأكلان الأكل الذي أعده مارو.. لم أسأل عن المكونات فغالبا

سيكون من ضمنها فئران وسحالي..

عرفنا أسماءهما: برين وسرمد.. وسألتهما كيف وصلا إلى هنا..
فحكى سرمد بعد أن مسح شعره المنسدل على عينه:

- إحنا كنا بنلعب جنب الغابة وكان معانا صاحبنا دخل استخبى
فيها.. دخلنا ندور عليه لحد ما قابلنا غراب أسود كبير.. هو اللي
خطفنا وجابنا هنا..

غراب أسود كبير! هل هناك أحجام منهم؟
يسألني الطفل ويبدو أنه لا زال بداخله تخوفات:

- إنتوا هترجعونا لأهلنا، صح؟

أومئ برأسي نعم وأربت عليه لأطمئنه، ولكن صوت تحطم خشب
قوي جعلنا نلتفت كلنا تجاهه.. وحركة الظلال السريعة تحوم حولنا..
أظن أنك تعرف عما أتكلم.. إنهم الغربان..

نقف بسرعة، أتوجه لمارو:

- هتتحرك معاهم.. هترجعهم أرض القدر..

- خلينا سوا أحسن.

أنظر له بقوة لكيلا يجادلني:

- ما تخافش أنا هتصرف.. لو عايز تساعدني يبقى لازم تتحركوا
دلوقتي..

ينصرف مارو وهو غير واثق في قراره، ويضع الطفلين ليركبا على

واحد من الخيل ويؤكد عليهما أن يبقيا متمسكين بقوة.. ويركب الآخر..

الصوت يقترب.. يلتفت مارو لي:

- هو صلهم وأرجعك.. خليك عايش لغاية ما أرجع..

وينطلقوا بالخيل من المكان.. أما أنا فلقد تحركت تجاه مصدر الصوت..

مَن سمع عن الغربان ليس كمن رآهم.. ولكن يكفي أن أخبرك أن وجود غراب في المكان سيجعل دقائق قلبك تعلو تلقائيًا..

من مكاني هذا رأيت الغراب البشري.. بقناعه ورداءه الأسود المتهدل يبحث بعينه.. هو يعرف أن هناك شخصًا هنا.. ويبدو أنه رصد مكاني.. كان الجاكيت الذي ارتديه واضحًا..

يقترب الغراب بسرعته الخاطفة نحو الجاكيت يمسكه بقوة.. ولكنه يكتشف أن الجاكيت فارغًا.. تمر لحظة الغراب يفكر، وكنت أنا خلفه أمسك حذرًا أسقط به فوق رأسه..

لماذا لم أطعنه بالسيف وأنهى الأمر.. لأنني أريد أن أفهم.. قمت بربطه إلى شجرة وظللت أنتظره أن يفيق..

في نفس الوقت كما عرفت لاحقًا كانت هناك احتفالية في البلدة بمناسبة عودة الطفلين.. كان الكل سعيدًا إلا أم الطفل الثالث الذي لم يغد.. والتي بكت لمارو تترجاه أن يجد لها ابنها..

أما ندى فعندما عرفت أنني لا زلت في الغابة أصرت أن تعود مع

مارو.. وانتظرته بعيدًا ورحلت دون أن تخبر والدها حاكم أرض
القدر..

كان الليل قد أنتصف عندما فاق الغراب.. خلعت القناع عن وجهه
وأنا أقول:

- حلوكده عشان نعرف نتكلم.. إيه بقى حكاية الغربان والغابة
وإنتوا بتعملوا إيه هنا بالظبط.. عشان الحكاية اللي سمعتها حاسس
إن فيها حاجة ناقصة..

لم يرد فسحبت السيف ووضعتة عند رقبته:

- ما خد بالك أنا مش هسيبك غير لما أعرف كل اللي عايز أعرفه..

تمر لحظات قبل أن يرد:

- ابعد عن أرض القدر.. دي مش حريك يا حسين.

حسين!! من حسين؟؟ أصرخ فيه أن يجيبني ولكنه يرد:

- في إجابات مش لازم تعرفها..

وبحركة سريعة لم ألحظها استطاع كسر إبهامه ليفك يده من القيد،
وفتح تجويفًا صغيرًا في خاتم يده وأسقط ما به داخل فمه.. وفي
اللحظة التالية كانت الرغبة تخرج منه وتحولت كل عروق جسده
للون الأحمر..

أحركه أصرخ فيه ولكنه مات.. أبحث في جيوبه عن أي شيء..
لأجد عملة مماثلة للعملة التي وجدتتها مع الغراب السابق..

“ابعد عن أرض القدر.. دي مش حريك يا حسين”

"في إجابات مش لازم تعرفها"

كنت أمشي في الغابة ولا زال صوته يتردد في أذني.. هل حسين هذا أسمي، وما هذه العملات التي يحملها الغريان وما معنى كلامه.. كنت أعبر بجوار هذا الوادي القريب حاملاً تلك الخشبة المشتعلة لتضيء طريقي وعلى ضوءها لمحت شيئاً غريباً.. هناك شخص ملقى على وجهه..

أنزل لهذا المنخفض بسرعة.. أمسك الشخص يتضح أنه جثة..
أقلبه على ظهره و...

[illegible]

1111

التعجب وحده هو صاحب الصوت هنا.. لقد كانت الجملة لي.. هذا أنا بنفسي الملايس!!

أهز رأسي لا أصدق ما أراه فتقع عيني على كومة من الأجساد..
كلها لي.. كلها بنفس الملابس.. كلها قتلت بأشكال مختلفة!!

[illegible]

1111
2222

(15)

عندما فحصت الجثث كانت إحداها مكسور فكها.. وأخرى تُهش لحم صدرها ووجها.. وأخرى بها ثقب في البطن.. مرعب للغاية أن ترى جثتك.. ابتعدت عن هذا الوادي وعدت إلى قرب المغارة أجلس على تلك الشجرة أحاول طرد تلك الصورة من ذهني.. وكانت تمسك بعقلي كالقراد..

سمعت صوت مارو ينادي:

- س يا س..

- أنا هنا..

تحرك تجاه صوتي ولا أنكر أنني عندما رأيت ندى هدا هذا من قلقي وتوترتي.. اقتربا بأحسنتهم نحوي.. نزلت ندى عن الحصان وربتت على رقبتة.. ثم اقتربت مني وهي تقول:

- أنت كويس؟ مكنش ينفع تفضل في الغابة لوحداك.

يقول مارو بعد أن ربط حصانه إلى جذع شجرة:

- قولتلك متقلقيش عليه.. ده طلع محارب زي بتوع الحكايات..

لم تركز ندى مع ما قاله مارو، ولكنها كانت تركز مع قسمات وجهي التي لازال يعلوها الصدمة والتهيه، وتسألني:

- مالك طيب؟ إيه اللي حصل؟

- أنا مسكت غراب تاني واطكلمت معاه..

رغم تعجبها سألتني ندى عمًا دار في هذ الكلام.. فأخبرتها:
- قالي كلام مفهمتوش.. بس قال إن اسمي حسين..
- حسين!

يتردد صوت ندى:
- حسين.. حسين..
ترفع النظارة عن عيني لأعود للعالم الحقيقي وتخبرني:
- الساعة سبعة زي ما قولتلي..
أخذ نفسًا طويلًا يعدل معدلات الأكسجين في جسدي.. وأشكرها..
قفزت في ملابس العمل استعدادًا للذهاب.. وبعد أن غسلت وجهي
وأنا أستعد للخروج من المنزل كانت والدتي تساعد ندى في وضع
الطور.. أوقفتني والدتي:
- لما لقيت الأوضة مقفولة بليل بالمفتاح.. قُلت هتصحى متأخر
برضه النهارده..
- ما أنا كنت مدي المفتاح لندی..
تنظر لي والدتي متعجبة وتنظر لندی التي تضع طبق البيض وتقول
لها:
- كتر خيرك والله.. كان طول عمره بيصحى أول ما يسمع حركة
في الطريقة.. مش عارفة إيه اللي جراه!

والدتي هي بطلة العالم في رياضة تلقيح الكلام.. كل ما تريده أن أخبرها عن الجهاز، ولكني لن أفعل بالتأكيد.. ولكن نظراتها التي تتفحصني أصعب من تحملها.. لا أعلم لماذا لا تستعين بها المخابرات في التحقيق مع أعتى الجواسيس..

في نفس الوقت كانت تقترب ندى تحمل شريط دواء وكوبًا من المياه تقدمه لوالدتي:

- الدوا.. واعلمي حسابك النهارده هنروح للدكتور..

سألت والدتي عما بها.. فقالت إنه التعب القديم الذي يطاردها منذ سنوات، ولكن ندى اعترضت:

- بقى أكثر.. بتشتكي من معدتها وجنبها طول الوقت.. ومش عارفة تقعد من غير مسكن.

سألت والدتي لم لم تخبرني.. فردّت:

- هو أنا بقيت لقياك أصلًا.. وبعدين أنا قولتلكو أنا كويسة خلاص.

لن تترك تلقيحة عابرة حتى وهي تحاول أن تخفي مرضها لكيلا أقلق.. ولا أنكر أن والدتي تحملت من الحياة ما لم يتحمله آخر.. كنت أفكر في هذا وأنا أسند رأسي على زجاج الأتوبيس..

ووعدت والدتي أنني بعد يوم العمل سنذهب للطبيب لا محالة..

أسير في الممر المؤدي للغرفة التي أعمل بها وأرى فايضة ذات الرؤوس السوداء قادمة في اتجاهي.. أنت تعرف هذا الموقف آخذ

خطوة لليمين لآتجنبها وكانت هي تريد الابتعاد أيضًا فتحركنا في نفس الاتجاه.. قمت بالعكس وهي الأخرى فذهبنا في نفس الاتجاه.. فتوقفت فائزة وقالت لي بغضب:

- أستاذ حسين.. لو سمحت طريقتك دي مش هتنفع..

- طريقة إيه! أنا بس عايز أدخل الفلور..

فعدت يديها على صدرها ونظرت لي بقرف:

- فعلاً! يعني عادي إن حضرتك عمال تقف قصادي كده ومش سايبني أتحرك.. لو فاهم إن دي حركة عشان تفتح بيها معايا كلام فأنا مش هسمح بده..

- والله ما أقصد أنا بس....

أبعدت جسدها قليلا كأنها تتجنب مرض:

- بس بعد إذنك يا ريت نتعامل في إطار إننا زملا في العمل يا إما هبلغ مستر رأفت ومستر حازم..

- طيب في إطار زماله العمل حضرتك عايزاني أعمل إيه دلوقتي؟

تعطيني نظرة مقرفة مجددا وتتجاوزني.. ذهبت بعدها لأقوم بوضع إصبعي في جهاز البصمة وأفكر في هذا الموقف الغرائبي الذي حدث منذ قليل..

“في الحقيقة لا أستطيع أن أعرف متى تحول العالم لمجموعة من المجانين

أصحاب التصرفات غير الطبيعية وغير المفهومة بالنسبة لي.”

جلست على مكتبي، وحاولت أكثر من مرة تشغيل السماعة وبرنامج التجسس ولكن بدون أي إشارة وكنت أفكر في احتمالية أن تكون الشركة قد وصلت للجهاز، وهذا يعني أنهم يقتربون من الوصول مني... و...

تلك اليد التي تمسك كتفي.. كان هادي بالتأكيد:

- مالك يا ابني شفت عفريت؟!

كان هادي متعجباً أنه أفزعني، وكأنه طبيعي أن نمسك الأشخاص من كتفهم بهذه الطريقة.. سألته عما يريد فأجاب:

- مش أنا اللي عايز.. ده مستر حازم عايزك في مكتبه..

أقف أمام أستاذ حازم ومعنا الضيف الثقيل الأستاذ رأفت ذو الصلعة الصحراوية.. يلصق مستر حازم طرفي النظارة أمام عينه ويقلب في الأوراق.. ثم ينظر لي وهو يقول:

- أستاذ رأفت في تقرير المرتبات الشهر ده منزلك 50% من المرتب.. لو عندك توضيح لده قوله دلوقت قبل ما أمضي عليه..

قلت مدافعا عن نفسي:

- حضرتك يا افندم نبهتني قبل كده لموضوع التأخير وأنا ركزت في ده، وجيت النهارده في ميعادي..

لكن ذا الصلعة لم يصمت:

- قصدك جاي متأخر 5 دقائق على السيستم.. ده غير المرات اللي بتتأخر فيها بالساعة..

- أنا جيت في الميعاد فعلاً.. بس فايزة هي اللي عطلتني..

لو لم تقف أمامي في الممر لكنت وضعت بصمتي في موعدها..
ينظر صاحب الرأس الصلعاء الجرداء للتقرير في يده وهو يواجهني:

- إزاي عطلتك وهي جاية قبل الميعاد كمان!

ويلتفت لمستتر حازم كأنه وكيل نيابة يأخذ من أقوال المتهم ليثبت
لعدالة المحكمة:

- ده يا افندم اللي بكلمك فيه.. طول الوقت حجج مش منطقية..
مفيش تركيز وتصرفات غير طبيعية وردوده كل...

باقي الكلام لم يصل لأذني فقد كانت تشغلني فكرة..

“هل ممكن أن تكون تلك الإجابة عن سؤالي..

هل من الممكن أن يكون العالم طبيعي تمامًا وأنا الوحيد المجنون
هنا

هذا تفسير منطقي بشكل ما.. ولكن الآن يجب أن أتصرف بشكل
طبيعي”

تكلمت دون أن أهتم أنني أقطع حديثًا:

- بعد إذنك يا مستر أنا محتاج أتكلم شوية.. عارف إن الفترة
الأخيرة شغلي مش أحسن حاجة.. التركيز.. المواعيد.. من حق
الشركة طبعًا تشوف إن ده تقصير.. بس برضه في نفس الوقت
الشركة لازم تكون فاكرة إن في فترات قبل كده كنت بحقق الربح
بتاعي.. مواعيدي مكنش فيها غلطة مكنش عندي أي مشكلة أشيل

rush hours أكثر من كل زمايلي.. كلنا بنمر بظروف.. بس في العادي هفضل أقدم كل اللي أقدر عليه.. وأيا كان قراركوا في الآخر أنا هحترمه..

نعم هذه مرافعة المحامي التي يستحق بعدها أن تصفق القاعة.. سيعطيني مستر حازم فرصة مجددًا.. في الأوقات العادية كنت سأصمت ولن أدافع عن نفسي بهذا الشكل، في الأوقات العادية لم تكن تهمني النقود.. ولكنها مهمة في الفترة الحالية وأحتاج إلى كل قرش..

الزمالك ليلاً..

كنت أجلس مع هند أعطيها ظرف المرتب الأبيض فقلبته في يدها لا تفهم فأوضحت:

- دي الفلوس اللي استلفتها منك.. مش كاملين عشان خصموا شوية من المرتب.. بس هسدلك الباقي على طول..

أصدرت هند صوتًا من أنفها:

- والله.. إنت استلفت مني الفلوس من يومين عشان ترجعهم النهارده..

- ما أنا اكتشفت إن الفلوس اللي خدتها منك مش كفاية، والحاجة اللي عايز أجيبها هدفع تمناها بطريقة ثانية..

أصدرت هند صوتًا من أنفها فسيولوجيًا:

- الحاجة وطريقة.. إنت مش ملاحظ إنك بقيت بتخبي عليا قوي؟
أنا هند يله..

- إنتي عارفة يا هند غلاوتك.. إنت زي أخويا..

كانت هي الوحيدة التي من الممكن أن أمزح معها بهذا الشكل،
ولكنها كانت قلقة من تغيري. حاولت أن أطمئنها:

- أختي يا ستي.. أنا مفيش حد بتكلم معاه زيك ولا حد يعرف
حاجة عني غيرك.. بس..

- بس إيه بقى.. بتحب جديد وبتحكيها بدالي؟

هززت رأسي نافيًا وقلت:

- أنا دخلت نفسي في قصة كبيرة مش عارف هتخلص إزاي..
وخايف أحكيك أوركك معايا بأي شكل..

- فاكر يا حسين إحنا اتعرفنا إزاي؟

نعم أذكر.. دعني أخبرك بتلك الحكاية التي مر عليها حوالي 5
سنوات.. كنت في بداية عملي في خدمة العملاء وبدأت أكون عادة
جديدة.. وهي الذهاب كل بداية شهر لهذا الكافيه في الدور العلوي
في أحد المولات.. أشرب القهوة وأكل الكوراسون وأرحل.. كنوع من
المكافأة الذاتية على الاستمرار في هذه الحياة..

وعلى هذه المنضدة كانت تلك الفتاة التي تجلس تنتظر حبيبها
الذي اتصل بها ليخبرها أنه لن يأتي، وأنهى علاقته معها دون أي
أسباب واضحة.. كانت هذه العلاقة هي الشيء الوحيد المضيء في

حياتها بعد عمل خسرتة وأسرة وجودها مثل عدمه.. وقتها أظلمت الحياة في وجهها لم تكن تفكر في شيء إلا أن تنهيهها..

وقفت تطل على المول بعيونها التي تمتلئ بالدموع لا تفكر إلا في أن تقفز من هنا، وكأن القدر رتب أن أنظر لها في تلك اللحظة لتتملكني مسؤولية أن أنقذها وأثنيها عن هذا القرار.. ولأيام عدة كنت أقابلها وأكلمها..

أنا الذي أعيش على هامش الحياة أحاول أن أقنع شخص بجمالها وأنها تستحق أن تحيا.. حتى استطعت أن أجعلها تتجاوز هذه المرحلة.. تكمل هند:

- أنا هفضل طول عمري أحاول أردلك ده. فماتحرمنيش من إني أساعدك بأي طريقة..

لم أرفض كلامها فردت لي الظرف وهي مصممة:

- يبقى أسمع الكلام بقى وخلي الفلوس معاك.. ولو عوزت أي حاجة في أي وقت إنت عارف مكان أخوك الراجل فين..

ابتسمت لها وأنزلت تلك القطة التي استوطنت قدمي وخرجت..

لا أستطيع أن أتجاهل هذا الشعور القوي بأن هناك من يراقبني منذ خرجت من الشركة.. غريزة الحيوان لا تكذب ولكني تجاهلتها.. وفي الشارع المؤدي لمنزلي تذكرت أنني نسيت موعد والدتي عند الطبيب وكلمت ندى لأخبرها أنني سألحق بهم في العيادة.. قبل أن تتوقف بجواري سيارة 127 بيضاء.. يطل منها جبر ويصيح:

- اركب يا زمولي..

وزمولي كما عرفت منه هي تعبيره الخاص عن الزمالة، والتي يرى جبر أنني أستحقها بجدارة بعد جريمتنا المشتركة السابقة.. اعتذرت له لأنني أريد أن ألحق بوالدتي عند الدكتور.. فيرد:

- هو أنا بعزم عليك.. اركب يا زمولي بدل ما أركبك عافية..

فركبت كأني (زمولي) يحترم نفسه.. وعند الخرابة المعتادة زفر جبر دخان سيجارته الملفوفة ومدها لي لأشرب.. فرددت:

- ما إنت عارف إني مبشربش..

كان يبدو عليّ الضيق ورغبتني في الرحيل.. فقال جبر:

- مالك بس خلك مضيق عليا ليه.. دي مش أخلاق واحد عليه لجبر فلوس..

- أمني تعبانة وعند الدكتور دلوقتي، وكنت عايز أروحها..

يفرك جبر أنفه وينظر لي كأنه استوعب الأمر:

- سلامتها ست الحبايب.. طب ركز معايا عشان مخلهاش تزعل عليك بقي.. وإنت عارف زعل الأم..

كان القلق باديا على وجهي.. فارتسمت على جانب شفاه جبر ابتسامة:

- بهزر معاك يسطا ماتبقاش قفوش..

ثم قال بأداء عملي وهو يهرش جانب فمه:

- إحنا عندنا طلعة جديدة.. في راجل كده متخائق مع طليقته

ومانعاه يشوف بنته.. فأحنا هناخد البنت من قدام المدرسة
نودها..

- الله يخربيتك.. هنخطف أطفال..

يضع يده زيتية الملمس على فمي ليسكتني والتي ابتعدت عنها
بسرعة قرفًا.. وهو يقول:

- إيه يا جدع مين جاب سيرة خطف أطفال إنت هتلبسنا مصيبة..
إحنا هندي البنت لأبوها.. أنا قولتلك هنطلب فدية! إحنا بنعمل خير..

- طيب أنا مش هعمل كده..

- بس أنا ممكن أعمل كده.. وكده.

قالها جبر وهو يشير على وجهي بعلامة القطع مهددًا، وأكمل:

- ونطلع على دكتور الجراحة اللي جنب دكتور ماما وأهو بالمرّة
تشوفها..

ويعلو بصوته أكثر ليذكرني بموقعي الحقيقي في هرم الغابة:

- هو أنا بأخد رأيك أنا بقولك اللي هيتم.. عايزين بس نرتبه سوا..
عشان التخطيط.. أهم من التخطيط.. افتحلي ودانك..

(16)

عندما عدت للمنزل كانت والدتي وندى عادوا من عند الطبيب.. وكانت والدتي في حالة غضب بسبب حقيبة الأدوية التي أصبحت أكبر، وهي ترى أن كل هذا بدون داعٍ.. اعتذرت لها أنني لم أستطع المجيء بسبب مشكلة في الشغل، وسألت ندى عما أخبرهم به الطبيب فردت:

- هو كتبها على مسكن أحسن يكون خفيف على معدتها.. بس طالب أشعة وتحاليل نجهزها له المرة الجاية..

بينما والدتي مصرة على أن كل هذا تكاليف بدون داعي.. تحركت بعدها لغرفتي ولكن يبدو أن والدتي كان لديها كلام أكثر فتبعني للغرفة..

- إيه بقى يا حسين موضوع الشغل اللي كل شوية تتحجج بيه.. وأنا عاملة نفسي مصدقة مش عايزة أرخم عليك..

اتهمها بتكبير المواضيع، فترد:

- لو الموضوع مش كبير يبقى ليه بتكذب؟

أنكر وأنكر، ولكن هذه أمي وتعرفني أكثر مني:

- وأنا بعمل نفسي مصدقك تاني.. إنت مبقتش صغير عشان أقفلك على كل حاجة.. بس في حاجات هقفلك عندها يا حسين..

أنظر لها متعجبًا فتكمل:

- أنا مرضتش أتكلم الصبح قدام ندى.. بس ميصحش تدي لبنت

خالتك مفتاح أوضتك وتخليها تصحيك وإنت نايم.. أنا مش هلومها
عشان ضيفة.. بس إنت خليك فاكِر إن دي أمانة عندنا لحد ما ترجع
بيتها..

- هو إنتي شايفاني وحش قوي كده يا ماما؟

- لا شايفاك بني آدم.. وارد جدًا يغلط خصوصًا لما يكون بيحب
حد.. إنت لسه بتحب ندى يا حسين؟

هذا ليس سؤالًا يا أمي.. هذا صاعقة رميتها بكل قوة كأنك إله
غريقي متمرس في رمي الصواعق..

شريط من ذكريات مرّ أمام عيني.. وأنا وندى نلعب معًا ونحن
أطفال في حوش العمارة.. وهي تهديني الفيديو جيم في عيد
ميلادي.. وأنا أحتفظ بصورتها التي سرقتها من بيت خالتي.. سرقت
صورةً عديدة على مدار سنوات مختلفة.. نعم لا زلت أحبها وأنا أعلم
أنها ليست لي..

- لا.. أنا عمري ما حبيتها.. ندى طول عمرها أختي، وأظن عادي إن
أخت تصحّي أخوها وخصوصًا لو هي فصلوه من الشغل لو اتأخر..
متخلقيش والنبي مواضيع في دماغك وتحاسبيني عليها.. ماشي؟

رددت بعصبية كأنني أريد أن أسمع نفسي ما أقول لتقتنع به
وتصمت.. ما أنهى حوارنا أن ندى أتت لتخبرنا أن العشاء جاهز..
نظرت لوالدتي بلوم:

- بالهنا والشفاء.. أنا خلاص شبعت..

أعلم ما سيخرجني من كل هذا كما تعلم.. أغلق غرفتي.. أمسك

نظارتى..

فليذهب العالم الحقيقي إلى الجحيم..

3..2..1..

أفتح عيني بقوة لأرى خيوط الشمس التي بدأ في الشروق
تتشابك مع غصون الأشجار.. كنت ممدداً على أرضية الغابة حين
سمعت صوت ندى من خلفي:

- الحمد لله إنك لسه هنا..

التفت لها فأكملت وهي تنظر تجاه مارو الذي لا زال نائماً:

- قعد يقولي إن الحالة دي لسه بتتكرر معاك كتير وإني مشغلش
بالي وأنا.. بس أنا معرفتش..

ابتسمت لها:

- مش عارف آخرتها إيه؟! فجأة الحياة بتقلب أسود ببقى كأني
بتسحب منها..

أصرت أننا عندما نعود لأرض القدر سنذهب للطبيب مجدداً حتى
نجد علاجاً لحالتى.. ثم قالت وهي تنهض:

- بقولك إيه تحب تشوف مكان بحبه؟

بالتأكيد أحب.. قمنا ومشينا معا حتى وصلنا للجهة الأخرى من
البحيرة.. كانت الشمس تنشر حبوبها الذهبية على سطح المياه..

جلسنا أرضاً، نظرت ندى للبحيرة:

- مبعثش باجي هنا من ساعة ما بقوا يحذرونا من دخول الغابة.

ثم التفتت لي:

- إنت عارف إن ده أكثر مكان بي فكرني بماما.. كنا دايمًا في الأعياد
تصبحنا الصبح عشان نتجمع هنا..

لغاية ما جه عيد ماما مصحتناش..

- ربنا يرحمها..

هزت ندى رأسها نافية:

- هي مامتش.. اختفت ومحدث يعرف هي فين.. طول السنين
اللي فاتت دي مكنش بيشغلني سؤال أكثر من ليه.. ليه سابتنا
ومشيت.. وراحت فين.. أنا نفسي أخرج من الأرض دي عشان أدور
عليها..

- تفتكري لما الواحد بيعرف الحقيقة بيرتاح ولا الحياة بتبقى
أصعب؟

سؤال فيلسوفي الأبعاد يطاردني منذ ظهرت هنا.. هل سأرتاح
عندما أعلم الحقيقة.. ردت ندى:

- اللي عارفاه إن الواحد لما بيكون في أسئلة كتير جوه دماغه..
مب يعرفش يتبسط بالحياة مهما كانت حلوة..

أومئ برأسي متفقا تمامًا.. وأخبرها أننا سنعود لأرض القدر الآن..
فلدي أسئلة أريد إجابتها..

عندما وصلنا لساحة البلد كان حاكمها السيد (حازم) ينتظرنا..
اتخذت ندى خطوات مسرعة ناحيته ألقت نفسها في حضنه..
احتضنها وهو يلومها:

- ينفع كده يا ندى.. تنزلي الغابة من غير أذن وتفضلي فيها طول
الليل.. كل ده عشانه؟

الهاء في (عشانه) ضمير مستتر يعود على العبد لله ودليله
نظرة السيد حازم بقرف تجاهي.. كانت ندى تدافع عني وعن
أنني استطعت أن أجد طفلين من الثلاثة المفقودين بل وأمسكت
بواحد من الغربان.. لم أقف طويلاً فقد كنت مهتماً بما عدت لأجله..
الإجابات.. أخبرت مارو الذي كان يريد أن أذهب معه لنأتي بأي
طعام:

- اسبقني أنت.. في كام مشوار لازم أخلصهم لوحدي الأول..

- مشوار ولوحدي!! أنا شايف إنك خدت على أرض القدر قوي..

قالها مارو ساخرا وأشرت له بيدي بمعنى نصف نصف.. ثم جذبت
الحصان الذي يتدلى على ظهره غراب البين..

وصلت لمنطقة القسم حاول أحد الحراس إيقافني ولكني تغلبت
عليه، وأكملت سيري جاذباً الحصان حتى دخلت لغرفة مدير الأمن..
كان خفاجة ينهي تبؤله ثم التفت للخلف ليجد حصاناً في غرفته وأنا
أغلق الباب لكيلا يزعجنا الحراس.. صرخ خفاجة عندما رأي:

- إنت مجنون يالا.. اطلع بره إنت والحصان ده..
- دي الطريقة اللي بتعاملني بيها وأنا جايبك معايا هدية..
- قلتها وأنا أربت على الغراب.. ليقفز التساؤل من عينه ولسانه فأجبت وأنا أنزع القناع:
- ده غراب أسود.. أو حد عامل إنه غراب أسود.. هو مش ده حد من رجالتك برضو؟
- معرفوش.. وبعدين إنت هتحقق معايا.. إنت نسيت نفسك!!
- شعرت بخوفه وضعفه للحظة، وشعرت بشجاعتي وقوتي للحظة كانت كافية أن أقرب منه، أمسك ياقة قميصه بقوة وأضغط عليه ناحية الجدار وأقول له:
- متعرفوش رغم إن دراعه عليه نفس وشم كل اللي شغالين في أمن الأرض! إيه اللي تعرفه يا خفاجة ومخبية؟؟ ليه رجالتك لابسين لبس الغربان؟ الغربان دي كدبة وإنت اخترعتها صح؟
- لو منزلتش أيدك أنا هدفنك هنا..
- قالها بتهديد وعصبية شديدة فرددت بهدوء وصدق:
- أغبى حاجة إنك تتحدى حد معندوش لسه حاجة يخسرها.
- وقمت بلكمه في أنفه بقوة.. يمسح خفاجة أنفه الدامية ويصيح:
- أنا هخليك تدفع تمن اللي عملته ده..
- أبقى زود دي على التمن اللي هدفعه بقى..

ولكمته الثانية ثم أخرجت السيف ووضعتة على رقبتة:

- صدقني أنا مش بهدك.. أنا فعلاً هخلص عليك لو معرفتش كل الإجابات دلوقتي..

- سلاح أبويا ده وصلك إزاي؟

- هو اللي إدهولي.

يفكر خفاجة قليلاً.. ثم يقول:

- بص.. أنا هقولك نصيحة.. أبعد عن المكان ده أبعد عن الغابة وأبعد عن أبويا.. صدقني ده أحسنك.. لو مشيت أنا هحاول أنسى حقي ده..

يقولها وهو يمسح أنفه وينظر للدم على يده وهو يكمل:

- وهسيبك تخرج من القسم على رجلك.. لأنك حتى لو قتلتني مش هتعرف تخرج من هنا على رجلك.. إحنا كلامنا دلوقتي خالص..

كان خفاجة صادقاً في كلامه وكان واضحاً أنني لن أحصل على كلمة واحدة أكثر مهما فعلت.. ولذا فكرت في العرض الذي قاله بمنطقية..

- وقالك إيه ابن الكلب؟

قالها عم نصر وهو يصب لي كأس من مشروبه العجيب، ولكنه أصبح أكثر اسمراراً عن ذي قبل.. لا أعلم لماذا يصر على أن يصبه لي كل مرة.. لا أقصد شيئاً لكن هل يعرف أنني لا أشربه في كل مرة؟

أخبرته بكل ما دار وأنا أضع الكوب جانبًا.. ليرد عم نصر:

- ماتخافش منه اللي معوش حق مهما كان جبان.. في الآخر إنت اللي ضربته مش هو..

- هو مش فارقلي أنا مش عايز حاجة غير إني أفهم.. كل حاجة بدأت تتلخبط في دماغي أنا اسمي حسين فعلاً؟ وإيه السر اللي حوليا؟ والسر اللي ورا الغابة؟ الغربان دول كدبة ولا حقيقة؟ أنا محتاج أفهم؟

- الإجابات هتيجي تحت إيدك متقطعة.. المهم لما تلاقيها تعرف ترتبها..

أخبرته أنني لا أملك أي طرف خيط أتحرك خلفه.. فابتسم وقال:

- عبيط.. يبقى الأعمى شايف أحسن من المفتاح...

سألته لماذا يصر على جعل الموضوع أكثر صعوبة مما هو.. ليرد:

- ومين قالك إن الموضوع أصلاً سهل.. ركز في الحاجات اللي بتلاقيها ووصلها لمكانها..

هدأت للحظة أفكر فيما وجدته حتى الآن:

- لقيت طفلين من الثلاثة التايهين ورجعتهم لأهلهم..

- يعني لسه ناقص طفل مرجعش!

لم يقلها بصيغة سؤال ولكني فهمت مقصده فرددت:

- هرجع أدور عليه..

- جميل.. لاقيت إيه ثاني في رحلتك في الغابة؟

تذكرت فأخرجت العملتين اللاتي وجدتهم، وأخبرته عنهم فردّ:

- دول كمان ترجعهم مكانهم عشان تقدر تفهم كل حاجة..

مكانهم؟؟! أي مكان تقصد؟ وقبل أن يتحرك السؤال من المخ إلى اللسان كانت طرقات قوية على الباب.. سألت العم نصر وأنا أقف هل ينتظر شخصًا ما.. فأخبرني لا..

الخطبات أقوى..

تحركت نحو الباب لأفتحه وكأنني فتحت بابا على الضوء.. ضوء قوي غمر المكان حتى أنني أغمضت عيني من قوته..

طرقات قوية على باب المنزل تكاد أن تخلعه.. بينما ندى تفتح نور الغرفة بعد أن نزعت النظارة عن عيني.. أغمض عيني من قوة الضوء وأحتاج لحظات حتى أفهم ما يدور..

أنا الآن عدت إلى غرفتي القائمة في عابدين في محافظة القاهرة في مصر.. أنا لست في أرض القدر الافتراضية.. حسنا هذه بداية جيدة.. ما الذي يدور هنا، ومن يطرق الباب هكذا.. ردت ندى:

- ده خفاجة.. بقاله شوية بيخبط ومش راضي يمشي..

أتمالك أنفاسي وجسدي وأخرج للخارج.. بينما تخرج والدتي على صوت الطرقات تتساءل عما يحدث فأقول لندی:

- خدي خالتك وأدخلي جوه..

ثم أفتح الباب ليظهر أمامي خفاجة الذي يبدو أنه شرب نصف احتياطي البيرة العالمي.. يقف سكران على غير هدى.. أسأله عما أتى به إلى هنا فيقول بصوت عال:

- عايز مراتي.. ومش همشي من غيرها..

- ومراتك مش مرتاحة يا خفاجة.. بالعقل كده تقعد معاها وشوفها متضايقة من إيه وتقول إنه هيتصلح..

وبعدين نبقى نشوف موضوع ترجع معاك..

يفرقع رقبتة وأنا أتكلم دون أن يهتم بما أقوله ثم يقول:

- والنبي يا أبو النسب متعرضهاش عليا.. خش قولها تيجي تمشي معايا.. بدل ما طلاق ثلاثة لو ما باتت في بيتها ما هي داخله ثاني... طلبت منه أن يخفض صوته فبعض الجيران خرجوا يتلصصون عما يدور.. فيعلو صوته أكثر:

- ولو موطتوش يعني هتعمل إيه يا حس؟! ومالك إنت واخد حبوب شجاعة النهارده ولا إيه؟ طب أهو.. صوتي عال أهو هتعمل إيه....

توقفت الكلمة في حلقه بعد لكمة قوية من يدي أسقطته أرضا أمام عيني بالتصوير البطيء.. ليصطدم جسده الضخم بالأرض اهتزازة تسببت في زلزال 6 ريختر أسفل قدمي وحدوث تسونامي على شواطئ الإسكندرية..

“لا أعلم كيف حدث ما حدث..

ما أعلمه الآن أن لعبة VR بدأت تغيرني

وكان الضربة لعبت في إعدادات شخصية خفاجة.. فأصبح مرتبكا
جدا يستند على الدرايزين ويكاد يسقط مجددا.. صوته حتى كان
متغيرا وهو يقول:

- بتضربني يا حسين.. ماشي والله العظيم مردودالك..

يمسح أنفه بيده ولا يصدق:

- دم!! ماشي يا حسين.. ماشي..

وينصرف وأقسم إنه كاد يسقط 5 مرات على الأقل عن السلم..
عندما ألتفت وجدت ندى تقف خلف ستارة تبتسم.. حين اقتربت
مني لاحظت تلك الدمعة الرقيقة في عينيها وهي تقول:

- أنت ضربته يا حسين.. ضربته.. أنا مش مصدقة.. أنت خدتلي
حقي يا حسين.. أنت عارف هو ضربني كام مرة.. كام مرة أستغل
إني مليش حد أتسند عليه إني مليش زهر.. مكنتش حاسة إن في
يوم حد هياخدلي حقي..

تربت على جانب كتفي كأنها تشكره.. وكان صوتها متهدج من بكاء
تختلط فيه السعادة بتذكر الألم.. قلت لها:

- أنا جنبك على طول يا ندى وفي زهرك.. محدش هيجبرك على
حاجة شوفي أنتي عايزة إيه وأنا معاكي..

- أنا عايزة أبعد عنه خلاص.. مش عايزاه ولا هو ولا بيته.. آخر
حظة كان بيحافظ عليها عشان أفضل معاه أنت كسرتها.. أنا عمري ما

هقبل أكون معاه ثاني..

كنت سعيدًا بما فعلته.. كنت سعيدًا لأجل ندى.. لكن نظرات أُمي
من نهاية الممر كانت متسائلة متعجبة..

تركت اليوم ينتهي وإن ظللت طوال الليل أتذكر تلك الرتبة من يد
ندى على كتفي.. حتى أنني نمت دون أن أعود لأرض القدر..

في اليوم التالي خرجت من عمارتي متوجهًا لمكان محطة
الأتوبيس التي أركبها يوميًا.. ويعود لي نفس الشعور هناك من
يراقبني.. عندما كدت أعبّر الطريق توقفت أمامي سيارة فارهة يطل
من زجاجها الخلفي المهندس مراد وهو يقول:

- حسين.. أظن محتاجين نتكلم سوا شوية..

أظن أنك تعرف المهندس مراد.. صاحب العالم الافتراضي.. الذي
صمم لعبة أسوأ احتمال ممكن وجهازها..

ويبدو أنني أواجه الآن أسوأ احتمال ممكن..

(17)

نعم هو المهندس مراد لا شك.. وصوله هنا يعني الكثير.. يكرر طلبه
بكاريزماته التي تنسال من الشباك:
- اركب يا حسين..

"هناك سؤال كان يطاردني كلما شاهدت ناشيونال جيوغرافيك
لماذا عندما تحيط الأسود بالفريسة ويصبح موتها حتميًا.. لا
تستسلم..

مع أن الاستسلام أكبر إجابة منطقية؟"

فجأة أقوم بالجري بسرعة.. ويصيح مراد في سائقه ليتبعني..
يتحركون خلفي وأدخل بين بنايتين وأنظر خلفي لأتأكد أنني هربت
منهم، ولكن السائق يكون قد دار حول البناية ولحق بي..

"الإجابة التي وصلت لها.. أن لحظات الخوف الكبير لا يحكمها
المنطق..

وأن جسد الفريسة نفسه يتخذ تصرفات فردية ليبقى حيا حتى
آخر لحظة ممكنة"

أكمل جري حتى أتجاوز التقاطع، وأقفز في هذا الأنبوب من
بابه الخلفي أمسك في القائم الحديدي أنظر تجاههم وقد علقوا في
إشارة مرور.. كان مراد نزل من سيارته وبقي نظرنا معلقًا ببعض
حتى أغلقت البنايات مجال الرؤية..

أجلس عند مكتب في طابق الكول سنتر.. التفت يمنى ويسرى

أشعر أن كل العيون تنظر لي.. كل صوت خطوة يرن في أذني رنات
أكثر من رنات بائعي العقارات في العاصمة الإدارية وحدائق أكتوبر..

تلك الفائزة تظن أنني أنظر لها وتعطيني نظرة أكثر قماءة من
رؤوسها السوداء، وعامة لا أظن أن هناك أكثر شيء يماثل قماءة
وجهها إلا انعكاسه في المرأة..

لماذا أفكر في فائزة.. ليس هي المهمة الآن.. ليست هي المهمة في
أي وقت.. استعاد عقلي تفكيره المنطقي.

“طالما وصلوا لي إذن فقد عرفوا أنني من سرقت للجهاز..

وطالما استطاعوا الوصول للمنزل فليس صعبًا أن يصلوا إلى هنا..

بدأ العد التنازلي ليكون المنزل والعمل ليسوا بالمكان الآمن”

ضوء قوي ينعكس في عيني يفصلني عن سرحاني.. يتضح أنه
ناتج عن تعامد الشمس على رأس مستر رأفت الذي يقول لي:

- حسين عايزك..

أقف مع مستر رأفت بجوار ماكينة تصوير المستندات.. يحدثني
بينما عيني لا تستطيع الكف عن النظر يمئة ويسرة بحقًا عن أي
غريب:

- رأيك إيه في الكلام ده؟

- كلام أيه؟!

انتبهت ولم أكن أركز فيما يقوله.. فكرر كلامه وهو يزفر:

- يا ابني بقولك زميلتك فايضة اشتكتلي من تصرفاتك معاها..
بتقعد على مكتبها.. بتبصلها بصات غريبة بتغلس عليها في الطريقة..
أنا مش هسمح بده في المكان..

لماذا تصر فايضة على أن تأخذ أكبر من دورها في حياتي..
لماذا تظن نفسها شخصية رئيسية رغم أنها مجرد كومبارس..
مجرد شخصية موضوعة في اللعبة لتبدو اللعبة حقيقية ومليئة
بالشخصيات.. لماذا تريد أن تأخذ مساحة في حياتي مثل التي
تأخذها الرؤوس السوداء من وجهها.. فرددت:

- لا هي فايضة بيتهيا لها حاجات مباحصلش..

هناك صوت يأتي من الخارج.. هذا صوت ارتفاع المصعد ولكن
بصيلات شعر يدي تنتفض.. بينما مستر رأفت ينظر لي وأنا أنظر
ليدي ويقول:

- حسين أنا حاسس إنك إنت كمان بيتهيا لك حاجات.. إنت واقف
بتكلمني وإنت سرحان.. أنا شايف إنك إنت محتاج يومين ترتاح
فيهم قبل ما ترجع تكمل شغل..

نعم هذا ما أريده بالضبط.. تركته ورحلت بسرعة بينما وقف مستر
رأفت للحظة متعجبًا مما أفعله..

”يميز جسدنا الشعور بالخطر..

مثلما تميز أنفنا الرائحة.. مثلما يميز لساننا الطعم..”

أضغط على زر المصعد عدة مرات لعله يصعد أسرع.. الأسانسير
الأيسر وصل أولًا أركبه بسرعة وأنا داخله أشاهد ظهر السائق الذي

كان يقود سيارة مراد وقد خرج من المصعد المجاور.. أخفي وجهي خلف واحد من الموظفين.. يدور بعينه في المكان وقبل أن يلتفت ناحيتي كان باب المصعد قد أغلق.. أتنفس الصعداء والنزلاء وكل الأنفاس، وأخرج هاتفي بسرعة..

“أجسادنا لا تتحمل الشعور بالخطر..

وتبحث عن أي طريقة للهرب منه..”

أتيت باسم الشخص الذي أريده واتفقنا أننا سنتقابل الآن..

لم يأتِ رؤاد القهوة المسائيون بعد.. كان الموجود الآن مجموعة من عمال البناء الذين أنهموا أعمالهم وتراصوا يأكلون الكشري وطواجن المكرونة بالكرتون المفروم..

أخبرته بما أريده بينما صبي القهوة يرص المعسل لجبر.. الذي يأخذ نفسًا طويلاً قبل أن ينظر لي:

- وأنا اللي فاكرك مكلمني عشان حوار البت اللي هنرجعها لأبوها..

- اعملي اللي أنا عايزه وهعملك اللي إنت عايزه.

خفض اللي عن فمه والتفت لي:

- لا يا حبيب أخوك.. إنت كده كده هتعمل اللي أنا عايزه ده قسط وبتسده.. أنا هعملك اللي إنت عايزه جدعنة مني عشان تعرف إن جبر جدع.. عايز المكان إمتى؟

هذا ما طلبته مكان مؤمن لا يستطيع أن يصل له شخص.. فأكدت

له أنني أريده اليوم.. فضحك ضحكة محملة بالبلغم:

- مستعجل قوي.. عايز المكان طبقًا عشان إنت وصاحبتك..

ويشير بيده يقصد أفعال زائد 18 فردت:

- لا..

- إيه يا زمولي متوغوشنيش.. متقوليش إنت وصاحبك؟

- لا أنا عايز المكان لوحدي..

ينقلب وجه جبر أكثر ويتهمني بأن كيفي غريب بعض الشيء،
ولكني أصر على طلبي بدون توضيح، ويخبرني أن المكان سيكون
جاهزًا على المساء.. ولكن قبل أن ننهي الجلسة، أخرج لسانه وأشار
له ثم قال:

- بس خد بالك الكلمة بتطلع من هنا عقد.. الدور والباقي عليك
إنت بقى في اللي متفقين عليه.. ماتزعلش جبر منك.. ده غشيم وأنا
عارفه..

ثم نفخ دخان المعسلة في وجهي..

أعود للمنزل تتعجب والدتي من وجودي:

- حسين! سبحان الله يعني اليوم اللي تروح فيه الشغل بدري
ترجع بدري..

أخبرتها أنني حصلت على إجازة من الشغل.. وأن شغلي في الأيام
القادمة سيكون من المنزل.. كنت أقول أي كلام لأنهي تلك المناقشة
سريعًا.. فكل حديث بيني وبين والدتي الآن يجعلها تتشكك في

أمري أكثر..

كنت متوجهًا لغرفتي فقد افتقدت العالم الافتراضي..

ولكن..

لكن ندى كانت تخرج من المطبخ ترتدي ملابس خفيفة وشعرها مكشوف لم تكن تعلم أنني وصلت.. وتراجعت بسرعة لتأتي بغطاء لرأسها تضعه على كتفها وقالت محرجة:

- حسين! معرفش إنك جيت..

كنت محرجًا أنا الآخر.. ولكن.. هناك أشياء أجمل من العالم الافتراضي.. ندى..

بعد أن عدلت ملابسها كان لديها ما تريد أن تخبرني به وحدنا:

- صحيح المركز بعثلي الأشعة وبعثها للدكتور.. بس هو قالي إنت اللي لازم تستلم النتيجة..

أخبرتني عن موعد العيادة المسائي وأنها ستأتي معي.. كنت أحاول أن أنهي حوارنا سريعًا لكيلا تلاحظ والدتي وقفتنا فتعود لرياضة اللوم المحببة لقلبها كما أنني لازلت قلقًا مما حدث في الصباح.. لاحظت ندى ذلك فسألتني:

- هو إنت مالك!

فقلت بصراحة:

- أنا في مشكلة.. في حد سرقت منه حاجة وبيدور عليا، ومعرفش لو قفشني هيعمل معايا إيه؟

تبتسم كأنها تستشف هل هذه مزحة:

- أنت بتتكلم جدا!

- لا بهزر.. بس أنا دمي ثقيل..

كنت أخبرها أن توقظني في موعد العيادة.. ولكن طرقات قوية على الباب قطعت كلامنا.. ذهبت وفتحت الباب.. لأجده أمامي بشاربه الذي يعلوه ضمادة بيضاء.. وقبل أن أتكلم وجه لي لكمة قوية في وجهي.. أربكت مراكز الإبصار في مخي للحظة..

في صالة المنزل كنت أجلس أنا وخفاجة متقابلين وكلّ مّا يضع ضمادة على أنفه.. تغلق والدتي الباب خلف آخر واحد من الجيران يرحل، وتعود لتجلس وسطنا وهي تقول:

- يعني ينفع كده يا خفاجة.. لميت علينا الجيران.. جاي تضرب ابني في بيته؟! إيه متعرفش حاجة عن الأصول؟

كان خفاجة يتكلم عن إنه ليس من الأصول أيضًا أنني ضربته أمس، ولكني لم أكن أسمعه كنت أنظر نحو الستارة حيث ندى تسترق السمع.. نظرت لخفاجة:

- وضربة قصاد ضربة وخلصنا يا خفاجة.. عايز إيه ثاني؟!

- ندى ترجع معايا.. كفاية قعدتها عندكوا لحد كده..

يعلو صوته لكي تسمعه:

- تلمي شنتطتك دلوقتي يا ندى ويلا ع البيت..

- خلصت؟

قلتها بشكل صارم.. جعله يتعجب ويومئ نعم فأكمل:

- تعالى نرجع للأصول.. ماما خشي جوه.. وكلامك هنا يبقى مع راجل البيت..

يزداد تعجب خفاجة من طريقتي.. ولا أنكر أنني نفسي متعجب ولا أنكر أنني أيضًا سعيد.. يقول خفاجة ببعض القلق:

- إيه يا عم حسين الطريقة دي.. أنا جاي أحل..

وأنا لم أكن أريد أن يحل الأمر.. سألته:

- إنت مديت أيدك عليها؟

- ساعة شيطان.. وبعدين عادي يعني ما ياما بيحصل في البيوت..

- لا إحنا في عيلتنا اللي اتربينا فيها ده اسمه قلة أدب.. وقلة رجولة.. وخيانة أمانة..

"يبدو أنني يا خفاجة سأجعلك تحاسب على كل المشاريب

جديدها وقديمها"

يصر خفاجة على أنه أخطأ وأنه لا يريد شيئًا إلا زوجته وسيرحل..
فأنادي ندى لتأتي:

- خفاجة عايز ياخدك ويمشي.. إنتي إيه رأيك في الكلام ده؟

- أنا مش عايز أرجع لواحد مذ إيده عليا.. أنا عايزة أتطلق..

شكرًا.. الموضوع أنتهى ولولا الملامة لرقصت فرحًا.. بالطبع خفاجة لم يتقبل الكلام بسهولة وأنهى كلامه بأنه سيرفع قضية نشون، وأجريت مكالمة مع عادل ابن خالي المحامي ليتحرك ضد خفاجة في قضية فأخبرني أنه في السعودية في الفترة الحالية في رحلة عمل ستطول، ولكنه سيوصلني بمحامي زميل.. كانت والدتي تلوم ندى أنها لم تحل الأمر مع خفاجة.. فرددت عليها رغم نظراتها:

- في إيه يا ماما! لو الدنيا عليها إحنا مش هينفع نبقى كمان عليها..

لم أعطِ بالاً لنظرات اللوم منها والتفت لندى لأكمل:

- ما تخافيش.. أنا معاكي..

تنظر لي ندى تتأكد من صدقي، وتنظر لي أُمي تتأكد من أن هذا ابنها.. أدخل غرفتي، ستغلق ندى عليّ من الخارج بعد أن تبتعد والدتي.. كان الشعور العام الآن هو السعادة وبعده يأتي التعجب.

“لأول مرة منذ سنوات أشعر أنني من الممكن أن أساعد شخصًا..

خصوصًا لو كان ندى..

فهل أستطيع مساعدة الناس في أرض القدر..”

أجلس على الكرسي.. القفازات.. النظارة.. الفضاء..

3..2..1..

(18)

أستيقظ في المستشفى وتلك الممرضة غير المريحة تفرغ أدوية في محلول اليد.. كانت ندى هنا وهو ما جعلني أرتاح قليلاً.. أخبرني الطبيب بضرورة التزام الدواء الذي أعطاه لي.. هو غير متأكد أنه مفيد لحالتي ولكنه لا يملك حلاً آخر..

أخبرتني ندى بأن والدها كان يريد أن يطرح عليّ عدة أسئلة.. فأرسل مجموعة من الحرس ليأتوا بي من عند عم نصر ولكن عندما وصلوا لي وجدوني مغشياً عليّ فنقلوني إلى هنا..

أعتدل من نومتي، وأشعر بالصداع يتملك رأسي وأخبرها:

- أنا كمان عندي أسئلة كثير.. أنا كل ما بمشي خطوة في الأرض دي على أساس إني هفهم بتلخبط أكثر.. لا أنا فاهم أنا مين؟ ولا إيه الأرض دي؟ ولا المعلومات اللي وصلتها حقيقية ولا لا.. أنا تعبت.

وقبل أن تكمل كلامنا ينفتح الباب ويظهر السيد (حازم) الذي يطلب من ندى أن تتركنا فهو يريد أن يحدثني بشكل منفرد..

جلست على طرف السرير وهو يجلس في مقابلي ويقول بوجه ملئته تجاعيد العمر:

- بنتي قالتلي إنك قدرت تقتل واحد من الغربان.. إنت بطل..

- أنا حاولت أساعد..

- وأنا هساعدك لكن عندي طلب وشرط..

ينظر لي ليتأكد من موافقتي قبل أن يكمل:

- الطلب.. إنك تخلي بالك من أسئلتك كويس قبل ما تسألها.. ما تسألش إلا السؤال اللي هتتحمل إجابته..

والشرط إنك تطلع في مهمة كمان تدور فيها على الطفل التالت فريد.. أهله محتاجين يحسوا إن الأرض عملت فعلاً كل اللي عليها ناحيته قبل ما يستسلموا للقدر..

وقفت في مكاني وقلت بدون تفكير:

- وأنا جاهز.

بينما كنت أستعد للغابة كان أمرا عرفته لاحقاً يحصل في القسم.. لقد أمر خفاجة رجال الأمن أن يأتوا بمارو وقيدوا يديه، وكان يحاول أن يعرف كل شيء يعرفه عني ومارو يتقافز فوق أسئلته ولا يعطيه إجابات.. وهو ما استفز خفاجة الذي أطفأ سيجارته وأمسك مارو يجذبه من شعره:

- بص يله.. إوعى تنسى نفسك.. إنت في الأرض دي مجرد حرامي.. محدش في البلد طايقه.. ولو أعدمتك بكرة الصبح محدش هيزعل.. فأنت عايش لغاية دلوقتي بسببي..

- طيب خليني أموت بسببك كده على سبيل التغيير..

يستفز خفاجة لأقصى درجة بطريقته.. فيهدده خفاجة:

- إنت عارف إن في ناس كتير ماتوا بسبب دمهم الخفيف..

- اللي عارفه إنني أكيد هموت بسبب دمك الثقيل..

يتركه خفاجة ويعود لكرسيه ويخرج سيجارة جديدة وهو يقول:

- أتمنى إنك ماتموتش قبل ما تعرف مكان أهلك.. إنت صعبان عليا.. أهلك عايشين حياة كويسة قوي على فكرة.. وبقالهم سنين بيدوروا عليك..

لا يصدق مارو ما يسمعه.. بينما خفاجة يخرج صورة قديمة مهترئة تحتوي على عائلة مارو وهو صغير في السن:

- تصدق إنت شبه باباك قوي لما كان في نفس سنك..

يقولها خفاجة وهو يقلب الصورة تجاه عين مارو.. أعادته الصور لسنوات قديمة كان قد نسيها، وذكرته بهدف كان قد فقد الأمل فيه تمامًا وهو أن يجد عائلته.. شلال الذكريات أوجع عينه وأدمعها.. ينظر لخفاجة:



- وصلني بيهم..

يبتسم خفاجة ابتسامة تجعل الشيطان يشعر أنه مقصر في ابتسامته ويقول:

- بس كل حاجة ليها تمن.. هتقدر تدفع؟

في نفس الوقت كان الليل قد حل على الغابة أسير من مكان لآخر بحثا عن الطفل الأخير.. عبرت البحيرة.. ودخلت لمنطقة تكاثرت فيها الأغصان المتدلّية أقطعها بالسيف لأعبر.. وأكمل بحمي.. جلست لأرتاح قليلا وصنعت فخا لعلّي أصطاد أي شيء آكله..

وافترشت الأرض أنتظر أن ينضج ذلك الفأر المخزوق، وعندما

شرقت السماء كنت قد أكلت نصفه وأنا أحاول أن أتناسى ماضيه..
و.. هل الذي يقف خلف تلك الشجرة البعيدة طفل؟

وقفت أصبح به ليراني، ولكنه جرى بسرعة من المكان.. فجريت
خلفه أسرع.. هل هذا هو فريد الذي أبحث عنه، ولماذا يهرب؟
لم توقفني أسئلتني عن الجري خلفه.. أين ذهب؟ هناك خلف تلك
الشجرة أصبح فيه:
- فريد.. استنى..

يجري مجددًا وأجري خلفه.. من مكان لآخر حتى وصلنا هنا.. عند
المغارة..

“هل دلف لداخلها.. كان هذا السؤال المنطقي الأول..
أما السؤال الثاني المنطقي أيضًا.. هل وصلنا إلى هنا صدفة أم أنه
أوصلني إلى هنا قاصدًا”

دخلت إلى المغارة ورأيت مجددًا تلك الأسطوانات ذات الإضاءة
الحمراء وتلك الفتحة العلوية في أعلاها.. تردد صوت عم نصر في
رأسي..

“ركز في الحاجات اللي بتلاقيها ووصلها لمكانها”

أخرجت الغمليتين من جيبي.. هل من الممكن أن يكون هذا
مكائهما.. وضعت العملة الأولى واتضح أن حجمها مناسب تمامًا لتلك
الفتحة وما إن أصبحت داخل الأسطوانة أسمع حركة ميكانيكية
للحظات.. ثم يتحول الضوء للأزرق، وهو ما فعلته في الأسطوانة

التالية.. أنظر لباقي الأسطوانات وقد بدأت أدرك المطلوب..

لكن توقف نظري عندما رأيت الطفل واقفا عند باب المغارة..
ملامح وجهه ليست واضحة تمامًا لأن ضوء الشمس قادمًا من خلفه..
سألته:

- أنت فريد؟

يومئ برأسه نعم دون أن يتحرك من مكانه.. أركز في وجهه
وأسأله:

- أنا شفتك قبل كده؟

- أنا أ...

وقبل أن يكمل فريد إجابته كان هناك صوت موسيقى مرتفع جدًا
يغمر المكان حتى إنني وضعت يدي على أذني.. و..

سحبت ندى النظارة عن وجهي:

- موبايلك عمال بيرن بقاله كتير.. وفي حد تحت بينادي عليك..

كان على شاشة الهاتف اسم جبر فرددت بسرعة:

- إيه يا زمولي مابتدش ليه؟ أنا تحت ومعايا العربية..

صعد جبر وحملنا جهاز الـ VR معا.. وأخبرتني ندى أنها ستسبقني
للعيادة لكي تحجز دور لنا كيلا نتأخر.. كان اقتراحا جيدًا حتى أنهى
نقل الجهاز..

وتحرك جبر بالسيارة لوجهتنا.. عندما وصلت للمكان شلال من (الفلاشباكات) يضرب رأسي.. فأنا أعرف هذا المكان جيدًا.. وأستطيع أن أقرأ بقايا اللافتة التي أتت عليها الحياة وأخفت خطأها الإملائي.. يضرب جبر بمطرقة فوق القفل القديم لينفتح ويرفع البوابة وندخل..

في الداخل كانت الأتربة والعناكب تعيش في أفضل مراحل حياتها.. هناك عدد من أجهزة الفيديو جيم القديمة مغطاة بغطاء بلاستيكي.. نعم لقد كنا في المحل الذي كانت إضاءة لافتته البنفسجية النداهة التي أغرقتني في بحر الألعاب..

لقد كنا في ATLANTES VEDIO GAME..

يقول جبر بعد أن قام بتشغيل الإضاءة:

- إيه رأيك في المكان؟

- كويس..

يضيق جبر بين عينيه ويفرك أنفه، ويوضح:

- لا مش كويس.. ده عظمة العظمة.. المحل ده مقفول من زمان ومحدثش بيجي فيه.. عايز أقولك لو الجن الأزرق عايز يوصلك هنا هيتوه في الطريق.. ده غير إن المنطقة تحت أيدينا يعني أي حد داخل خارج.. هنشمه وهنعرف نتعامل.. يبقى كويس ولا عظمة العظمة؟

- عظمة العظمة.. أنا مش عارف أشكرك إزاي يا جبر..

يلتفت جبر نحوي:

- لا يا قلبي شكرا دي تخليها للعالم النضيقة اللي بقمصان أنا شكراً بتاعتي إنت عارفها..

أخبرته أنني أعرفها وأعلمها وأحفظها.. فيكمل:

- أصل بحسك بتنسى.. موضوع البنت ده لازم نخلصه خلال يومين عشان المدارس هتأجز.. فجهز نفسك.. أنا بس لسه بظبط الكاشات مع أبوها.. وغالبا الطلعة دي هطلعها أنا وإنت في السهل كده وأهو نوفر مصاريف.. هتخطف إنت ولا هتسوق؟

خياران أسوأ من بعضهما، ولكنني اخترت القيادة بالتأكيد.. وقبل أن يرحل جبر أعطاني قفلاً جديداً وطلبت منه أن يقوم بعمل لسان للبوابة من الداخل لأستطيع أن أغلق على نفسي.. كنت أستعد أن أذهب في رحلة إلى أرض القدر.. ولكن جاءني تليفون من ندى يذكرني أنه كان لدي موعد أهم:

- أنا في العيادة ودخلت للدكتور.. بس هو مش راضي يقولي في إيه غير لما تيجي..

لا أعلم لماذا كلماتها أثارت قولوني.. وتحركت بسرعة للعيادة..

أنهى الطبيب كلامه وخرجت من غرفته وروحي قد سحبت مني بعد ما سمعته.. رائحة المطهر في المكان تقضي على ما تبقى من روحي.. مصدوما تائها أصل لخارج العيادة حيث تقف ندى تكلم والدتي وتطمئنها أننا في الطريق عائدين.. عندما رأني ندى في هذه

الحالة أنهت المكالمة:

- خيرا حسين اتأخرت جوه كده ليه؟

أكمل خطواتي لا أسمعها.. وأجلس على السلم.. فتقترب وتجلس بجواري تلاحظ عيني الدامعة.. تبتلع ريقها وتسألني:

- في إيه؟

التفت لها وأخبرها بما قاله الطبيب:

- ماما عندها سرطان في المعدة.. مرحلة صعبة ولازم تعمل عملية بسرعة..

تضرب ندى بيدها على فمها من الصدمة.. لكني لم أستطع السيطرة على نفسي وكلامي:

- أغلى حد عندي في الدنيا بيروح مني.. معرفتش أعملها حاجة وهي عايشة ولا هعرف حتى ألحقها من الموت..

- هتعمل العملية وكله هيبقى كويس..

قالتها ندى تحاول أن تساويني ولكني كنت وصلت لأسوأ نقطة نفسية:

- كله هيبقى كويس! دي الجملة اللي بنضحك بيها على نفسنا كل يوم.. والحياة بتتبت إن كل يوم هيبقى أصعب وإن مفيش حاجة هتبقى كويسة.. أنا ممعيش أي فلوس.. أنا مش عارف هعمل إيه!

أنظر لندى كأني أسألها لو تملك إجابة:

- أنا هعمل إيه.. هعمل إيه! أنا مش عارف حتى أقولها إزاي..

لا تجد ندى ما تقوله فتربت على يدي.. بينما سندات ظهري للحائط ونظرت للأعلى بعينين دامعتين:

- يارب.. بلاش ماما.. بلاش والنبي يارب..

عندما عدنا للمنزل كانت والدتي تنهي صلاتها.. لم أتكلم طوال الطريق ولم تحاول ندى أن تكسر صمتي.. كان التيه لازال يملكني ولكنه تيه فاتر.. سلمت يمينها ويسارها وسألتنا:

- اتأخرتوا قوي كده ليه؟

رددت بفتور:

- الطريق كان زحمة واحنا راجعين..

- طب الدكتور قال أيه؟

لم ترد ندى.. اقتربت من والدتي واثنيت ليكون وجهي مقابل وجهها.. انتظرت لحظات أرتب الكلام.. ثم فجأة اعتراني شعور غضب شديد تجاه ترتيب الحياة.. ثم ابتسمت وأخبرتها بهدوء:

- قال إن الحاجة بتشوف غلاوتها عندكوا بس.. الأشعة طلعت كويسة.. ومفيش حاجة خالص..

- يعني أبطل آخذ الدواء..

لا يا أمي لا تكفي عن أخذ الدواء فالألم سينهش جسدك.. أخبرتها:

- لا الدكتور قال تفضلي تخدي المسكنات.. فترة كده بس لغاية ما الوجة يروح..

ابتسمت وهي تقول:

- ما أنا قولتلكوا من الأول أنا كويسة.. مكنتش له لزوم الدكتور والمصاريف.. التعب ده بيجيلي كل فترة وبيمشي ومكنتش بقولكم..

- هيمشي.. إن شاء الله هيمشي.. إحنا بس كنا عايزين نطمئن عليكى.. ماتقليقناش تاني بقى..

وأخذها في حضني بقوة.. كان حضن يعوض كل السنوات التي مرت دون أحضنها فيها.. سقطت دمعة من عيني.. وأخبرتها:

- أنا بحبك قوي يا ماما..

“رغم رغبتى في البقاء جوارها إلا أنني لم أستطع أن أبقى بجوارها..

كانت رأسي تريد أي طريقة للهروب من الواقع.”

ولذا نزلت من المنزل متوجهًا لمحل الألعاب القديم.. وفي طريقي إليه في هذا الشارع الخالي من المارة.. توقفت فجأة بجواري سيارة نزل منها شخصان يمتلكان كتلة عضلية لا بأس بها.. ووضعاني في سيارة..

“لكن الحياة كما تجعل كل يوم أصعب من سابقه..

تحسن من مهاراتها وتجعل كل لحظة أصعب من سابقتها.”

لم أكن أملك أي قدرة على المقاومة.. كنت أريد الهرب من كل ما
يدور لو سيقتلونني فأنا موافق.. تحركت السيارة وأخفوا عيني..
ووضعوا غطاء أسود على وجهي..

”وسط هذا الظلام تذكرت وجهًا كنت قد نسيتَه“

تذكرت فريد في لقائنا الأخير عندما سألتَه ”أنا شفتك قبل كده؟“
لم يسعفنا الوقت ليجيبني ولكني تذكرت هذا الطفل الآن.. هذا الطفل
الذي كان يلعب في حوش العمارة.. ويلعب الفيديو جيم في محل
أطلانتس.. هذا الطفل الموجود في صورة عيد الميلاد مع ندى..

”تذكرت أن فريد هو أنا“

(19)

في قلب الظلمات تكاثرت الأفكار وصار المصير مجهولاً.. هل
سأستطيع مساعدة والدتي؟ هل سيتركونني أكمل اللعبة؟ ما الذي
سيفعلونه بي؟ هل سأبقى حيًا أصلاً؟

وفجأة تحدث صدمة قوية للسيارة تجبرنا على التوقف.. وأسمع
صوت مَن معي:

- في إيه؟

- العربية اللي ورانا خبطتنا..

تتقدم السيارة التي خلفنا لتصبح بجوارنا ويطل منها صوت مميز،
إنه جبر:

- معلش يا باشوات غصب عني والله لسه بتعلم.. لا مؤاخذا أديكوا
حاجة كده على سبيل الاعتذار البسيط.. أحلى مسا..

قالها جبر وألقى بشيء عبر زجاج السيارة، ومن الإضاءة الحمراء
التي وصلت لي كان واضحاً أنه شمروخ الخاص بالأفراح.. الدخان
الكثيف أحرق عيني وجعلني أسعل بشدة.. ووسط ذلك دخل جبر
مخبئاً أسفل وجهه بطرف التيشيرت وأخذني من وسطهم ألقاني في
ال127 الخضراء وانطلق..

لا زال السعال لم يتوقف يفتح لي جبر زجاجة مياه غازية بأسنانه..
في الحقيقة الأمر أثار قرفي ولكنه كان مصرًا:

- أشرب دي اللي هتسلكلك الخنقة..

ثم يقول جبر بفخر:

- أحمد ربنا إن جبر حضر وإلا كان زمانهم حاطينك ع الزلافة.. بس
اللي شاغلني الناس دي طالما عارفين مكانك ليه مبلغوش البوليس..
أكيد إنت عارف..

- أكيد ليه؟ أنا معرفش حاجة..

رغم أنه كان في مصلحتنا أن تبقى الشرطة بعيدة عن الحكاية وإلا
سنواجه قضايا عديدة إلا أنه كان نذير خطر.. وضح لي جبر بعدها
أن عيونه في المنطقة أخبروه بأن هناك سيارة تدور حول منزلي،
فتشكك في الأمر وعندما جاء رأيهم وهم يخطفوني، وكان معه
هذا الشمروخ الذي تركه لحفل حنة (ديفل).. ومع رشات من المبيد
الحشري يتحول لقنبلة غاز.. سألته:

- هو إنت ليه بتعمل معايا كل ده؟

إنت تعرف ما فعله بأذنه أو أنفه قبل أن يرد:

- عشان يوم ما سرقنا العفش.. ماسمعتش كلامي عشان تدافع
عني.. حسيت إنك أتعاملت معايا كصاحب.. وأنا مليش صاحب..

هل كلام جبر أثر فيه ولذلك رفع زجاجة المشروب الغازي على فمه
ليخفي هذا التأثير.. الآن فهمت لماذا أصبحت زمولي.. الأمر يتجاوز
المشاركة في السرقة.. ودعني أخبرك أمراً وقتها بالفعل ما حركني
هو رغبتني في الدفاع عنه.. طمئني جبر أن هناك (نضورجي) سيبقي
عينه على منزل العائلة لمدة يومين.. حتى نتأكد أن هؤلاء الأشخاص

لن يتعزّضوا لهم..

أتى لي جبر بعدها بساندوتشات كبدة وسجق من أبي إسراء وهي
السندوتشات القادرة على سد نفسك عن الحياة بأكملها.. قبل أن
يغلق البوابة من الخارج وينصرف..

هاتفني ندى بعدها كانت متعجبة من أنني لم أخبر والدتي
بمرضها، وأخبرتها أنني لن أفعل.. لن أخبرها قبل أن أستطيع أن
أصل لنقود عمليتها.. وأخبرتها أنني سأتأخر لأنني في حنة صديقي
(ديفل)!

“أفضل علاج اكتشفته لحل المشاكل الصعبة.. أن تهرب منها..”

أمسك نظارة الـ VR..

“ومهما تضيق بك أماكن الواقع.. ستجد دومًا في الخيال مكانًا”

1..2..3

يختفي الصوت والضوء..

أفيق كأنني أقوم من كابوس وأنادي:

- فريد..

التفت حولي وجدته يجلس كأنه ينتظرني ويمسك “جوزة” هند
يناولني إياها:

- أنا هنا..

كسرت الجوزة لأشرب من مائها.. سألته أين اختفى طوال الأيام السابقة ولماذا.. فأخبرني:

- كنت هربان من الغراب الحقيقي.. هو عاوز يقتلني.. فضلت أجري جوه الغابة لان كل ما بقف في مكان شوية بيعرف يوصلني..

أوضح لي فريد ما كنت أشك فيه أن هناك غربانَ ليسوا بحقيقيين.. ولكن أثار في الخوف بمعرفة أن هناك غرابًا حقيقيًا مختلفًا تمامًا عن المزيفين.. وكلامه يعني أننا يجب أن نتحرك الآن قبل أن يصل لنا.. نظر لي فريد وقال:

- ممكن تحميني ومتسيبهموش يقتلني..

وعدته أنني سأفعل بدأت أستشعر أن هناك حركة مريبة حولنا فرفعت فريد أحمله وبدأت أتحرك به بسرعة.. ونسيت أن أسأله أين رأيتَه من قبل..

عندما وصلت أرض القدر كانت الشمس قد بدأت في رحيلها أما أهل الأرض فقد أقبلوا يستقبلوني استقبال الأبطال.. وأخرج فريد عملة من جيبه أعطاها لي:

- العملة دي غالية عندي.. بس أنا هديها لك هدية..

ثم احتضنني بحب وجاءت والدته تشكرني ومعها ابنة أختها الصغيرة كانت سعيدة للغاية بعودة فريد.. كنت سعيدًا لسعادتهم.. تأملت العملة التي أثار شيء بها تعجبي فلم ألاحظ أن ندى تقف بجواري ولذلك أجفلت عندما رأيتها.. فقالت ساخرة:

- يعني إنت في الغابة وسط الغربان طول اليوم.. واتخضيت لما

شفتني؟

اعتذرت لها.. بينما قالت والفخر يملأ عينها وابتسامتها:

- عرفت إن كان عندي حق لما قُلتك إن قدرك تكون بطل.. أنت قدرت ترجع الأطفال اللي خفاجة ورجالته معروفش يرجعوههم..

قلت بصدق مدين بالفضل:

- إنتي وثقت فيا في الوقت اللي موثقتش فيه في نفسي.. بس أنا في حاجات كتير مش عارف أوصلها يا ندى..

أخبرتها أن الأسئلة لا تنتهي من رأسي، وأن والدها لم يفدني بأي إجابة.. فقالت إنه طوال عمره يتهرب من أن يجيبها بأي سؤال ولذلك كانت تلجأ دومًا لعم نصر.. وهو ما جعلها هي وخفاجة أن يكونا مقربين وهم أطفال ولكنه مع الوقت أصبح يتعامل معها كأنها حق مكتسب.. وجدت فرصة لأسأل واحدًا من الأسئلة التي تدور في رأسي عن خفاجة:

- وأنتِ مبتحبوش صح؟

- خفاجة ميعرفش يعني إيه حب.. خفاجة بيتعامل على إنني ملكه من غير ما حتى يعرف رأيي.. الحرب اللي داخلها عشان يكسبني داخلها ضدي مش معايا..

ابتسمت وأنا أقول:

- إنتي يا ندى تستاهلي حد يحارب الدنيا كلها عشانك.. عشان بس تكوني مبسوفة..

لم أكن أبالغ، ولكن هذا ما شعرت به لحظتها.. وأظن المشاعر
الصادقة تصل دون عوائق.. انتبهت:

- هو فين مارو صحيح؟

- مشوفتوش من ساعة ما إنت رُحت الغابة تاني..

حسنًا سؤال يجاب فيخلق آخر، وشخص واحد ربما يملك
الإجابات..

في منزل عم نصر جلست أرضًا.. وقد تحول المشروب الآن للون
الأسود تمامًا.. أخبرته أن أسئلتني تكتر لا تنقص فيرد:

- إنت اللي مصعبها على نفسك.. بتسأل سؤال تطلع منه لسؤال
يوصلك للسؤال الأول.. لو ركزت في دايرة الأسئلة هتعرف إن مفيش
فيها سؤال مهم غير أول سؤال..

- هو إيه أول سؤال؟

لوى عم نصر شفاه وقال:

- هو إنت مش عايز تتعب خالص وعايزني أجابك على كل
حاجة.. أفكر أول سؤال سألته أول ما فوقت هنا..

أحاول التذكر.. أتحرك بين علامات الاستفهام والتعجب العديدة
التي بداخل رأسي.. حتى أصل لأولى العلامات:

- أنا مين؟!

طلبت منه أن يساعدي وألا يتركني تائها فردّ:

- اللي أعرف أساعدك بيه.. هو إني أقولك كمل.. دور ومتقفش..
القدر بيساعد بس اللي بيساعدوا أنفسهم..

والإجابة قريبة مش بعيدة..

كان مصرًا على الكلام بالألغاز وهو ما أثار غيظي.. رجوته:

- أرجوك متعقدهاش عليا..

- ما هي متعقدة فعلاً.. بس كل نقطة فيها ليها معنى مينفعش
يتشال..

كنت على وشك أن أضرب رأسي في الحائط من طريقته
المستفزة.. فحاولت معه للمرة الأخيرة أخرجت العملة التي أعطاني
إياها فريد.. عملة قديمة محفور عليها تاريخ 2360.. سألت عم
نصر:

- طب إحنا في سنة كام.. الناس هنا من إمتى.. قولي أي حاجة..
يبدو أن عم نصر رأى الضيق على وجهي.. لا أقصد شيئًا، ولكنه
شعر لم ير.. فقال لي:

- أنا هخليك تشوف.. أهم حاجة محدش أبدًا يعرف إنك بتدور
وبتحاول تشوف.. لأن ساعتها هيخلوك تخسر العين اللي بتشوف
بيها..

وأشار لعينه بدلالة واضحة..

في ظلمة الليل كنت أحمل القنديل أسير مع عم نصر لنتحرك نحو
أطراف البلدة.. وهناك ما يبدو كنصب تذكاري ضخم صنعت حوائطه

ممرات نسير بينها.. حتى وصلنا لحائط يقطع الطريق توقفنا عنده..
ويشرح عم نصر:

- هنا كان أول حجر حطه أجداد أجدادنا لأرض القدر.. في أواخر
الألفية اللي فاتت وده الوقت اللي عرفوا فيه إن العالم بيتنتهي..
عشان كده حطو هنا حجر أساس للأراضي اللي هتحمي البشر..

ثم أردف:

- لما جيتلي أول مرة قُلت إن أسمك س.. اسم غريب ومش متكرر..
- ده حد عرفته هنا سمهولي..

يتحسس نصر بيده الرمز الذي يتوسط تلك الدائرة على الحائط،
فأرفع القنديل لأرى ما يتحدث عنه، وابتلعت ريقى مما رأيته:

- شايف العلامة اللي في ئص رمز أرض القدر دي.. حرف السين..
تفتكر إن دي صدفة؟

رأيته كانت س مرسومة بشكل عجيب ولكنها س لا شك.. سألته:

- لو مش صدفة.. يبقى اسمه إيه؟

- يبقى اسمه قدر.. يا إنت قدر الأرض دي... يا الأرض هي اللي
قدرك.

ورأيت ابتسامته على ضوء شعلة القنديل وهو يقول:

- أهلاً بيك في أرض القدر..

حديثنا أثار فيّ القلق والارتباك ولم يجب عن أسئلتى، أشعر أنني

أأخذ الكثير من الخطوات ولكنها كلها في نفس المكان.. جلست عند البحيرة وعلى ضوء القمر كنت ألقى الحصى لتصنع حلقات دائرية وأنا أأذكر آخر كلمات عم نصر لي:

- نصيحتي ليك صدق نفسك..

قطع مارو جلستي فقد وجدته يظهر فجأة ويجلس بجواري وهو يقول:

- إزبك يا س؟

سألته أين كان مختفيًا فرد:

- كنت قاعد مع نفسي.. كان في موضوع لازم أوصل فيه لقرار..

- ووصلت؟

قلت لها لأتركه يحكي لي.. ولكنه لم يحك بل رأيت على ضوء القمر ارتباكًا من عينه.. وفجأة أخرج سكيًا ذا نصلي أبيض لامع ورفعته للأعلى وهو يقول:

- للأسف..

(20)

أصرخ وأدفع بيدي السكين عن نفسي ولكنه لا يصل لي.. أنظر حولي أنا في محل الفيديو جيم، وجبر واقف يحمل النظارة.. ينظر لي متعجبًا:

- مالك يا زمولي؟

أتمالك أنفاسي، وأحاول الهدوء وأخبره أنني كنت أحلم.. فيرث وهو يفرض كيس ساندوتشات الفول بالبيض:

- ما عشان نايم مش مستغطي..

وأعطاني نظرة نحو مؤخرتي أقلقنتني.. فرك أنفه قبل أن يفتح كيس الباذنجان وهو يسألني:

- نفسي أعرف الجهاز ده قصته إيه بالضبط؟

أخبرته أنه جهاز يساعد على النوم لكي أتخلص من أسئلته.. وسألته لماذا أتى مبكرًا.. فرد:

- عشان نشوف شغلنا..

- أنا واخد أجازة النهارده مش هروح الشغل..

أعطاني ساندوتش وهو يقول:

- أجازة إيه!! شغلنا إحنا يا زمولي.. إحنا هنفطر ونشرب شاينا ونتوجه بأمر الله.. عشان عندنا جريمة خطف..

طوال الطريق راجع معي جبر الخطة عدة مرات، ولكنني في

كل مرة لم أكن مركزًا معه.. حتى ونحن في وسط التنفيذ الآن لم أكن بكامل تركيزي وكان الأصوات لا تصل لأذني.. يأخذ جبر الفتاة من أمام المدرسة الفتاة تصرخ والبواب يجري خلفه.. ويصل جبر للسيارة يصيح في أن أتحرك.. لا أسمعه لكني فهمت من حركة يده.. أتحرك بالسيارة لا أفكر في شيء إلا ما حدث هناك في العالم الافتراضي..

“أخبرني عم نصر أنه لا يجب أن يعرف أحد أنني أريد أن أرى، وإلا سأخسر عيني مثله..

هل لهذا يحاول مارو قتلي؟

لماذا أشعر بالغدر والضيق رغم أنها مجرد لعبة؟

ورغم الأسئلة الكثيرة كان هناك سؤال أكبر..

ماذا سيحدث إذا مث في اللعبة؟”

تلمع في رأسي صورة الكومة المكونة من جثثي التي كانت في الوادي..

“هل كانت هذه نسخي التي خسرت اللعبة؟”

لا زلت في السيارة لم أدرك متى توقفنا وأرى جبر يعطي الفتاة لوالدها ويأخذ منه رزمة من النقود.. ويعود ليجلس بجواري، وهو يعد النقود.. لم أعلم ما المفترض مئي فعله الآن حتى قال:

- ما تتحرك يا زمولي واقف ليه.. لومستني الحكومة تجيلنا..

عرفني!

أثناء الطريق سألني جبر وهو لا يزال يعد النقود:

- شفت البت مبسوطة إزاي إنها رجعت لأبوها، وطلعت بتحبه أكثر من أمها.. قولي إنت بقى بدماغك

يبقى اللي بنعمله صح ولا غلط؟

وكان كلامه ينبش جرحاً في ماضٍ لا أريد تذكره، ورددت بالإجابة التي وضعتها في صندوق المظلم:

- أنا شايف إن الصح إن العيال يتربوا في بيت فيه أب وأم.. عشان لما الواحد بيخسر حد منهم بيفضل طول عمره حاسس إن في حاجة ناقصاه..

بدأ جبر يلف سيجارة وهو يقول:

- إيه يا عم إنت عمقت الدنيا ودخلتني في الغامق كده ليه.. راجل وست مش طايقين يعيشوا مع بعض عادي يعني كل يوم بتحصل.. والأطفال تتعايش يعني..

لماذا تصر يا جبر أن تفتح هذا الصندوق لماذا؟ لماذا جعلتني أرد:

- تتعايش!! بيتهيا لك.. دول بيتكسروا وبيقفلوا على أنفسهم.. بعد ما بيخسروا فكرة إنهم يحسوا بالأمان

تاني.. وتقولي بتتعايش.. الأهالي بيختاروا يقوموا الحرب ما بينهم وبيستخدموا فيها حد مختارش أصلاً إنه يكون موجود..

أمسح طرف عيني.. بينما جبر مصدوم لا يفهم أصلاً ما قلته يشعل السيجارة لينسى تلك المحادثة وهو يقول:

- المهم البت مبسوبة وإحنا قبضنا..

لا أظن أن هذا هو المهم.. لا أظن هناك أمر مهما أكثر من أنه يجب عمل العديد من الاختبارات للأهالي قبل أن يصرح لهم بالإنجاب.. كفانا أجيالاً مشوهة.. كفانا أ... ينبهني جبر أن موبايلى يرن منذ فترة.. إنها ندى رددت:

- إيه يا ندى ماما كويسة؟ الحمد لله في إيه؟ طيب أنا جاي حالاً.. أنحرف بالسيارة متوجهًا لمنزلي.. يتعجب جبر فأشرح له.. فأرساني على ما سنفعل..

عندما وصلنا عند المنزل كان خفاجة يجلس على كرسي أمام العمارة.. وأخبرتني ندى أنه مستمر في الصياح بأنه لن يرحل حتى تذهب معه.. اقتربت منه وسألته بمقصد غير السؤال:

- واقف هنا ليه يا خفاجة؟

فقال وهو يضع قدمًا على قدم باستعراض كأننا في فيلم عربي قديم:

- معرفش إنك اشتريت الحتة دي يا أبو النسب.. أنا واقف في ملك الحكومة عادي.

هل تعرف الشخصيات السخيفة أنها سخيفة؟ أم أنهم سخفاء لدرجة أن ما يفعلوه يعتبر روتينًا يومي عادي.. منذ خطفه الساندوتشات من الأطفال الأصغر في المدرسة، وسخافته علينا

ونحن نلعب أمام محل والده.. تكاثرت سخافته ونمت بشكل ملحوظ..

حاولت أن أنبهه أنني لست (حسين) القديم الذي سيتقبل سخافته ويرحل ولكنه لم يتعظ؛ ولذا التفث لجبر وأعطيته النظرة التي كان ينتظرها فنزل بسرعة من السيارة ووقف بجواري.. دخول جبر أخفى الشمس وقضى على ما تبقى من الحياة.. ليتحول خفاجة في لحظة من جمل إلى جدي ويسمعني غناءه:

- إيه يا أبو النسب إحنا بنتكلم..

- وأنا مش عايز أتكلم وعايز أفض قصة أبو النسب دي..

قلتها والتفث لجبر:

- هو يا خفاجة الراجل اللي مراته تبقى عايز تطلق منه، وهو مش راضي بيبقى اسمه إيه؟!

- متقولش راجل بس..

كنت مستمتعًا للغاية بالمباراة التي نلعبها الآن والتي اتفقنا عليها.. فعدت بالكرة:

- طب لو قُلتك يا صاحبي إن في واحدة عايزة تطلق وجوزها مش راضي.. تعمل إيه؟

- اقنعه اتكلم معاه وافهمه..

(ون..تو) حلوة.. تنتظر اللمسة النهائية التي سأقولها حالًا:

- طب اقنعه والنبى..

يخرج جبر سلاح أبيض ويمسك يد خفاجة يضعها أسفل ظهره
ليلصق وجهه بكشك الكهرباء.. ويلمس رقبتة بالسكينة.. كان خفاجة
يصرخ ويسب كأي جدي سيدبح.. ثم همس خفاجة لجبر:

- هديك اللي إنت عايزه بس سيبنني.. خد اللي في جيبني كله..

يبدو أن الفكرة أعجبت جبر فيفتشه بيد واحدة وهو لا زال مثبته..
ويخرج رزمة من النقود ويضعهم في جيبه.. ثم يعود بالسكين مرة
أخرى على رقبة خفاجة:

- حلوين.. نرجع لموضعنا بقى..

دمر جبر آخر أمل لخفاجة في الخروج من هذا الموقف ليتحول
من جدي إلى ماعز.. يبتسم لي جبر ابتسامة تعني أن هذا حاله..
ويقول:

- خلاص يازمولي هو اقتنع.

أخرج الموبايل وأكلم ندى أسأله:

- لسه عايزة تطلقي منه؟!

فتخبرني نعم.. فأطلب منها أن تخرج للبلونة.. ويستعدله جبر
ليقف منتصبا وهو لا زال ممسكًا بذراعه خلف ظهره.. أصبح في
خفاجة:

- طلقها..

ينظر له جبر نظرات أخافتني شخصيًا.. فيقول خفاجة بصوت
خفيض:

- إنتي طالق..

قلت أمراً:

- بالتلاتة وبصوت عالي..

ينظر خفاجة حوله يبحث عن أي أمل للهروب ولكنه يدرك أنه
وسط كمين لن ينجده منه أحد.. فيقول صاغراً:

- إنتي طالق بالتلاتة..

تزغرد ندى في الشباك.. ونظر لي جبر نظرة أخ أكبر فخور بأخيه..
فأنظر لخفاجة ولدي نية أن أقول له كل ما في قلبي:

- عارف يا خفاجة أنا مبطبقكش من أيام المدرسة عيل لزج
وتقيل.. حاول تعالج الموضوع ده.. ولا متحاولش أنا مش عايز
أشوف وش أمك تاني يلا من هنا.. وخذ الكرسي بتاعك معاك..

ياخذ خفاجة الكرسي ويتحرك فيناديه جبر، ويلقيه بالسكينة:

- وخذ دي كمان معاك.. بنضحك بيها على العيال الصغيرة..

ليتضح أن السكينة هي لعبة بلاستيكية.. يقول خفاجة الكثير
عن أن الأمر لن يمر.. ولكن كان واضحاً أنها حلاوة روح النهايات..
كانت عيني على ندى التي تقف سعيدة سعادة أسالت دموعها.. بينما
والدتي تقف لا تصدق ما يحدث وبالطبع نظراتها تلومني.. بينما
يسخر جبر وهو يعد النقود:

- هو إيه الكرسي اللي كان جايبه ده! هو فاكهه بللاج أمه..

ضحكت وكانت سعادتي واضحة لا أستطيع إخفاءها.. ولكني لم
أكن قادرًا على مواجهة والدتي الآن.. كما أنني كنت أود الرجوع
لأرض القدر لأعرف ما مصيري..

عندما عدنا إلى محل الفيديو جيم.. سألتني جبر لكي يثبت وجهة
نظره:

- شفت بقى ساعات الحق مبيجيش إلا عافية..

"لم يكن يشغلني الآن أن أدخل نقاشًا حادًا حول قانون الغابة
وهل هو الأنسب للتعامل بين البشر أم لا خصوصًا مع انتشار
الحيوانات والبهايم بيننا

كل ما يشغلني هو قانون لعبة القدر.. الذي لا أعلم ماذا سيفعل
بي.."

أخبرني جبر أنه سيأتي لنا بلحمة رأس وقطع غيار حيوانات
للغذاء.. وأول ما رحل لم أستطع تمالك نفسي.. وارتديت نظارتي..

1.. 2.. 3

أستيقظ كأنه كابوس.. أجد ندى بجواري تطمئن علي.. وللمفاجأة
أجد مارو مربوطًا ومكمًا.. أنظر لندى أسألها عما دار هنا:

- هو إيه اللي حصل.. مارو حاول يقتلني؟ ولا أنا بيتهيا لي؟ ولا أنا
ميت ولا إيه؟

فحككت لي أنها كانت تبحث عني حتى وصلت للبحيرة ولأن الوقت

تأخر وهي وحدها قررت أن تأخذ سلاح والدها معها لتحمي نفسها،
ومن حسن الحظ أنها وصلت في نفس اللحظة التي رفع عليّ مارو
السلاح الأبيض.. فأطلقت الرصاص على يده.. وهكذا استطاعت أن
تنقذني.. ملاكي الحارس هذا كان إيماني بها من اللحظة الأولى.. لقد
أنقذتني من الموت.. نظرت لي وقالت:

- حسيت إن لو جراك حاجة.. حياتي هترجع لورا كثير.. إنت
وجودك هنا غير إحساسي ناحية الدنيا.. من واحدة مكنتش بتفكر
غير إنها تهرب من هنا.. لواحدة بدأت تحس إن مكانها الصح هنا..

لم أكن مدرّكًا كيف فعلت ما تقوله وبدأ لي أنها تبالغ:

- أنا عملت كده! إزاي؟!

- عملت كده لما عملت كل حاجة عشان تثبت للناس إنني كان عندي
حق عكس بابا.. كان كل المجهود اللي بيعمله بس عشان يعبت إنني
غلط وهو اللي صح.. أنا عارفه إنه بيحبي.. بس بطريقة غلط.

سألتها هل الحب أنواع منه الخاطئ والصواب.. فردّت:

- طبعا.. الحب الصح إن تبقى سعادة اللي قدامك هي الحاجة اللي
بتسعدك.. فمهما تتعب عشانه بتحس إن تعبك ده لنفسك وه اللي
إنت عملته يا س..

فكرت في كلامها والذي لم أجد له إلا معنى واحدًا واضحًا:

- ده معناه إنني بحبك.

تبتسم وتبعد عينها تقلدني عندما أخفي ما بداخلي.. فكررت:

- لا أنا بقولك إني بحبك.. مفتكرش إني حسيت بالحب قبل كده..
بس أنا عارف إن من أوّل مرة شفتك في الغابة وأنا حاسس إني
مش محتاج من الحياة غير إني أصحى كل يوم أشوفك كويسة..
لحد آخر يوم في حياتي.. لو ده الحب.. فأنا بحبك..

أرفع خصلة عن عينها لأرى وجهها واضحًا ولترى الصدق في
عيني.. تضغط بأصابعها على يدي كأنها تتمسك بي.. أريد أن يتوقف
العالم كله لأسمع ردها.. لتصمت كل حيوانات الغابات.. فلتتوقف
المحيطات عن الحركة.. والأرض عن الدوران.. والكون عن اتساعه..
عيني تراقب شفاهها وهي تتحرك ببطء شديد قبل أن تقول في
لحظة توقف فيها الزمن:

- وأنا كمان بحبك..

وفي كل لحظة سعادة لا بُدَّ أن يأتي ما يعكر صفوها.. أسمع صوت
خفاجة قبل أن أراه:

- هو إيه اللي بيحصل هنا بالضبط؟؟

نقف حتى نراه ممتطيًا حصانه، ويبدو أنه فهم ما يدور.. أمسك بيد
ندى أكثر فيقول خفاجة:

- إنت متهم بختف ابنة الحاكم..

- محدش خطفني أنا هنا بمزاجي..

كلام ندى يعير فيه الغيظ أكثر.. فيكمل برسمية كأنه لم يسمعها:

- والسيطرة على عقلها.. واستغلالها بما يحقق أهدافك من هدم

النظام في أرض القدر.. وبصفتي مسؤول عن أمن أرضنا قررت إن خيانتك لا يناسبها عقاب غير الموت.

وأخرج مسدسه بسرعة يصوبه نحوي وأطلق الرصاص.. في لحظة ظننت أنني مت في لحظة كانت ندى أمامي وقد تلقت الرصاصة بدلًا عني.. لا أصدق ما يدور.. دماؤها تنسال وتتسع البقعة الحمراء على ملابسها..

وعندما رأى خفاجة المنظر هرب بسرعة.. أما أنا فقد كنت مصدوما لا تصدق عيني الدامعة ما ترى..

كنت سعيد أنها ملاكي الحارس.. ولكني لم أرد أن يموت ملاكي الحارس بديلًا عني.. أحضنها وأصرخ باسمها ليتردد حتى السماء السابعة:

- ندى..

جذبني جبر من هذا العالم وهو يهز جسدي بقوة وقد خلع عني النظارة:

- إيه يا زمولي.. هي مشاكل النوم اللي عندك إنك بتنام كثير ولا قليل؟

يلاحظ الدموع التي تسقط من عيني:

- إيه ده إنت بتعيط وإنت نايم؟

- لا.. لا دي في حاجة بس دخلت في عيني..

قلتها وأنا أقف مبتعدًا عن الجهاز.. مقتل ندى في العالم الافتراضي

جعل صورة ندى في العالم الحقيقي تطاردني..

كان جبر يفرش الغذاء، ولم يكذب كانت قطع غيار حيوانات حتى إن الأكل كان مقلي في زيت سيارات ورائحته مثل ورشة الميكانيكا.. لم أكل كثيرًا ثم طلبت منه أن يغادر لأنني سأستقبل شخصًا هنا.. فغمز لي:

- صاحبك.. أنا قلت من الأول..

لم أصح له وتركته يظن ما يظنه.. وبعد أن رحل هاتفتها:

- ندى قابليني تحت.. في مكان عايزك تشوفيه..

قابلتها في أول شارعنا وعدت بها إلى هنا.. نقف الآن سويًا أمام محل الفيديو جيم.. تنظر للمكان ثم لي:

- مش فاهمة.. إيه المكان ده؟

- مش فاكراه.. ده المحل اللي كنا بنلعب فيه فيديو جيم زمان.. الحياة رجعتني ليه ثاني..

تبتسم ندى، ويبدو أنها تذكرته:

- أيوه صح افكرت.. بس أنا مكنتش بحب ألعب أنا..

لم تكمل جملتها ولكني أكملتها:

- كنتي بتيجي عشان تكوني معايا بس.. صح؟

تتفاجأ ندى وكأنها لا تصدق أنني كنت أفهم مشاعرها.. ولكني أكملت:

- كنتي بتحبييني.. وأنا كنت أضعف من إني أقولها..

- كنا صغيرين.. أيام وراحت لحالها..

طوفان مشاعري وكلامي يتعالى خلف سد بني طوال سنوات..
طوفان قادر على تدمير سد أثيوبيا وسد عجز مياه مصر لعشر
سنوات.. شروخ السد تزداد فأرد:

- وكبرت.. وبقيت عايز أقول اللي جوايا.. ندى أنا بحبك.. بحبك
من وأنا صغير ومعرفتش أحب حد غيرك لحد النهارده، ومظننش
إني ممكن في يوم ثاني أحب.. أيا كان ردك.. مشاعرك.. أنا هقولها..
بحبك..

انهار السد تمامًا.. تبحث ندى عن الكلام فلا تجده، وأكمل:

- صدقيني أنا مش عايز رد.. أنا كنت عايزة أقولها بس.. كنت عايز
أخرج كلمة محبوسة هنا..

أضرب على صدري بقوة كأنني أعاقبه على كل أيام الصمت.. ولا
أتوقف:

- بقالها سنين بتوجعني.. إنتي كده كده مينفعش تقولي أي قرار
دلوقت..

لم ترد.. أبعدت وجهها وقالت بصوت تحاول أن تكون طبيعيًا إلى
أقصى حد:

- هو إحنا ممكن نروح؟

لم أعترض.. ورحلنا إلى المنزل لم نتكلم طوال سيرنا في الشارع

كنت أفكر..

“قبل أن أخبرها لم يكن يفرق معي بالفعل رد فعلها..

ولكنه كان فارقًا لأنني لم أفهمه.. كنت أريد أن أفهمه أيًا كان هو..

أريد فهم ما يدور في رأسها وأن أفهم مشاعرها الآن..

الأكيد أنني سعيد أنني تكلمت أخيرًا.. حزين أنها لم تتكلم..”

مع اقترابنا للمنزل ساورني الشعور إياه أنني مراقب.. لم أنظر
حولي فقد كنت متأكدًا.. ودخلنا إلى العمارة..

(21)

منذ عودتنا للمنزل دخلت ندى إلى غرفتها ولم تخرج.. وكنت أقف مع والدتي في المطبخ نتحدث بينما تقوم بإعداد الكيك كانت تضيف بشر قشر البرتقال إلى الخلطة، وهي تحدثني:

- ندى مالها؟ من ساعة ما جيتو وهي قافلة على نفسها.

لا أجيب.. ولكن مع إصرارها وتكرار السؤال أخبرتها أنه ربما الطلاق أثر على نفسيته بالسلب.. فردت وهي تقلب الخليط:

- طب وبعد ما خليت جوزها يطلقها يا ناصح هتعمل إيه؟!

- هعمل إيه في إيه!

- والنبي! أومال خلتها تبوظ بيتها ليه؟

- ماما.. البيت كان بايظ.. ده كان راجل واطي بيضربها وهي كانت عايزة تطلق منه وأنا ساعدتها بس في اللي عايزاه..

ربما والدتي محقة في ملامتها هذه المرة، ولكني لا أعلم ما أفعل وما أقول بعد صمت ندى.. لعنت والدتي حظها الأسود دائماً في الرجال وهو كلام حفظته من تكراره أتركها:

- أنا شايف إن أنا أنزل قبل ما نبدأ حديث الصباح والمساء اللي مبيخلصش ده..

تمسح والدتي العجين الملتصق بيدها في طرف الإناء وتقترب مني بسرعة لتقف أمامي:

- آه ما تقولي بقى والنبي إنت بتروح فين بقالك يومين، وبتبات بره وأنا ساكتة.. يا داهية لتكون بتشرب مخدرات..

لماذا يصير الجميع على أنها المخدرات.. أرد وأنا أتجاوزها:

- والله لازم تبطل فرجة على المسلسلات.. عندي ضغط في الشغل وباخد شيفتات بالليل..

- أمال كنت بتقول ليه إن الأيام الجاية هتشتغل من البيت؟!

هل قلت هذا؟ كيف لازالت تذكر.. أخبرتها أنهم في الشركة تراجعوا عن ذلك بسبب ضغط الشغل وأخذت الحوار في منحى آخر بسرعة، وسألتها عن حال صحتها الآن.. فأعطتني نظرة تعني أنها ستترك موضوع الشغل وما يحدث بمزاجها وترد:

- آه فكرتني.. الدوا الجديد ده مش مريحني خالص.. ابقى هاتلي المسكن القديم وإنت راجع من الشغل عشان الوجع ساعات بيشد عليا ومبكونش قادرة..

وعدها أنني سأحضره ثم رحلت.. كان حديتي مع والدتي يشغلني هل أخطأت في كل ما فعلته مع ندى.. وتركت قدمي تأخذني إلى الزمالك.. سألتني هند وكنت أصطنع أنني مشغول في تفحص أحد المعروضات بالجاليري:

- أخلص.. وبعد ما قابلتها؟

أكملت اصطناعي بالانشغال:

- قتلها بحبك..

- ما تهزرش يا بيضة.. إيه اللي حصل؟

- والله ده اللي حصل قولتها بحبك.. بس هي ماردتش قالت عايزة أروح.. تفتكري ده معناه إيه؟

تمسكني هند من كتفي وهي تقول:

- هو معناه إني هديك بالجزمة.. بقى كل ده بيحصل وإننت مبتحكيليش.. ماشي يا حس الكلب.. كنت بتحكيها هي بقى طبقاً وأنا مليش لازمة خلاص.. والله القطط اللي بتاكل وتنكر دي أجده منك.. تعالي يا لوزة..

تقترب منها تلك القطعة البيضاء ذات الشعر المنتفش.. ترفعها هند وتقبلها:

- شفتي يا لوزة.. في حد أوطى منك أهو..

كنت أعلم أنني لن تنزلني عن المسرح حتى تقل من مقامي إلى الحد الأدنى.. وكان يشغلها سؤال ما الذي فك عقدة لساني.. فأجبتها:

- العالم الافتراضي.. خلاني أشوف إن حياة حد بتحبه ممكن تخلص في لحظة.. ويبقى غباء قوي إنك متروحش تقوله عن مشاعرك حالاً وتضيع وقت كان ممكن تعيشوه سوا..

رغم أنها لم تفهم أي عالم افتراضي فالتكنولوجيا بتفاصيلها خارج دوائر تفكير واستيعاب هند.. هي ابنة الطين والجلد.. والإبداع المصنوع باليد.. لذا أكملت سخريتها والإنقاص من ذاتي حتى رجوتها أن تكف وأن تخبرني هل ما فعلته خطأ أم لا.. لتخبرني رأيها:

- من غير سف خلاص.. أنا شايفة إن الخطوة اللي عملتها كويسة..
الخطوة الثانية مش عندك.. عندها هي.. ممكن متكونش ردت..
عشان متلخبطة.. مش حابة تاخذ قرار دلوقت.. وأيا كان ردها..
خليك فاكر يا حسين إنك إنسان كويس وجميل وألف من تتمناك..
وبجد أنا مبسوفة إنك قدرت تعبر عن مشاعرك للي بتحبه.. دي
خطوة كبيرة مش أي حد يقدر يعملها..

قالت هند هذه الجملة ثم اعتذرت لتدخل إلى الحمام كان واضحًا
عليها مشاعر الحزن.. طالت مدتها في الحمام وعندما اقتربت من
باب الحمام سمعت نحيبها.. أقف الآن وقد أدركت ما لم أدركه
طوال السنوات الماضية.. هند لديها مشاعر ناحيتي.. كانت تنتظر
أن أخبرها بمشاعري، ولكني يوم تكلمت أخبرت غيرها.. أخبرتها من
خارج الحمام أنني سأرحل..

في نفس الوقت - كما عرفت لاحقًا- كانت والدتي تجلس مع ندى
في الصالة يشاهدون فيلمًا عربيًا قديمًا يأكلون الكيك الساخن،
وكانوا يتذكرون أيام زمان.. وكيف أن خالتي رحمها الله كانت تغير
من علاقة ندى بوالدتي.. فندى كانت تحب طعام والدتي أكثر من
والدتها.. وكانت تقضي وقتًا في منزلنا أكثر منهم.. فوالدتي هي من
ربتها.. قالت والدتي لندى:

- إنتي عارفة يا ندى إني بحبك صح؟ وغلاوتك عندي من غلاوة
الواد حسين..

تتعجب ندى من السؤال، وتقول إنها تعرف فتكمل والدتي:

- يبقى إوعي تفهمي كلامي غلط.. أنا عارفة إنك مش فاهمة.. بس

في حاجة لازم تشوف فيها الأول؛ عشان تفهمي كلامي..

تأخذ والدتي ندى ليدخلوا غرفتي وتحذر ها كثيرًا أن تخبرني بأنهم دخلوا إليها وأنا غير موجود.. تفتح أمي دولابي وترفع الملابس الموجودة في هذا الرف.. ثم ورقة الجورنال التي افترشت الرف وتخرج العديد من الصور.. نعم صور ندى التي احتفظت بها على مدار السنين، وتشرح لها:

- الصور دي عرفت إن حسين مخبئها بالصدفة وأنا بنصف بس ما رضتش أكلمه عنها.. واضح إنه بيحبك، وأنا عمري ما كنت هقولك ده إلا لما خفاجة طلقك.. لو يا بنتي عايزة حسين خليكى قريبة منه.. لو مش عايزاه بلاش تلاو عليه الواد ده طيب وغلبان ومش حمل إن قلبه يتكسر..

لم يكن باقيًا يا أمي إلا أن تتسولي بي أمام مسجد الفتح في رمسيس..

كنت وقتها أجلس على كرسي لعبة الـ VR وأمسكت النظارة ووضعتها على عيني.. وكنت أفكر..

“هل ماتت ندى أم لا؟ كان هذا السؤال الذي يؤرقني..

السؤال الذي لا ينافس تلهفي لمعرفة إجابته إلا خوفي منها.”

وقبل أن أضغط زر التشغيل الموجود في النظارة.. كانت طرقات قوية على باب المحل وصوت جبر يأمرني بأن أفتح.. ولذا خلعت النظارة بسرعة وقمت لأفتح له، وما إن فتحت دفعتني بسرعة نحو

الداخل وأنزل البوابة مجددًا وأغلقها بالمفتاح.. سألته عما يجري فرد
وهو لازال مضطرب النفس:

- رجالة القط جايين ورايا.. ولو مسكوني هيحطوني ع الزلافة..

في اللحظة التالية كانت أصوات ضرب قوية على البوابة..
وأصوات تنادي بأن نفتح.. ينظر جبر حوله يبدو عليه القلق يفرك
يديه في بعضهم، ويخبرني أننا يجب أن نهرب من هذا الشباك
بسرعة فرددت:

- اهرب إنت، أنا مش هسيب الجهاز هنا..

- جهاز إيه يا جهاز! بقولك هيقتلوننا..

يقولها جبر وهو يشدني من يدي في نفس الوقت كنا نرى شرًا
يتطاير من البوابة.. فأحد رجال المعلم القط بدأ في قطعها بصاروخ
كهربى.. لم أهتم إلا بأن أحمي الجهاز؛ ولذا شددت هذا الغطاء
البلاستيكي من على أحد أجهزة الفيديو جيم وخبأت به جهاز
الVR.. وعندما رأي جبر متمسكًا بالجهاز ساعدني على حمله لكي
يصبح وسط الأجهزة القديمة لكي لا يروه.. ولم يكن هناك وقت باقي
للهرب يدخل رجال القط ونخر على ركبتنا مستسلمين.. ينظر لي جبر
ويغمز لي بعينه:

- ما تخافش.. عندي خطة نهرب بيها..

يكون أحد رجال المعلم القط يقترب منّا وهو يتوعد جبر بأن أيامه
سوداء.. فيرّث عليه جبر:

- عدم اللامؤاخذه تسمحلي أقولك حاجة يا شوح؟

وقبل أن يأذن له يقوم جبر بنطحه بقوة بين قدميه فيسقطه
أرضًا.. ويلتفت لي جبر:

- يلا يا زمول...

لم يكملها فقد قام باقي الرجال بعمل الواجب ولكموه وركلوه حتى
سقط أرضًا.. لا أعلم كيف لم يفكر في أن هذا سيحدث مع إنه كان
واضحًا أنه لا مجال للهروب.. ولكنني متأكد أن عقل جبر لا يعمل مثل
بقية العقول..

لم ينتهِ الأمر فالحفلة في بدايتها.. ألقونا أمام المحل مقيدي
الأيدي حتى يحضر المعلم القط بذاته..

والذي عندما اقترب شقت له الجموع طريقًا كما انشق البحر
لسيدنا موسى.. ويضع له أحد رجاله كرسيًا ليجلس عليه.. لم يكن
قطًا كان أسدًا يرتدي جلبابًا صعيديًا، ويمسك عصا لها رأس نحاسية
على شكل رأس الأسد وعلى ظهر كف يده وشم لأسد يحمل سيفًا
ووشمًا بجوار عينه لا يتضح بسبب العمامة..

أنهى القط شرب كوب الشاي الثقيل.. ثم ألقى بالتفل في وجه
جبر.. ليرد جبر:

- من يد ما نعدمها يا كبير..

يقول القط بنبرته الهادئة المخيفة:

- هتعدمها يا حبيبي إن شاء الله النهارده.. بقى أنا يله بعد ما
خدتك تحت عبي تقلب بضاعة من عندي.. بتسرق من القط.. يبقى

تتحمل أذاه..

- يا معلم إنت فاهم الموضوع غلط.. أنا مقلبتش البضاعة.. أنا كنت رايح أوصلها فعلاً.. بس هي بقى اتقلبت مني ف....

يقاطعه المعلم القط ويشير لرجاله ليأتو بجبر عند قدمه:

- فأنا بقى يتقال عني إني مشغل رجالة بتتقلب.. مش حلوة في حقي في السوق دي.. لو البضاعة اتقلبت فعلاً فأنا هقتلك.. ولو بتحور فأنا هقتل ابن أختك اللي معاك ده..

قالها المعلم القط وهو يشير برأسه لرجاله ليقربوا مني وهم يحملون العصي والجنازير والسيوف.. صرخت:

- ثواني يا معلم قط.. ثواني.. عايز أقول حاجة معلش.. بس الرجالة تفكني خمس دقائق..

فكر المعلم للحظة ثم أشار للرجال ليفكوني.. وخلال ذلك كنت أفكر فيما سأفعل.. كيف نخرج من هنا أحياء، وأول ما حل وذاقي نظرت لجبر.. وبأقوى ما في يدي لطمته على وجهه.. ليشتعل غضباً فأعطيته لكمة لخدّه الآخر.. وأصبح فيه:

- هو إنت يله كل يوم تعمل مصيبة وألمها وراك.. طب اللي فات عديتها جاي مع المعلم القط اللي محدش يستجرى يبجي عليه..

والتفت للمعلم القط وأقول له:

- اللي حصل ده عندي يا معلم.. قولي تمن بضاعتك كام يا كبير..

- 150 ألف جنيه..

- يبدو أنني تسرعت أكثر من اللازم أخذ نفس لكي أهدأ وأقول له:
- تمام يا كبير.. زي النهارده الأسبوع الجاي.. يكون عندك الفلوس يا البضاعة.. والضمان رقبتي يا كبير..
- يبتسم المعلم القط وتتسع ابتسامته حتى تتحول لضحكة مجلجلة، ويقول لي:
- حلوة.. طب بص يا ابن أخته.. هما 3 أيام 4 ليالي لو ال 200 ألف محضروش إنتوا اللي اتنين مش هتشوفوا ثاني نهار..
- إنت مش لسه قايل 150 يا معلم..
- بالضبط كده.. ال 250 هستلمهم منك إنت.. مجوش الدنيا ضيقة.. اتفقنا؟
- أومئ برأسي بدون كلمة فالحرف سعره غالي جدًا عند المعلم القط..
- بعد انقضاء الحفلة التي كانت على شرفنا في الشارع.. كنت وجبر داخل محل الفيديو جيم وهو يصرخ في:
- بتهيني قدام الناس يله! ده أنا هحطك ع الزلافة..
- مكنش قدامي حل غير كده عشان نخرج من المصيبة اللي حطتنا فيها..
- أشعر بالخذلان وأنا أقول له:
- وأنا اللي كنت فاكرك بلطجي! البضاعة دي فين؟!
- بصراحة؟ شربتها..

- شربت بضاعة بـ150 ألف جنيه!!

- أصل كان معايا قصة حزينة.. ما اللي أنا بشر بها على طول دي منها..

يقولها جبر وهو يلف سيجارة أخرى الآن.. حسنا لا توجد بضاعة ولا توجد نقود ماذا سنفعل.. انتهت حلول الأرض.. وفجأة طرأت في رأسي فكرة:

- ملهاش حل غير إننا نسرقهم.. شوفلنا مكان نسرق منه 300 ألف.. الزيادة دول أنا عايزهم في حاجة..

كنت أريدهم لعملية والدتي، وأكمل:

- يلا قوم عشان هنام.. وابقى شوف حد يصلح البوابة اللي باظت دي.. آه.. و..

- لا لا لا متعرضهاش.. إوعى اللي حصل ده يخليك تنسى نفسك معايا.. ده أنا جبر..

يحاول جبر أن يتمسك بصورته عندي كمجرم عتيد.. فأقول له لكي يمر هذا اليوم:

- بعد إذنك يا أستاذ جبر.. تقوم.. وتشوف البوابة وتبقى تصحيني..

- آه كده اظبط نفسك..

يقولها جبر وهو يضرب جانب كتفي بقوة.. ويتركني ويرحل، أما أنا فقد كنت أريد الرحيل إلى مكان آخر..

1..2..3..

(22)

أفوق من إغماءتي كانت الشمس قد بدأت في العودة.. ونار أمس
قد خمدت.. و...

ندى غارقة في دمائها.. أهز جسدها.. أتوسل لها أن تقوم.. أصرخ
فتطير الطيور عن أشجارها.. لا أجد ما أفعله إلا أن أحملها وأنطلق
بها للمستشفى..

وأمام الغرفة وقفت أنتظر حتى خرجت الممرضة.. لم تقوَ على
قولها ولم أكن لأقوى على سماعها.. تركتها ودخلت للداخل أجلس
بجوارها.. كانت ملاكًا نائمًا رحل إلى مسواه الأخير.. أمسك يدها
كأنني أتمسك بها وأقول معذراً:

- ندى.. كنت عايز أوصلك لبره أرض القدر.. حقك عليا إني منفذتش
وعدي.. حقك عليا..

أقولها وأدفن وجهي في يدها تمنيت لو مِتَّ معها.. فأى حياة تلك
بدون ندى.. ولكن قبل موتي لا بُدَّ أن أرد لها أقل حقوقها..

أتحرك داخلاً إلى القسم أسير في الممر وأنا أناديه بصوت عالٍ:
- يا خفاجة.. خفاجة..

أي فرد من الحرس يحاول إيقافني أوجه له ضربة بدون تفكير
تسقطه أرضاً، وأسحب كرباج الخيل من على الحائط وأفتح باب
غرفته.. يلتفت لي والرعب يملأ عينه:

- إنت إزاي دخلت هنا.. فين الحرس؟

أمسكه وألف الكرباج حول رقبتة لأخنقه وأنا أقول:

- مفيش حد في الدنيا هيمنعني أخذ منك حق ندى اللي قتلتها..

انقلب وجه خفاجة في لحظة وينظر لي غير مصدق:

- إنت بتتكلم على إيه.. ندى مين اللي اتقتلت؟

- ندى اللي خدت رصاصة مسدسك قبل ما تيجي فيا.. وحققها
هاخده منك يا خفاجة..

ردود فعل خفاجة غير المصدقة لما يسمعه أربكّني.. يصل الحرس
فيأمرهم أن يمسكوني، ويلتفت لي:

- إنت مقبوض عليك بتهمة قتل بنت الحاكم..

تم إيداعي في الحجز ولم يكن ليحزني السجن أكثر من حزني
على ندى.. سمعت أصوات أهل البلدة.. ووقفت من غرفة الحجز أطل
من خلف القضبان عليهم.. كانت البلدة بأكملها تسير خلف نعش ندى..
الكل يبكي والكل حزين..

كان يومًا غائمًا وكأن الأرض تعبر عن حزنها هي الأخرى..

في نهاية اليوم طلبني خفاجة للمول للتحقيق أمامه.. كان يسأل
وأحد الحراس يكتب على آلة كاتبة قديمة أسئلته وأجوبتي.. قال
خفاجة وهو يخرج مسدسًا:

- شغل الجنان اللي بتعمله ده مش هيخيل عليا.. السلاح اللي
ضربت بيه ندى لاقيناه في شنطتك..

- السلاح ده مش بتاعي ده سلاحك..

يخرج خفاجة سلاحا آخر:

- ده السلاح اللي بيستخدمه الأمن إنما ده مش سلاحنا خالص..
افهم أنا بحاول أساعدك.. فأنت لازم تساعدني..

- أساعدك في إيه! ده أنا مش هيكفيني إني أقتلك..

- زي ما قتلت ندى وحاولت تقتل مارو..

ماذا يقول؟؟ مارو هو من حاول قتلي؟؟

يأتو بـ (مارو) ذو اليد المصابة ليستكملوا التحقيقات.. يقول مارو
مجيئًا على سؤال خفاجة:

- معرفش هو عمل كده ليه.. بس لاقيته فجأة رافع عليا مسدس
وبيحاول يقتلني؟

- أنا!! إنت اللي حاولت تقتلني..

ينظر مارو لخفاجة وكأن الكلام معي لن يصل لشيء:

- ده مجنون.. حاول يقتلني لولا إن ندى لحقتني.. وساعتها شاف
إنها كده خانتة فقتلها..

ما الذي يحدث بحق الجحيم والنعيم؟؟ لماذا يصرون على دفعي
نحو حافة الجنون.. يكمل مارو:

- أنا شاكك إنه اتجنن.. يمكن مقابلة الغربان أثرت على دماغه.. ده
أكيد أثرت على دماغه زي اللي قبله..

لم ينته خفاجة فقد أتى بطبيب المستشفى ليدلي بدلوه هو الآخر:
- للأسف حالة مخه غريبة جدا.. الغيبوبة اللي بتحصل ملهاش أي
سبب عضوي.. بس وقتها بتكون كل إشارات جسمه كأنه ميت مش
في غيبوبة..

يسأل خفاجة:

- فقدان الذاكرة.. اللي عنده ليه أسباب واضحة؟
- لأ..

- ممكن يكون ادعاء؟

- احتمال.. واحتمال يكون في مرحلة متقدمة من المرض النفسي
واصلة لحد الجنون..

أصرخ كالمجنون:

- أنا مش مجنون..

يقتادني الحرس إلى غرفة الحجز مجددًا.. يتركوني في حالة من
التيه تراودني كل ذكرياتي مع ندى.. لقاؤنا الأول.. عيناها.. سيرنا
معا.. شفتاها.. جلستنا عند البحيرة.. خصلة شعرها.. حضنها.. كنت
أبتسم عندما أتذكرها وأحزن عندما أتذكر.. بينما يتردد في أذني آخر
الحديث الذي كان بين خفاجة والطبيب:

- حالته ممكن تسبب إن يقتل حد بيحبه؟

- ممكن جدًا عقله يصورله ضلالات في علم نفس في نوع من
المرض بيخليك من كتر ما إنت بتحب شخص وبتخاف عليه ممكن

تقتله عشان تحميه.

- يتم إحضار المختص النفسي لإعطاء تقرير نهائي عن حالة المتهم.

في منتصف الليل وصل المختص النفسي.. كانت سيدة تملتك شعرا مجعدا ويذا مخضبة بالحناء.. وعرفت نفسها أنها الطيبة هند العسال.. تجلس أمامي وتقلب في أوراق التحقيقات وهي تقول:

- الأوراق عندي بتقول إنك مش فاكرا اسمك الحقيقي.. لكن اللي تعرفهم بينادوك س.. وقلت إن في حد قالك إن اسمك حسين بس أنت مش فاكرا.. تحب لما أكلمك أقولك إيه؟

- أنا مش حابب أتكلم..

كنت واقفا عند حافة الجنون.. وأخشى أن تدفعني أقل كلمة أو نسمة هواء.. عادت الطيبة هند بظهرها للخلف وهممت مفكرة ثم قالت:

- بداية مش كويسة.. طيب إيه رأيك نلعب لعبة؟ على فكرة أنا ممكن أساعدك.. بس الدنيا مابتساعدش

غير اللي بيساعدو نفسهم.. لازم ترد عليا..

تخرج مجموعة من الكروت ذات الرسومات المختلفة بالأبيض والأسود.. وتسألني:

- الصورة دي بتفكرك بإيه؟

أنظر للصورة فأجد كارت مرسوما فيه عدد من الخطوط الطولية..

فأقول:

- الغابة.. أول مكان شفته لما دخلت هنا..

- كنت فين قبلها؟

- مش فاكرك..

- مش فاكرك أي حاجة من حياتك؟

- لا بس في وشوش شفتها هنا حسيت إني شفتها قبل كده زي ندى.. وفريد..

تكتب ملحوظة في الأوراق التي معها.. ثم تخرج كارت آخر لونه أسود به نقطة بيضاء صغير وتسألني عما تعني.. فابتسمت عندما تذكرتها وحننت عندما تذكرت وأجبت:

- ندى.. كانت نقطة النور وسط كل الضلعة اللي حواليا.. ودلوقتي راحت..

تخرج كارت آخر به دائرة سوداء كبيرة وتسألني فأجيب:

- خفاجة.

- شايقة الشرير بتاع قصتك؟!

- شايقة الشر بتاع الأرض..

- وإنت البطل الطيب؟!

لا أعرف.. لا أجيب فتكمل هي:

- إنت عايز تكون بطل ولا أجبرت تكون بطل؟

- أنا مش عايز حاجة.

- مفيش حد مش عايز حاجة من الدنيا.. اللي مش عايز حاجة
بيخلص نفسه من الدنيا.. متأكد إن كل اللي قولته وشفته حقيقي ولا
ممکن اللي حوليك يكونوا هما الصح؟

هذه اللمسة الأخيرة لأسقط من على الحافة في فوهة التوهان..
وأنا في العمق سمعت صوتها:

- إنت تايه..

أمدّ يدي وأقول:

- ساعديني..

- قولتلك من الأول الحياة ما بتساعدش إلا اللي بيساعدوا أنفسهم..
إنت مش ضحية حد.. لا ظروفك ولا بدايتك ولا كل اللي مريت بيه
يخلوك تبقى ضحية.. مش عايز تبقى ضحية يبقى متلعبش دورها..
فهمت؟

وخطت جملة في ورقها ووقفت راحلة بعد أن أخبرتني أن تقريرها
ستدلي به أمام المحكمة في الغد.. تركت يدي لتسقط وتزامن ذلك
مع سقوط تلك العملة من الطيبة.. تدحرجت العملة حتى وصلت
بالقرب من الزنزانة.. كنت في عالم من التيه فلم ألاحظ وجود تلك
العملة إلا في الصباح..

عندما أمسكت بها أتأملها كان باب غرفة الحجز يفتح وأخذني
الحرس ليقترادوني إلى مصيري..

عند البحيرة أجمع أهل البلدة.. وكان مارو والطبيب والمختصة النفسية يقفون في مكان خاص للشهود.. بينما وقف السيد حازم حاكم البلاد في مقابلي كانت نظرات عينه نحوي أصعب من كل عقاب.. هناك أحد الحرس في جانب يعد دلو الزيت في حماس شديد.. كانت الأمور واضحة..

“هل جنت؟! ”

السؤال الأصعب: هل يعرف المجنون أنه مجنون؟! ”

يقول خفاجة وهو يمسك أوراق الحكم:

- باسم القانون اللي بيحمي أرض القدر.. وجهنا الاتهامات التالية لهذا المتهم.. التعدي على رجل أمن.. وشروع في قتل شخص..

ينظر مارو نحوي بكره شديد.. ويكمل خفاجة:

- واستغلال ابنة الحاكم ندى لمصالح شخصية.. ثم قتلها بدم بارد.. وخيانة أرض القدر.. الشخص اللي حاول يدخل بينا بانه يساعدنا برجوع أطفال أرضنا..

أنظر للأطفال الثلاثة الذين وقفوا مع أهاليهم لا يصدقون ما يحدث، بينما يكمل:

- لكن جواه غراب أسود ميعرفش غير الشر.. وبصفتي حامي أرض القدر قررت إن الشخص ده اللي كان مكانه بره السور.. بحكم عليه النهارده بإن مكانه يكون بره الحياة.. السادة المختصين ليهم رأي

تاني؟

يهز الطبيب ومختصة النفسية رأسهم نفيًا.. فيطلق خفاجة حكمه:

- حكمنا عليك بالموت بأصعب طريقة..

كنت مستسلمًا لقدري لم أرفضه.. يترك الطفل فريد يد أمه ويجري نحوي يحتضني وهو يبكي.. فأقول له بصوت منكسر:

- ماتزعلش يا فريد..

ورغم أنني كنت بدأت أصدق ما يضغط عليّ به خفاجة لأصدقه إلا أن لساني وعقلي لم يكونا راضيين بالموت قبل الحديث.. طلبت الكلمة فرفض.. فأصررت فأنا سأموت خلال لحظات.. الزيت معد والمركب جاهز ورامي أسهم النار لن يذهب في مكان.. وتكلمت رغم رفضه:

- عايز أقول آخر أمنية ليا قبل الموت.. أظن ده حقي.. عايز أكلم أهل الأرض كلمتين.. أنا جيت الأرض دي غريب.. القدر حطها في سِكتي أو حطني في سكتها.. من ساعة ما وصلت هنا بسأل نفسي أنا هنا ليه.. حاولت إني أساعد وإني مكنش مؤذي لأي حد.. خلال يوم كامل خفاجة حاول يقنعني إني قتلت ندى.. وإني مصاب بمرض وتهيؤات.. كل ده ممكن يكون حقيقي.. بس اللي متأكد منه.. إني مقتلتهاش واللي قتلها هو خفاجة اللي كان قاصد يقتلني أنا..

يقاطعني خفاجة:

- كل الكلام ده قولته في التحقيق.. الشهود والدلائل والمختصين قالو إنه كلام فارغ.

- سيبني أكمل كلامي الفارغ للآخر.. كده كده مش هتفرق.. خفاجة
قتل ندى.. وخفاجة اللي ورا الغربان السود اللي في الغابة.. طلبي
الأخير.. بعد ما تعدموني دوروا ورا خفاجة.. وساعتها هتأكدو إنه
ميستاهلش يكون حامي الأرض..

الغل يزداد على وجه خفاجة، ويشير للحارس ليتوجه بالزيت
نحوي.. ولكن يقطع ذلك كلام مارو:

- مساء الخير.. أنا بقى مش مجرم.. ومعايا دليل.. دليل مفيش حد
يتوقعه.

وينظر مارو إلى جانب ليدخل آخر شخص يتوقعه الجميع.. حتى
إنني هززت رأسي لتصدق عيني ما تراه.. كان شخصًا تتعلق به
العيون.. ويزيد الدنيا ضياءً.. ويحمل معنى الحياة..
ندى..

في ذات الوقت في العالم الواقعي ما يحدث كان مهمًا للغاية.. كان
منتصف الليل قد اقترب وقد نامت والدتي ولكن جرس باب منزلي
كان يرن ففتحت ندى.. كان هناك شخص يقف مبتسمًا يخبرها أنه
المستأجر الجديدة للشقة العلوية وأن قطعة من الملابس سقطت في
البلكونة..

دخلت ندى تبحث في البلكونة لم تجد شيئًا، وعندما عادت لتخبره
كان هناك شيء عجيب عند الباب.. دولاب مفتوح!

وفي لحظة كان الجار المزيف استغل دخولها البلكونة وتسلسل للداخل ليصبح خلفها ويدفعها نحو الدولاب.. ثم يتضح أن معه اثنين على الأقل يساعده على حمل هذا الدولاب وينصرفان من هنا دون أن يلاحظ أحد..

نقلوها لمكان آخر، ودخل عليها الشخص الذي وجههم لفعل ذلك ليقول لها:

- أنا آسف جدًا على الطريقة اللي جبنّاكي بيها بس حسين هو السبب..

أظن إنك خمنت من هو هذا الشخص.. نعم هو المهندس مراد..

(23)

كان السيد حازم قد تنازل عن كل هيئته السيادية وتحول لمجرد أب يحتضن ابنته التي يفتقدها.. عينه تدمع، لا يصدق أنها هنا.. لم يكن يفهم ولكنه لم يهتم.. المهم أنها هنا.. وكان هذا شعوري أنا الآخر.. قالت وهي لا زالت في حضنه، ونظرت لي كأنها توجه لي الكلام أيضًا:

- حقك عليًا إني قلقتك.. بس ده كان لازم يحصل عشان تصدق..

لم يفهم ولم أفهم.. فقالت بصوت أعلى توجه كلامها لكل وتنظر لي وسط كلامها:

- عارفة إن عندكم أسئلة كتير.. وأنا عندي إجابات لأسئلتكم.. بس لما أحكيلكوا كل اللي حصل هتلاقوا الإجابة.. أتمنى حضرتك بصفتك الحاكم تديني حق الكلام..

قالت الجملة الأخيرة لوالدها.. الذي أوما برأسه موافقًا.. ولكن خفاجة يقترب منها بسرعة وهو يحاول أن يمسك يدها:

- حمد الله على سلامتك يا ندى.. بس ده مش وقت كلام، إنتي محتاجة ترتاحي الـ...

- ده هو ده بالذات وقت الكلام.. ولا إنت خايف من اللي هقوله؟!

قالتها وهي تدفع يده بعيدًا وتكمل:

- سيبيني أحكي.. إنت نفسك مش فاهم اللي حصل من بعد ما قلت لمارو يقتل س...

- أنا مقولتش..

- خفاجة..

كانت الأخيرة قاطعة حادة من السيد حازم الذي عاد لدور الحاكم.. وأشار برأسه إشارة واضحة أن يترك المجال لندى لتقول كل ما تريده.. وبدأت ندى شرحها:

- كان خفاجة متخيل إن مارو هيقتل صاحبه بكل سهولة.. مارو بعد ما بلغني قررنا نكمل الحكاية قدامه زي ما كان عايز..

شرحت ندى الخطة التي وضعتها مع مارو، والتي ستبدأ بأن يقوم مارو بالتمثيل كأنه سيقتلني كما اتفق مع خفاجة مقابل أنه سيبلغه بمكان أهله، ثم ستدخل ندى في اللحظة الأخيرة كأنها ستنقذني، وعندما يأتي خفاجة ليطمئن أن مارو نفذ المطلوب.. فإذا قرّر قتلي ستقف ندى أمامي مضحية بنفسها.. وذلك بعد أن أعد لها مارو رداء مضافاً للرصاص وأضاف جراحاً يحتوي على دماء الفئران لتظهر كأن ندى قتلت.. تباً لخطتك اللعينة.. الدماء التي أمسكتها وبكيت عليها كانت دماء فئران!!

يبدو أن إغمائي أربك خطتهم قليلاً، ولكن لماذا لم يشركوني في الخطة معهم من البداية هؤلاء الأندال؟؟

توضح ندى:

- إحنا عملنا التمثيلية دي على س نفسه لسبب.. إن مش بس نثبت إن خفاجة قاتل.. لأ ده كمان حاول يثبت التهمة على شخص بريء ويتلاعب بالأدلة والسادة المستشارين عشان يثبت إنه مجنون..

بعد ما س وصل لأدلة بتقول إن خفاجة هو اللي ورا الغربان السود..
السؤال هنا.. هل ده حد يستاهل يكون مسئول عن حماية أمننا؟!

يرتبك خفاجة مع صيحات الاستهجان من أهل البلد.. ينظر خفاجة
لندى ثم للسيد حازم وهو يقول:

- كذب.. كل اللي قولتيه كذب.. ماتصدقهاش هي بتعمل كده
عشانه..

ويلتفت نحو ندى:

- إنتي خطر على الأرض زيه بالظبط..

تبتسم له ندى ابتسامة باردة هادئة تعني بوضوح أن أمرك انتهى..
أما السيد حازم فقد أمر الحرس أن يقبضوا عليه، وهو ما جعل
خفاجة يتذكر أنه وحش شرس ذو شوارب لا يقبل بالقيد والوضع
في قفص.. ولذا رفع سلاحه موجهًا للحراس:

- اللي هيقرب مني هضربه بالنار..

وهو ما جعلني أفكر في القرار في ثواني وأنفذ.. أحاول الوقوف
وقمت بكل قوتي أنطح خفاجة في خصيتيه لأدمر على الأقل واحدة
ويسقط متألمًا لتخطئ رصاصته هدفها.. ويستطيع الحراس إمساكه
وإبعاده عن المكان..

أخبرني السيد حازم أننا يجب أن نجلس ونتكلم.. قبل أن يتركني
ليدخل ندى ومارو ويقوما بفك وثاقي.. ألومهما على اليوم الصعب
الذي عشته بسببهما.. قالت ندى وهي تفك يدي:

- هي أحسن حاجة في اليوم ده إني اتأكدت إنك بتحبني بجد..
أنظر لها بحب شديد وهي كذلك.. يفرقع مارو بشفتيه يسخر من
رومانسية اللحظة ويقول:

- وأنا محدش هيحب فيا شوية..

- ما تسيبنا شوية يا صاحبي..

- أنا بقول كده فعلاً..

يتركنا مارو.. سألتني عما كان يريد والدها مني فأخبرتها أنه يريد
مقابلتي لتحدث، ولكن هذا ليس المهم الآن.. المهم أنك هنا و...

- اتأخرت عليك!! كنت بجيب حد يصلح البوابة..

قالها جبر بعد أن رفع النظارة عن رأسي.. ونظرت للجانب لأجد
عامل حدادة يقوم بلحام البوابة.. أحاول أن أتبين كم الساعة فأسأل
جبر فيرد:

- مش عارف.. بس موبايلك عمال يهز من ساعة ما جيت.

- طب ناولهوني..

يعطيني جبر الموبايل ويبدو عليه الضيق:

- أنا ملاحظ إنك خدت عليا قوي وده مش عاجبني..

- إنت اللي بقيت حساس شوية بس..

أخذت منه الموبايل وأرد ليتضح أنها والدتي تخبرني بأنها

استيقظت لتصلي ركعتين قيام الليل فلم تجد ندى، واتصلت بها
فاكتشفت أن الموبايل في المنزل!

أتحرك من الجراج.. لا أعلم إلى أين أذهب؟ منزل خفاجة؟
المستشفيات؟ الأقسام؟ أين..

ولم أنه خروجي من المنطقة حتى جاءني اتصال من رقم
(UNKNOWN) يخبرني رسالة واضحة "لو أردت أن ترى ابنة
خالتك مرة أخرى.. تفضل بزيارتنا".

واللقاء مكان مألوف بشكل كبير لم أرد يومًا أن أعود له..

شركة سوشيال.. منذ دخولي تم تفتيشي بشكل كامل وأخذ كل
مستلزماتي.. ثم تركي في غرفة وحيدًا لمدة تصل لساعة.. أو تشبه
الساعة.. حتى انفتح الباب وظهر المهندس مراد..

لا زال بنفس أناقته يرتدي البلوفر ذا الرقبة الطويلة و(بليزر) غالي
التمن.. الملابس غالية الثمن لا تخطئها العين.. يلمس نظارته الطبية
في منتصفها وهو يدخل للغرفة ويشير لمن معه ليبقوا في الخارج..
أراقبه بنظراتي ولكنه يعاجلني:

- تعبتني قوي عشان أعرف أجيبك هنا..

- فين ندى؟؟ خليها تروح هي ملهاش دعوة بكل ده..

فيرد مراد وهو يتحرك في الغرفة:

- فكر في طلباتك قبل ما تقولها.. إنت كده مش مقدر تعبنا خالص

يا حسين..

عرفوا مكان شغلي ومنزلي وبالتأكيد اسمي.. يقترب مراد من مجموعة أوراق في مكتبة في الخلف.. يبحث عن ورقة بعينها.. سألته:

- إنت عايز مني إيه؟!

- إنت عارف كويس إنت خدت إيه مش بتاعك..

قالها بابتسامة.. وكنت أعرف وهو يعرف أنني أعرف..

“هذه أول مرة أستوعب شعور الفأر في المصيدة..

في البداية يكون رافضًا لفكرة أنه تم صيده فيقاوم..

بعدها يبدأ في إدراك الوضع وأن فكرة الهروب مستحيلة.. ثم يستسلم..

أنا الفأر في مرحلة الإدراك.”

يصل مراد للورقة التي يبحث عنها ويخطو مقتربًا يضعها أمامي، وهو يوضح:

- دي مخططات للجهاز من أول ما كان فكرة.. احتجت أكثر من 5 سنين تفكير.. ودراسة.. وشغل.. عشان يتحول لحقيقة.. وإنت جيت عايز تاخده كده.. (تراك)

كانت هذه فرقة من إصبعه ولكني أجفلت كأنها رصاصة.. ويلقي مراد جملة الأخيرة:

- وفاكرني هسيبك وهسيب الموضوع يعدي كده!

كنت أود أن أتكلم، ولكنه مال فجأة نحوي وهو يضع جهاز التتبع أمامي:

- إوعى تكذب.. مش ده الجهاز اللي زرعته في أوضة الاجتماعات يوم ما قابلتني ع السلم.. والميدالية دي كانت معاك ساعتها.. كانت في نفس المكان اللي حصلت فيه السرقة..

وألقي ميدالية البومة أمامي.. لقد افتقدتها ابنة الفقيرة.. ويكمل مراد:

- أنا مش جايبك تعترف.. إحنا معديين المرحلة دي.. إنت هنا في أرضي وهتلعب بقوانيني.. وأول قانون فيهم إنك لو قُلت تاني معرفش. مش عارف إنت بتتكلم على إيه.. والكلام ده..

ينظر نحو الزجاج الذي يتضح من خلفه رجلان ضخمان، ويوضح مراد:

- فأنا أعرف بقى ممكن أطلع منك الكلام اللي عايزه إزاي..

كان الشعور الذي يتركه مراد هو الخوف.. الخوف من ذكائه الحاد ومن قوة شخصية ونظرته الثاقبة.. أظنه يليق في شخصية إبليس في فيلم إنجليزي يشاهده شخصان في سينما زاوية..

والحقيقة أنني هنا لا أملك أيّ خيارات.. لا طريقة للخروج إلا أن أحكي له ما حدث ولذا سأحكي..

في نفس الوقت ذهب جبر كما طلبت منه ليطمئن أمي ويخبرها أن ندى نزلت للتسوق وفقدت محافظتها ولا زلنا نبحث عنها.. وأنه لا توجد مشكلة وأن تكمل نومها..

ولكن والدتي بالطبع استغلت الفرصة لإجراء تحقيق مع جبر لمعرفة ما علاقتنا تحديدًا.. هل هو عامل توصيل أم صديقي.. لا تنسى والدتي شيئًا يخصني.. وأوصت جبر ألا يدخلني في أي مشاكل..

أعطيت لمراد ملخصًا للحكاية.. وكان يتخذ دور المحقق هنا..
يسألني:

- يعني إنت عملت كل ده عشان بس عايز تكمل اللعبة؟

- قولتك أنا بحب الجيمينج من وأنا صغير..

فيسألني:

- إنت شايف ده مبرر كفاية.. لدرجة إنك تورط نفسك في كل ده؟!
إيه المميز في اللعبة دي؟!

- إني حسيت لأول مرة من كتير إن في حاجة قادرة تشدني تاني
إني أعيش يوم زيادة.

ثم يسألني:

- وإيه اللي مخليك مكمل فيها لغاية دلوقتي؟! خليك صريح.. إن
اللعبة شداك تعرف نهايتها ولا اللي شداك إنك تعيشها؟

- ممكن السببين..

“ لكن السبب الأساسي..

أني استطعت أن أقوم في اللعبة بأمور لم أستطع أن أفعلها في

العالم الحقيقي

لا زالت أسئلته مستمرة:

- اللعبة أثرت عليك في الواقع.. شخصيتك تصرفاتك؟ احكي لي زي إيه؟!

- مش حابب أوضح ده.

يبتسم مراد ابتسامة لم أفهمها قبل أن يسألني:

- كان ممكن ترد الرد ده على حد قبل ما تجرب اللعبة؟ كنت تقدر توضح إنت حابب إيه.. أو ترفض تجاوب؟

لا أرد فيبتسم أكثر ويقول واثقًا:

- واضح إنها غيرت كثير.. طب قولي يا حسين.. إنت ممكن تعمل إيه عشان تكمل اللعبة؟!

- أنا كده كده هكملها..

يلمس مراد طرف نظراته يعدلها، وعينه خلفها تمقني ويقول:

- عجباني الثقة.. بس أنا قولتلك إنت هنا بتلعب بقوانيني.. ولو ركزت في اللي هقوله.. هتكسب مكاسب مكنتش تتخيلها..

في نفس الوقت كان أحد مساعدي مراد يحقق مع ندى وأرهقوها في أسئلتهم عني وعن لعبة الـ VR إن كانت رأتها أولًا.. ولكن ندى لم ترد رغم كل ضغطهم عليها..

أما مراد فقد قام من أمامي وبدأ يتحرك وهو يعرض عليّ هذا العرض:

- أنا مش بس هسيبك تكمل اللعبة.. أنا هحلك مشاكلك جواها ومشاكلك براها.. ولو محتاج فلوس هديك اللي إنت عايزه..
"لا يوجد في الحياة مكاسب كاملة..

لا بُدَّ أن هناك شيئًا سأخسره"

يكمل مراد:

- لكن ده هيحصل هنا.. تحت ملاحظتي.. وبقواني..

- ولو رفضت؟!

- تبقى غبي.. مكاسبك في الذيل لحد دلوقت أكثر مني.. بس ده مش معناه إن مش هيبقى ليا مكاسب برضو..

يقولها مراد ويبتسم ورأسي يدور داخله السؤال..

"ما هي مكاسبه.. وما الذي يريده مني فعلاً؟"

طلبت منه فترة للتفكير فمنحني 24 ساعة فقط.. وكان واثقاً أنه أحكم الوثاق عليّ.. لا مجال للهروب حتى لو تركني.. وقفت للحظة غير مصدق ولكنه بالفعل تركني أرحل..

(24)

تحركت خارجاً من مكتبه وقابلتني ندى خارجة من مكتب آخر.. لم نتكلم.. توجهنا نحو المصعد وهبطنا للدور الأخير ثم للمنزل..

"شعور أنني داخل فخ لم يفارقني.. أشعر كأنني داخل مصيدة كبيرة لا أعلم

متى ستغلق بابها في وجهي.. أشعر بالخطر من كل خطوة.. ومن كل لحظة..

كأنني فاز في متاهة مصنوعة من المصائد".

كان شعور أنني محاصر لا يفارقني رغم أنني لم أكن أعلم وقتها أن مراد وضع داخل ميدالية البومة جهازاً للتتبع..

عندما عدنا كانت شمس اليوم الجديد قد بدأت.. وكانت والدتي تنتظرنا، حكيماً لها مائة مبرر كاذب عن سبب تأخرنا ولم تصدقنا.. حاولت أن أغير الكلام وأطمئن على صحتها وتعبها.. فردت:

- مش تاعبني غيرك وغير تصرفاتك وحركاتك اللي مش فاهماها..

وتركتني وهي يبدو عليها الضيق الشديد.. فتوجهت ناحية ندى التي تقف في البلكونة.. وقفت جوارها وقلت:

- مالك.. متكلمتيش من ساعة ما كنا هناك..

- إنت فعلاً كنت سارق الجهاز ده؟ على كده بقى كمان قصة الشقة اللي سرقتها وحد رفع عليك مسدس.. مكنتش برضو هزار وكانت بجد.

كانت ندى عصبية فطلبت منها أن تخفض صوتها لكي لا تسمعها والدتي.. تماسكت ما بين عصبيتها وهدوئها وسألتني:

- إيه اللي غيرك كده يا حسين؟؟ كل ده عشان لعبة فعلاً؟ ولا عشان حاجة أكبر؟ قولي الحقيقة دلوقتي؟

أخبرتها أنها اللعبة ولا شيء غيرها.. لم تصدق وأرادت أن تعرف لم اللعبة مهمة لي لهذا الحد.. فأجبتها:

- لأن اللعبة دي بتخلقلك عالم كامل بكل تفاصيله.. كأنك بتقدر تعيش فيه اللي مش قادر تعيشه في الحقيقة.. فاهمة قصدي؟

- وإيه الفرق بقى بينها وبين المخدرات؟!

المخدرات مرة أخرى! سؤالها أثار غيظي فرددت ببعض الضيق:

- فرق كبير يا ندى.. دي لعبة مش إدمان..

- وإنت شايف نفسك كده مش مدمن!! حسين فوق.. إنت بتعرضني وبتعرض مامتك ونفسك للخطر.. عشان لعبة.. آه أنا خفت النهارده على نفسي بس برضو خُفت عليك.. دي ناس معندهاش مشكلة تيجي تخطفني من هنا.. إنت فاهم..

كانت محقة وكنت أنا من أهرب من الحقيقة.. لقد صرت مدمنا للعالم الافتراضي.. حتى إنني عرّضتها للخطر.. وعدتها أن كل الأمور ستحل قريباً..

ارتديت قميصي الأبيض وذهبت للعمل فيكفي الإجازة التي

أخذتها، وإلا سيطردونني شر طردة.. في هذا اليوم عدت (حسين)
القديم الموظف المثالي الذي يساعد العملاء.. ويشكرهم على
اختيارهم لنا..

“لن يستوعب شخص شعور الحياة الذي وجدته في اللعبة..

شعور أنني حي، أنني آدمي لست آلة.. تكرر نفس الكلام”

أساعد العملاء.. وأشكرهم على اختيارهم لنا..

زملاء العمل يقفون ويضحكون.. فائزة المختلة تنظر نحوي بقرف..
الكل يرد على العملاء ويشكرهم على اختيارهم لنا.. الساعة لا
تتوقف.. ورأسي ما زالت تحدثني..

“نفس المزاح.. نفس الحكايات.. كأني كنت أعيش يومًا واحدًا
يتكرر كل يوم.

حتى إنني أوشكت أن أنسى أنني آدمي”

هامستر يجري في دولا ب دوار.. يتساءل متى وقت الوصول..

“أنسى الأشياء التي أحبها.. أعيش فقط داخل الرداء المفروض
علي..

أنسى أحلامي.. وأنسى من أنا..

صعب أن أترك اللعبة الآن.. صعب أن أقبل بأن تتأذى عائلتي”

اقترب مني هادي لكز كتفي وهو يسألني (عايز حاجة؟) فصحت
بصوت عالي أقول ما بداخلي:

- عايز ألاقي حل لكل ده..

اكتشفت فجأة أنني هنا.. وسط طابق الكول سنتر ينظر لي بعضهم بسبب صوتي.. بينما هادي يتفحصني ويسألني:

- حل إيه!! بقولك هنطلب أكل هتعوز حاجة؟

”حتى نفس وقت الأكل كل يوم.. نفس الساندوتشات التي لا غرض

منها إلا أن نكمل يوم العمل.. مثل الوقود للسيارة..”

- مش عايز أكل معاكم..

قلتها بعصبية غير مبذرة لهادي الذي نظر لي متعجبًا:

- ما عنك ما كلت.. إنت الموضوع بيزيد معاك على فكرة.. متسكتش على نفسك.

وهو يشير بيده بجوار رأسه بمعنى (إنت اتجننت).. ولم يمر الكثير من الوقت قبل أن يطلبني الأستاذ حازم لمكتبه.. يلصق نظارته وهو يقول لي:

- باين إنك فعلاً كنت محتاج أجازة.. الشغل اللي عملته النهارده قذ اللي عملته الأسبوع اللي فات كله.. أنا هددتك أكثر من مرة إني همشيك بس ده مكنش حقيقي.. إنتوا هنا كلكوا ولادي وأنا كنت بقولك كده عشان تشد حيلك بس.. كمل الشهر ده بنفس الريت.. وهتتبسط قوي من الأوفر اللي هنزلهولك..

لا زال الهامستر يدور ولا زال الحصان يجري نحو الجزيرة

المربوطة به..

”حتى نفس الأسلوب الخاص بالمكافأة لاستكمال الجري..

والمطلوب مني أن أغمي عيني عن كل شيء وأكمل جريي..

لكن الحقيقة أنني لم أكن أهتم بقرارات السيد حازم في

العالم الحقيقي أكثر من اهتمامي بقراراته في العالم الافتراضي”

ولذا وصلت المخزن ووضعت النظارة.. 3..2..1..

فقت من غيبوبتي في المستشفى.. كانت ندى نصف نائمة..
استيقظت من نومها أول ما تحركت.. اقتربت مني بسرعة متلهفة
تقول:

- الغيبوبة طولت المرة دي.. إنت كل مرة تقلقني عليك أكثر..

لازال الأطباء حائرين في سبب غيبوبتي المتكررة.. أين يذهب
وعيي؟

أخبرتني ندى أن والدها سأل عني أكثر من مرة وأخبرها أنه
سيوصلني بعلاجي عندما أفيق..

ذهبت له في منزله الذي يدير منه البلدة وقدم لي الخدم مشروبًا
عشبيًا محلى بالعسل.. أخذ السيد حازم نفسًا من غليونه المنطفيئ
وهي عادة لم يتوقف عن فعلها بعد أن اقلع عن التدخين.. وقال لي:

- أنا عايزك إنت اللي تحقق في الموضوع من أوله لآخره..

وموضوع الغربان السود وعلاقة خفاجة بيهم؟

- أنا تحت أمرك أكيد.. بس أنا مش حاسس إني أحسن حد ممكن يعمل ده..

كانت المسؤولية مفاجئة، وخارج نطاق قدراتي.. ولكنه أصر:

- أنا إحساسي عكسك.. في أرضنا هنا في عراف بيظهر كل فترة.. ناس بيقولوا عليه مجذوب.. وناس بيقولوا ملبوس.. بس اللي أنا بقى أعرفه مختلف.. العراف ده قابلني وأنا صغير وقال لي إني هكون حاكم الأرض.. ولما بقيت الحاكم جه قالي نبوءة مكنتش فاهمها وقتها.. لحد ما قابلتك..

- نبوءة إيه؟!

- بتقول إن اللي هينقذ الأرض دي حد غريب عنها.. هو اللي هيحميها.. وهيحكمها من بعدي.. وإن ظهوره معناه إن حياتي بدأت أيامها الأخيرة..

كلام يشبه كلام عم نصر.. لكني لم أكن أصدق فكرة العراف لكن الإيمان الشديد الواضح على وجه السيد حازم يجعل الكافر مؤمناً.. وأخبرني أن هذا العراف هو الوحيد الذي يملك علاجاً لحالتي.. ثم أخبرني بقراره:

- ومن النهارده أنا عيَّنتك بدل خفاجة حامي لأرض القدر.. ده قرار الأرض كلها هتعرفه بكرة.. أمن الأرض دي وأهلها بقى في إيدك.. ولم يترك لي فرصة للرفض..

في نفس الوقت في العالم الواقعي كان جبر يتفق على جريمة جديدة ضمن يوم عمله المعتاد.. حين ظهر فجأة مجموعة من رجال المعلم القط.. أمسكوه وجلبوه تجاه سيارة المعلم المتوقفة.. ومن داخل السيارة أخبره المعلم:

- بقولك إيه يله.. كلامك وكلام الواد ابن أختك لما قعدت أqlبه في دماغي مرداش يدوب.. ومعرفتش أبلعه..

- طب ابلعها وعديها عشان خاطري.. ما إحنا اتفقنا على 3 أيام..
فيرد المعلم القط:

- محدش ليه خاطر عند القط.. أنا عايز ضمان لحد ما الفلوس تحضر.. أكيد المخزن اللي كنا عنده ده فيه حاجة تنفع..
ويقوم رجال القط بإلقاء جبر داخل السيارة وينطلقون..

أما في العالم الافتراضي.. فبعد أن أنهيت جلستي مع الحاكم خرجت أسير حتى وصلت عند البحيرة.. كنت أفكر في كل ما قاله.. عن أنني سأكون مدير الأمن.. ومسؤوليتي الآن عن التحقيق في قضية الغربان السود.. والعراف.. وإغماءاتي المتكررة..

حاولت ألا أتوه بين الأسئلة كما قال لي العم نصر.. وأن أتذكر دومًا أن أول سؤال هو أهم سؤال: من أنا؟

وأثناء جلوسي ظهرت فجأة ندى قادمة نحوي تلومني أنني رحلت

دون أخبرها، وأنها تبحث عني منذ فترة.. أخبرتها بكل ما دار مع والدها.. ولكنها وجدتني مرتبكا فأوضحت لها:

- مبرره كان غريب قوي.. حكالي عن عراف في البلد.. وقال لي إنه اللي معاه علاجي.. وإنه هيساعدني.. بس في نفس الوقت قال لي ما أدورش عليه.. فمش فاهم المفروض أعمل إيه؟!

- وانت عايز تقابله؟

نظرت نحو البحيرة.. ولم ألاحظ أن ماء البحيرة توقف عن الحركة.. وكذلك الهواء وأن الصمت قد بدأ يصبح صوت المكان وأنا أقول:

- أكيد.. ممكن يكون عنده إجابات لأسئلتني.. ممكن يكسر الدائرة اللي بدور فيها..

- هو أكيد عنده الإجابات اللي بتدور عليها..

وفجأة أمسكت يدي بقوة.. ارتعبت والتفت بسرعة تجاه ندى فقد كان صوتا ذكوريا وأمام عيني رأيت هذا الرجل الذي يضع عمامة بيضاء على رأسه.. وثيابه كلها بيضاء مكونة من طبقات عدة وأسنانه سوداء..

أشعر أنني رأيت وجهه قبل ذلك.. أريد أن أصرخ رعبا فيتوقف الصوت في حلقي.. ويقول لي هذا الشخص بنبرته الهادئة ونظرته العاقبة:

- لما تروح للعالم الثاني.. سبني أساعدك.. أنا الوحيد اللي أقدر أساعدك هنا وهناك..

واحد من رجال المعلم القط نزع النظارة عن عيني.. التفث لأجد المعلم ورجاله وجبر.. بينما المعلم ينظر بعدم فهم:

- وده إيه بقى إن شاء الله ده الكرسي بتاع المساج؟! حلو حلو هينفع.. ارفعوا الجهاز ده يا رجالة..

أمسكت بالجهاز وطلبت من المعلم أن يترك لنا المهلة المتفق عليها، ولكنه أصر:

- والاتفاق داير.. بس لحد ما يتم الجهاز ده ضمانه معايا.. شكله يعز عليك قوي..

حاولت أن ألحق بالمعلم فرفع أحد الرجال الخرطوش في وجهي لينهي خطواتي.. التفث المعلم القط تجاهنا وقال كلمته الأخيرة:

- على اتفاقنا مش قدامكم إلا بكرة.. ووقتها أنا معنديش مشكلة خالص أفكك الجهاز وأفككوا شخصيًا وأبيعكو شروة واحدة.. الكلام خلصان..

ورحلوا ومعهم جهاز الـVR.. وكنت فوق قمة مراحل الضيق من جبر وغرزت علقًا يعني أنني أول من وصل إلى هذه القمة.. نظرت له وقلت:

- كله بسببك..

- أنا عملت إيه بس يا زمولي؟!

- زمولي إيه بقى يا أخي.. ده أنا مبيجلىش من وراك غير المصايب.. سرقة وخطف وضرب وفي الآخر كمان الجهاز أتأخذ بسببك..

يفرك جبر أنفه وهو ينظر لي دون أن يتكلم ثم يهز رأسه موافقًا وهو يقول:

- صح وأنا كمان السبب إنك مش مبسوط في شغلك.. وتعب أمك وإنك نايم ليل نهار ع الجهاز ده.. أنا السبب في كل حاجة.. إيه يا عم حسين إنت راجل كبير وعاقل.. أنا مضربتكش على إيدك عشان تيجي هنا ولا تشتغل معايا.. إنت اللي عملت كده..

كانت أول مرة يعلو صوتنا على بعض ونتجادل لتلك المرحلة.. ورددت عليه:

- صح أنا اللي عملت كده.. أنا اللي بيربط بيني وبينك دلوقت نرجع الجهاز ونحل موضوع القط.. بعدها أنا من طريق وإننت من طريق.. يضم جبر شفتيه مفكرًا:

- خلصانة.

ويقولها ويرحل، كنت أشعر بالسوء أننا تشاجرنا ولكن موبايلي كان يحمل أخبارًا أسوأ..

لقد اشتدّ التعب فجأة على والدتي وطلبت ندى الطبيب ليأتي للمنزل.. أنهى الطبيب كشفه ثم جلسنا في الصالة سويًا.. قدمت له ندى العصير وجلست معنا.. يأخذ رشفة منه ويخبرنا:

- أنا شايف إنكوا كده بتحكمو عليها بالإعدام وهي عايشة.. مش صح إنكو تخبوا حالتها عنها لغاية دلوقتي..

- يعني هو صح نقولها وإحنا مش قادرين نعمل العملية دلوقتي؟
كنت أريده أن يقول لي نعم.. أن يريح الجزء الذي يؤلم ضميري..
ولكنه أجاب:

- طبعًا.. لما تعرف حالتها هتهتم بالتحذيرات والدوا بتاعها..
ومتستنوش كتير في مستشفيات ممكن تعمل العملية بتمن أقل..
هديكو أساميهها.. الوقت مش في صالحها..

رحل الطبيب ووقفت أنا وندى نتجادل؛ فلازلت مصرًا على عدم إخبارها.. خلعت ندى ذهبها وطلبت مني أن أقوم ببيعه.. ولكني رفضت بشدة وأخبرتها أنني سأصرف قريبًا.. فقالت:

- إنت عمال تقولي كل حاجة هتتحل ومش معرفني إنت بتفكر في إيه.

- عشان مش عارف أفكر..

ولم تترك لي الحياة فرصة طويلة للتفكير فقد جاءني اتصال مجددًا يحمل اسم (UNKOWN).. سألني مراد:

- فكرت؟

- أيوه.. وهعمل كل اللي إنت عايزه..

أخفيت عنه أن الجهاز قد تم سرقة ولكني طلبت منه بعض الوقت لأن والدتي مريضة.. فقد كنت أحتاج فرصة لأفكر فيما سأفعل..

(25)

“بعد أن أغلقت البوابة التي بيني وبين العالم الافتراضي..

أصبح الشعور المسيطر عليّ هو التيه.. ما أذكره أنني قبل كل ذلك

عندما كنت أشعر بالتيه دومًا ما كنت أجد نفسي هنا”

في جاليري العسال.. كانت هند تقوم بإنهاء عملية بيع مع أحد الزبائن قبل أن تعود لتقترب مني، وعندما رأت وجهي العبوس قالت:

- مالك يا حزين؟ ده إنت ولا اللي ميت لك حد..

أخبرتها بمرض والدتي اندهشت أنني لم أحك لها وعرضت مساعدتها، ولكنني أخبرتها أنني أريد أن تساعدني في شيء آخر.. أبدت استماعها فقلت:

- في حاجة ممكن لو عملتها تحل حاجات كتير بس لو عملتها مش عارف هتوصلني إيه.. غير إن مش عارف هوصلها إزاي..

- أنا مش فاهمة إنت بتقول إيه؟؟ ما تخليك واضح واحكي لي كل حاجة.. عشان أعرف أساعدك..

إنت تعرف الفيديوهاات التي يتم وضع لعبة مطاطية أسفل مكبس كهربائي.. يضغطها المكبس تدريجيًا حتى تنفجر.. أشعر كأنني في مكان تلك اللعبة الكلمات تضغطني وتربكني.. أجد نفسي أقف:

- مش هينفع.. أنا متلخبط.. معلىش إني جيت أصلاً..

وأتحرك فتمسكني هند:

- مالك يا ابني! إنت كده بتقلقني عليك..

أفرك بجوار عيني بيدي اليسري وكأنني أحاول أن ألم شتات عقلي وأرد عليها:

- صدقيني أنا عايز أتكلم بس مش عارف.. أنا حاسس إن حياتي كلها مقلوبة.. مفيش حاجة في مكانها..

حاسس إنني تايه..

- ممكن تهذا طيب.. لازم إنت تكون كويس عشان تعرف تخلي الحياة كويسة.. إهدا.. هفكر بكلام قُلتهولك مرة زمان.. إحنا بنتلخبط ونتوه لما مبنكونش متأكدين هي خطوتنا الجاية صح ولا غلط.. وعمرنا ما بنعرف الإجابة إلا بعد وقت.. سواء خُذنا القرار أو لا.. هيعدي وقت عشان يبان هو اللي عملناه صح ولا غلط.. هي الحياة عاملة كده للأسف..

أذكر أنها قالت لي هذا الكلام من قبل، ولكني كنت أحتاج للتذكرة.. وسألتها سؤالاً يبدو طفوليًا، ولكنني لا أعلم:

- هو الواحد ياخذ القرارات إزاي؟

- ياخذها لما يبقى قادر يشيل مسؤوليتها.. ويبقى مؤمن مهما حصل إنه...

تذكرت كلامها القديم فأكملت:

- مش ضحية..

ابتسمت هند وربتت على يدي، وتقول ممازحة:

- ما إنت بتفهم أهو أقال بيقلوا عليك حمار ليه؟!

أنهيت جلستنا وخرجت من الجاليري وأنا أتصل بجبر.. أطلب منه أن يقابلني في محل الفيديو جيم..

"حان الآن موعد اتخاذ القرارات الحاسمة التي أستطيع تحمّل مسؤوليتها..

ومقرًا بأنه مهما حدث لست ضحية لأي شخص أو ظروف"

كنت أكمل سيري وأنا أنهي المكالمة واصطدمت بهذا الشاب.. عندما رأيته ظننت لوهلة أنه مارو ، وعندما دقت فيه اكتشفت أن المشترك فقط هي تصفيفة الشعر والجاكيت اعتذرت له وتوجهت لمقابلة جبر..

جلست مع جبر يطرح لي عدة أماكن ممكن أن نسرق منها المبلغ المطلوب لكي نرجعه للقط، وبعد أن أنهى من كل اقتراحاته قلت:

- سيبك بقى من كل اللي بتقوله إحنا مش هنسرق حاجة من دول.. إحنا هنسرق القط نفسه..

توقف جبر عن لف السيجارة ونظر لي متفاجئًا:

- ياحلولو.. نتقابل في القرافة بقى.. بقولك إيه يا عم حسين والنبى.. سيبني أنا هتصرف في الحوار ده.

رددت بقوة:

- إنت مش سامعني تقريبًا يا جبر.. بقولك أنا اللي هقول هنعمل

إيه.. إحنا هنسرق الجهاز وبعدها هجيب الفلوس..

كانت قوتي لم يخطئها جبر كنت مصممًا على القيادة.. فلم يستطع
الرفض..

نجلس الآن في سيارة النقل المتوقفة بين بنايتين تطلان على وكر
يخص المعلم القط يقف أمامه اثنان رأيتهما قبلًا من رجاله يقومان
بهوايتهما بشرب المخدرات.. ويوضح جبر:

- هو ده المكان يا زمولي اللي القط بيتاوي حاجته فيه ودول
النضورية بتوعه.. أكيد الجهاز بتاعك متشون هنا..

أمسكت المسدس الخاص بجبر وقمت بشد أجزائه ليكون معي..
يتعجب جبر مما أفعله:

- بقينا أشقيا بزيادة..

كان جبر يحاول أن يرجعني عن الخطة ولكن أنا الأمر الناهي الآن..
كانت الخطة بسيطة جدًا.. تبدأ بجبر وهو يحاول جذب انتباههم..
يتوجه لهم بالسيارة ويسألهم عن المعلم القط.. فيرد أحدهم:

- حضّرت الفلوس ولا جاي تحرق في الكلام؟

- جاي أحرق في الكلام..

يقولها جبر بصفاقة كأنه خصية متكلمة.. فيقترب الرجل الآخر
ويبدو أنه يستعد لمشاجرة:

- طب يلا يله من هنا بدل ما أقل منك تاني زي يوم الحارة.

- حقك والله.. حقك.. ما إنت قلّيت مئّي مرة وأنا معملتش حاجة..
عمومًا يا عمهم ملحوقة.. كده واحدة بواحدة..

وفجأة يقوم جبر بضرب الرجل بالقلم.. هذا القلم لم يكن ضمن
الخطة ولكنه مصدر إلهاء قوي لا يُنكر.. وينطلق جبر بالسيارة لينطلق
واحد من الرجال خلف جبر جريًا بينما الآخر يشد الموتوسيكل
الحلاوة وينطلقان خلفه..

أما أنا فتسللت من بين البنايتين وأطلق رصاصة على قفل البوابة
حتى أفتحها.. ودخلت للمخزن أبحث فيه سريعًا حتى وجدت الجهاز
ملقى بعدم أهمية..

يعود جبر لي بعد أن أضاعهم لنقوم بنقل الجهاز بسرعة لحقيبة
السيارة.. وما يقطعنا هو صوت أحد رجال القط:

- يا جمالكم إنتوا الجوز.. ده المعلم هيتبسط بيكوا قوي..

يقول لي جبر بصوت خفيض حتى لا يسمعا:

- اركب العربية وامشي إنت.. اسمع الكلام أنا هتصرف..

يقولها جبر جاذًا، ولم يكن هناك وقت للتفكير يسحب من جانبي
المسدس ويتوجه ناحيتهما وهو يصيح في أن أهرب.. لأنطلق
بالسيارة بمهارتي في القيادة التي أراها ممتازة بالنسبة لشخص تعلم
القيادة من الألعاب.. وفي المرأة رأيته يستطيع ضرب واحد لكن
الآخر يحكم قبضته عليه وينها لان عليه ضربا.. سأعود لإنقاذك يا
(زمولي).. سأعود..

كنت أقف مع المهندس مراد في تلك الغرفة بعد أن أعطيته الجهاز.. هناك أمر صحيح نسيت أن أخبرك إياه عن مراد لكن لا يوجد وقت الآن فكل ما أفكر فيه إنقاذ جبر.. سألني مراد:

- وحشك العالم الافتراضي؟!

- جدًا.

- حابب إيه أكثر؟ تروح هناك.. ولا تسأل الأسئلة اللي جواك؟!

لأول مرة سأختار الواقع عن أرض القدر.. أجبته:

- حابب الأول تديني الفلوس اللي اتفقنا عليها.. في حد لازم الحقه.. وأنا وانت اتفقنا وأنا نفذت نصي من الاتفاق..

كان رجال القط علقوا جبر من قدميه واستخدموه كوسادة تدريب على الملاكمة.. ليملتئ جسده بالكدمات وانسالت بعض الدماء على وجهه.. يقوم الرجال بإخفاض جبر ليصبح وجهه مقلوبًا أمام المعلم القط الذي يدخن شيشته.. وينفخ في وجه جبر ويقول:

- إنت عارف يا تلت إن اللي عملته ده هيدخلك تاريخ الإجرام.. بتعلم على القط مرتين؟! لا برافو وتستاهل صح ونجمة..

يقولها المعلم القط بينما واحد من رجاله يقوم بإحماء سيخ حديدي نهايته على شكل نجمة أصبحت حمراء بفعل الحرارة.. يرى جبر ذلك فيقلق ويقول:

- مش لازم يا معلم صح ونجمة كفاية الكلمة الحلوة..

- وده كلام!! أنا عايزك كل حد يشوفك يعرف إن المعلم القط

ميزك يله.. وإنه قدرك..

يقولها القط وهو يأخذ السيخ من رجله ويشعر جبر بحرارته..
في نفس الوقت كان النضورية يقتادوني للداخل وهم يمسون
بالحقيبة اللي جئت بها:

- الواد اللي كان معاه أهو يا معلم.

أوضحت للقط أن الـ 250 ألف في الحقيبة وعنما فتح رجاله
الحقيبة ووجد النقود موجودة ابتسم لي وأخبرني أنه يقدر من يفى
بوعده.. ولكن قبل أن يفك جبر يقول:

- كده مش ناقص غير العلامة..

ويقوم بختم النجمة الحارقة على جانب جبهة جبر، ويقول لي
وسط صرخات جبر:

- أنا هعتبر الفصل ده من الحدوة خالص.. بس لو رجعتوا نكشتوا
تاني.. القصة هتقفل على رقابيكو وهتنضموا للوحة الشرف.. الكلام
وصلان؟

لا أصدق أن حكايتنا مع القط انتهت..

كنا في سيارة جبر وهو يوصلني إلى قدرتي.. إلى شركة سوشيال..
فتح جبر اللبة الخاصة بصالون السيارة وينظر في المرأة يتأمل
النجمة التي ختمت بها جبهته.. اعتذرت له عن تأخري فقال:

- يا زمولي الحمد لله إني لسه على قيد الحياة.. إنت عملت اللي

عليك وأنا مبسوط هنعوز إيه ثاني من الدنيا..

- مش متضايق من العلامة دي؟!

- أتضايق!! دي هتفشخر بيها في عالم الشقاوة.. ده كده القط
ميزني..

يقولها جبر ويضحك.. أخبرني أنه في ظهري لو أردت أن أقف أمام
الشركة ولكن كان لدي كلام مختلف:

- إحنا كده يا جبر خلصنا اتفاقتنا..

- ماشي يا عم بس اللي بينا مش تفاق بس. إحنا بينا زمالة..

- بس اللي جاي عايز أكون فيه لوحدي.. أشيل مسؤوليته وأعرف
أنا قادر أشيل لحد فين.. أشوفك على خير يا جبر..

كنت من داخلي أشعر أنني أتوجه لتجربة لن أعود منها حيا ولو
عدت لن أعود كما كنت.. ورغم سماكة جلده إلا أن مشاعري وصلت
لجبر فسألني:

- إحنا هنتقابل ثاني؟

- احتمال.. سلام يا زمولي..

كانت هذه جملتي الأخيرة قبل أن تتوقف السيارة أمام شركة
سوشيال فأنزل منها.. مشاعر الحزن تملأ جبر لكنه جبل لا يهتز..
وفجأة لم يتمالك نفسه فنزل من السيارة ليلحقني قبل أن أدخل
ونادى علي:

- طب هات حضن لأخوك طيب.

التفت له وتوجهت لحضنه المفتوح ضمّني.. ولا أعلم لماذا دمعت عيني وهو يقول لي متأثراً:

- هتوحشني يا زمولي..

وبقي واقفاً حتى دخلت للشركة وأغلق الأسانسير المتوجه إلى مصيري..

في تلك الغرفة التي تحتوي على العديد من الشاشات المختلفة كان مراد يجلس أمامي ويشرح لي:

- المرة دي رحلتك جوه العالم الافتراضي ممكن تلاحظ فيها حاجات مختلفة.. أولها فكرة الاستكمال.. اللعبة هتكمل مكان ما وقفت كأنك مخرجتش منها.. ثاني حاجة.. هنخلي العقل يحتفظ بآخر حاجة بتردها قبل ما تدخل.. كأننا فتحنا بوابة بين العالمين.. لكنها بوابة مبتعديش غير معلومة واحدة.. جاهز؟

"لا أستوعب كل ما يقال.. كل ما أستوعبه أن اللحظة التي أنتظرها تقترب.."

وساعة رجوعي لأرض القدر تدق."

كان واحد من مساعدي مراد يقوم بعمل عدد من التوصيلات بجهاز الـ VR ونحن نتحدث.. بينما المهندس مراد يكرر سؤالاً ثانية:

- جاهز يا حسين؟

هناك أمر عن مراد قلت إنني سأخبرك به.. كان العراف الذي قابلته داخل اللعبة هو مراد.. هو من أخبرني أن أتبعه هنا وهناك..

يكرر سؤاله ثالثًا:

- جاهز يا حسين؟

- جاهز

قلتها وأخففت النظارة.. 3..2..1..

فتحت عيني في أرض القدر لم أفق من إغماءة ولكنني شعرت كأن
عقلي فصل لبرهة.. نادتنني ندى:

- س.. إنت سامعني؟

هل آخذ نفسي.. هناك صوت يرن في رأسي قلت لها:

- أنا اسمي حسين..

- إنت قولتلي إنك مش متأكد إن ده اسمك..

- بس في حاجة في دماغي ظهرت فجأة بتقولي كده.. كأنها ذكرى
بفكرها.. أنا اسمي حسين يا ندى أنا متأكد..

يبدو على ندى السعادة فهي ترى أن هذه علامة جيدة وأن ذاكرتي
تعود وسأتذكر كل شيء.. كما أنني غدا سأعين مديرا لأمن الأرض..
وبجوارى مَنْ أحبها.. هل ممكن أن تكون الحياة أفضل.. رغم أنني
أعرف الأعياب الحياة التي تحب المفاجآت غير السعيدة..

أمسكت يد ندى وقلت لها:

- أنا مش ناسي اللي إنت نفسك فيه.. أنا هوصل للإجابات اللي

بدور عليها.. وهآخذك ونبعد عن هنا.. هنروح لأرض ثانية..تشوفي
الدنيا زي ما كنتي بتحلمي..

في اليوم التالي وفي وسط ساحة البلد.. كان واحد من الحرس
لقبه الواشم.. يوشم كتفي الأيمن برمز أمن أرض القدر بينما السيد
حازم يخبر أهل البلدة:

- من النهارده.. هيكون حسين..

ينظر لي وكأنه يتأكد من صحة الاسم الذي أخبرته إياه قبل قليل..
فأومئ له إيجابًا فيكمل:

- هو حامي الأرض وأهلها.. وأي حد عنده مظلمة هيكون هو الحل
ليها..

يصيح أهل البلد مهللين وفرحين وندى ومارو وسطهم ينظرون
نحوي بفخر شديد.. انتهى الواشم من عمله فأخذ خطوة للأمام
وأخاطب أهل البلد:

- لما دخلت أرضكم لأول مرة.. عمري ما تخيلت إني ممكن يكون
ليا فيها المكانة دي.. ولما وصلتها النهارده هعتبرها أمانة هحميها..
وهساعد كل أهلها.. وبابي دايمًا ملوش لازمة غير إنه يكون مفتوح
ليكم.. وأي حد بيعادي البلد هيبقى عدوي لآخر يوم في حياتي..

أدخل إلى القسم وأنا أرتدي قبعة تليق بمدير الأمن وشارة ذهبية
وضعت على صدري.. ومعني مارو الذي لا يفهم لماذ جئت به إلى هنا
فرددت عليه ونحن نكمل سيرنا في ممرات القسم:

- عشان إحنا كنا صحاب ع المرة.. لازم نبقى مع بعض في الحلوة..

يسخر مارو:

- بس أنا حرامي... هلعب في الفريق الثاني! مش راكبة..

- وتضيع فرصة إنك تاخد حقك من خفاجة؟

نبتسم لبعض بخبث.. فالانتقام ليس من شيم الشرفاء.. ولكن مع خفاجة يصبح الانتقام متعة منتظرة.. أخبرت مارو أنني لن أضغط عليه ليبقى معي للأبد إلا لو أراد..

ثم دخلت وحدي للزنزانة التي وضع بها خفاجة، ودخل الحرس الذين كانوا يقتادونني بالأمس ليقتادوه ويضعوه راكعًا مكبلًا أمامي.. وضعت قدمًا على قدم لتصبح في وجهه وقلت له:

- شفت الأيام لفت إزاي والأدوار اتبدلت..

- مبروك..

قالها ساخرًا يحاول أن يكسب بسخريته بعض من القوة.. لكنني رددت:

- مبروك دي هنخليها بعد ما نعرف كل اللي إنت مخبيه..

- بقولك إيه.. نصيحة ليك.. إنت يمكن فرحان باللي وصلتله بس صدقني إنت مش هتعرف تكمل هنا.. في ناس مش عايزينك، وهيلاقو طريقة يخلصوا منك ويريحوك.. وساعتها البلد هترجعلي وأنا اللي هحقق في قضية قتلك..

أمسكه من شعره بقوة وأرد:

- أنا بقى عايز أعرف مين الناس دول وعايز أعرف لما قولتلي إن في حاجات مش لازم أعرفها كان قصدك إيه.. عايز أفهم.. خلاص زهقت من اللف والدوران الكثير..

اصطنع البلاهة على وجهه وأبعده بمعنى أنه لن يتكلم.. فأخرجت زجاجة من دماء الفئران أعطائها لي مارو وسكبتها فوق رأسه حتى انسالت الدماء على شواربه.. يصرخ في:

- امسح القرف ده..

- حاضر.. شوفت بعملك اللي إنت عايزه إزاي..

وأنادي على مارو.. لا يفهم خفاجة ما يحصل حتى يدخل وهو يمسك في يده سلسلة مربوطة برقبة كلب ضخمة.. وأقول لمارو:

- شيله الدم..

ليقترب بالكلب أكثر من وجه خفاجة ويلعق الكلب الدماء بشراهة وكأنه سيأكل وجه خفاجة الذي يموت رعبًا الآن.. يصرخ:

- أبعده عني.. أبعده..

- يبقى تنطق.. الحكاية اللي حكتها لمارو بتاعة أهله دي حقيقة ولا كذب؟؟

ينظر لمارو ثم يعترف:

- كذب.. عشان أخليه يقتلك..

يبدو على مارو الحزن فقد ضاع الأمل الكاذب في أن يجد أهله.. أكمل أسئلتني:

- الغربان السود إيه علاقتك بيهم وإيه قصتهم بالضبط؟
ينوي التهرب من الإجابة.. فيحرك مارو الكلب ناحيته مجددًا ليلعق وجهه.. وأقول:

- اخلص.. عشان الكلب جعان ومش هعرف أمنعه عن الأكل.
فيعترف:

- الحقيقة إن من زمان والغابة فيها حاجة اسمها الغراب الأسود..
أسطورة قديمة وفي ناس شافتها.. كائن كل حد بيوصفه بطريقة
بس مش حاجة شبه البني آدمين كأنه من عالم ثاني.. لكن الغربان
السود اللي ظهوروا من فترة وخطفوا الأطفال.. دول كانوا من
رجالتي.. وأنا اللي كنت ورا الإشاعة بتاعة هدم أطلال الجنود
القدام.. وإن هدم الأطلال خرج الغربان للغابة..

- وليه بقى كل القصة دي؟

سألته ليجيبني أغرب إجابة ممكنة:

- عشانك.. عشان أقتلك.

تبادلت أنا ومارو النظرات.. هناك شيء خاطئ فخطف الأولاد بدأ
قبل ظهوري.. كيف أنني المقصود.. أطلق الكلب مرة أخرى نحوه
فيكمل اعترافه:

- في حد كلمني قبل ظهورك بفترة.. وقال لي إن في حد اسمه حسين
هياظهر في البلد وإني مطلوب مني أقف قصادك وأقتلك أول ما
ألاقي فرصة مناسبة.. وإن اليوم اللي هسلمه جنتك هيديني كل

الفلوس اللي عايزها.. شفت بقى إنت ضيعت عليا كتير قوي إزاي..
فإذا قتلت في الغابة يصبح المتهم الأساسي الغربان السود وينتهي
الأمر.. أمسكه من ياقته ثائرًا.. فالحقيقة لا يبقى عليها إلا خطوات
وأريد الوصول لها والآن:

- مين اللي طلب منك كده؟

يتمنع عن الإجابة فيقوم مارو بشد حزامه ووضعه حول رقبة
خفاجة يخنقه حتى يتكلم بصوت محشرج:

- معرفوش.. مكالمة تليفون وبعثلي عربون.. كل اللي سابه رقمه
اللي هكلمه عليه لما أخلص منك..

تحصلت على الرقم.. وجعلت مارو يحدثه مقلدا خفاجة.. يخبره
أنه قد قتل الهدف ولا بُدَّ أن يتقابلا ليسلمه الجثة ويستلم النقود..

كان اللقاء خارج أرض القدر.. وتحديدًا عند محطة الوقود التي
ظهرت عندها لأول مرة.. كانت الشمس بدأت في المغيب.. ذهبت
وحدي سيرًا توقفت وهناك وجدت هذا الشخص الذي لا يتضح منه
إلا ظله.. قلت له:

- طبقًا مكنتش متخيل إن أنا اللي هجيلك النهارده..

- لا كنت عارف إنك هتكون موجود بس كجثة..

- معلىش بوظت توقعاتك.. أنا عايز أعرف بقى مين اللي عايز
يقتلني من قبل أصلًا ما أوصل لأرض القدر..

أكيد إنت حد من حياتي القديمة اللي مش فاكرها..

- تقريبًا..

أحاول أن أثبتن وجهه لا فائدة.. كل ما يتضح أن يرتدي قميصًا أبيض.. قلت له:

- وأنا هنا أهو.. فهمني عايز تقتلني ليه.. أو تعالى نلعبها زي الرجالة.. ونشوف مين اللي هيخلص ع الثاني.. بس شكك خايف توريني حتى وشك.

- أنا فعلاً خايف.. بس عليك..

يبتسم فتتضح أسنانه ويأخذ خطوة للأمام، وأنا أفكر في كل الاحتمالات الممكنة حول من يكون.. يأخذ خطوة أخرى ليتضح أنه أسوأ احتمال ممكن.. إنه أنا!! ولكنه بملابس غريبة لا تشبه ملابسي ولا ملابس أهل الأرض.. ولكن لحظة هل هذا أنا بالفعل!! يقول لي وهو يقترب أكثر:

- إزيك يا حسين ولا بقيت بتحب س أكثر؟

هل أحتاج أن أقول إنني كنت مرتعبًا، وإن دقائق قلبي تفوق انفجار الأنهار والبراكين..

(26)

لا أصدق ما تراه عيني فقد كان أكبر من استيعابي.. سألته:

- أنت مين؟

- ده سؤال بجد ولا إنت بس مش مصدق الإجابة؟

لم أكن أصدق.. ولو صدقت فلم أفهم.. ولو فهمت لن أستوعب..
يتحرك هذا الشخص الذي بشكل ما يمكن القول إنه أنا.. يتحرك
ويستند إلى صخرة في جانب ويقول:

- طيب هقولها لك زي الفزورة.. أنا إنت بس مش إنت أبقى مين؟؟

- إحنا توأم!!

ضحك وهو يقول:

- ياريت الإجابة بالسهولة دي.. خليني أقربها لك من الحطة اللي
تفهمها.. التوأم بيبقوا روحين في جسمين.. إحنا روح واحدة في
جسمين.. أنا حسين..

- وأنا أبقى مين؟!

- حسين برضو.. إحنا واحد.

حسنًا، يبدو أن أرض القدر مصممة على إصابتي بالخبل.. كنت
مصممًا أنه من المستحيل أن نكون نفس الشخص ونتكلم معًا..
فابتسم صاحب القميص الأبيض وقال:

- ليه هو إنت عمرك ما اتكلمت مع نفسك؟! على فكرة لو مش مقتنع

مش فارقة معايا.. أنا كنت عايزك تبقى فاهم بس مش أكثر..

- طب لو أنا وإنت واحد ليه عايز تقتلني؟

اقتربت منه ووقفت مقابله لأسأله.. فرأيته يخرج شيئًا غريبًا من جيبه يضعه في فمه ثم يضغط عليه ليصل الدواء للمرات الهوائية ويجعله يتنفس بشكل أكبر.. ثم يرد:

- نسيت دي؟ فاكّر ما استخدمتهاش من إمتى؟

وهو يمسك هذه البخاخة التي لم أدرِ كنهها وبدا أنني لا أعرف عما يتكلم.. فيكمل:

- شُفت بقى إنك بدأت تنساني وتخفي وجودي من الحياة حتة حتة وإنت مش حاسس.. يبقى من حقي أقتلك ولا لا؟

كل ما يقوله لا يهمني ولا أستوعبه.. لكن المهم هو ما قلته:

- اللي عارفه ومتأكد منه أيّا كنت إنت مين.. إنك حاولت تقتلني بكل الطرق.. ففي حلين يا إما أضمك للقضية كمحرض.. وأكيد في التحقيق هقدر أعرف الحكاية بتفاصيلها.. والسبب بجد لأنك بتحاول تقتلني.. يا إما أقتلك دلوقتي ونخلص من الحكاية دي..

- حاول..

قالها مبتسمًا.. وفي لحظة كنت أنا وهو نستل مسدسينا كلٌ منا يوجه مسدسه تجاه رأس الآخر.. كأنها مرآة.. انعكاس لا تخطئه العين.. فيقول لي:

- مش قولتلك إحنا واحد.. سرعتنا وطريقتنا تقريبا واحدة..

- خلينا نشوف..

وأقوم بضربه بكعب المسدس على جانب رأسه بسرعة.. وكأنني ضربت نفسي ففي نفس اللحظة كان يفعل المثل.. تراجعنا من ألم الضربة.. نلقي مسدسينا في نفس اللحظة.. وندقات بالأيدي والأرجل.. كل حركة في نفس الوقت.. نسقط أرضاً.. أيادينا على رقبة بعض.. كل منا يخنق الآخر ونحن نتقلب أرضاً مرة تلو أخرى.. الأكسجين يقل.. سيموت.. سأموت.. سنموت.. نتقلب مرة تلو أخرى... تلو أخرى... و...

يخلع مساعدي مراد النظارة عن عيني.. وفريق طبي يحاول إسعافي بسرعة.. أسمع أصواتهم غير واضحة يتخللها صوت جهاز رسم القلب.. يضعون قناع أكسجين على وجهي وحقنة في وريدي.. أعرف الآن أن صاحب القميص الأبيض هو أنا بملابس الكول سنتر.. وكان هذا آخر ما أدركته..

بعدما أفقت وهدأت جلس مراد يتحدث معي يسألني عما حدث داخل اللعبة فأجبته:

- كل حاجة كأنها أول مرة.. أول مرة أشوف نفسي جوه.. أول مرة أبقى متلخبط كده.. أول مرة أحس إنني قريب من الموت للدرجة دي.. أول مرة أحس إنني هموت بجد.. إحنا اتفقنا إنها مختلفة.. بس مش لدرجة الموت..

يدون مراد ملاحظات من كلامي في دفتر ملاحظات معه.. ثم

يقول دون أن ينظر لي:

- وإنت كنت متخيل إن في حاجة ببلاش! وبعدين إنت مموتش..
سخيف في إجاباته هو.. سألته عن تفسيره لما حدث ومقابلتي
لنفسي فردّ:

- معنديش تفسير.. إنت اللي شايف.. كل اللي بتحكهولي مهما كان
رؤيتي ليه مش كاملة.. وبصراحة مش ده اللي أنا مهتم بيه.. أنا اللي
يهمني نقطة ثانية خالص.

- اللي هي إيه؟!

- مش موضوعنا.. هسيبك ترتاح شوية قبل ما ترجع للعبة..
طلبت منه أنني لن أبقى هنا في فترة راحتي سأخرج وسأخذ باقي
النقود المتفق عليها لأجل عملية والدتي والموبايل.. على ألا أتأخر
عن موعد رجوعي لأرض القدر..

خرجت من شركة سوشيال وأقلني هذا الميكروباس إلى عابدين..
حاولت فتح الجوال لكن البطارية نفدت.. أسند رأسي على الزجاج..
"واحد من أهم قوانين الحياة ألا تتوقع.. الحياة لا ترحم
التوقعات..

كنت أتوقع أنني سأبقى سعيدًا بالعالم الافتراضي وأنه سيبقى
ملجأ هروبي من الواقع..

لكن اللعبة أصبحت غريبة وصعبة.. وأشعر أنني أريد الهروب منها
هي الأخرى..

لكن إلى أين؟

وصلت للمنزل، كنت سعيدًا للغاية عندما فتحت ندى رفعت حقيبة النقود أمامها.. وأنا أقول:

- أنا جبت فلوس العملية أخيرًا.. ماما هتخف يا ندى.

ندى لا تعطيني أي رد فعل.. سألتها:

- مالك؟ إنتي مش مبسوفة..

لا ترد.. فقط تسقط دمعة في عيناها.. سقطت تلك الدمعة كأنها سكين في قلبي.. فقد أدركت ما لا أريد أن أصدق.. تبعد عيناها عني فيزيدني التأكد.. أبكي دون أن أتكلم.. دون أن أسأل.. لقد فهمت..

أجري نحو غرفة والدتي.. صوت طنين يعلو داخل أذني لا يجعلني أسمع شيئًا.. الأرض تهتز من تحت قدمي حتى إنني أستند للحائط.. أدخل للغرفة.. أجد هاتين السيدتين من جيراننا كل منهما تمسك مصحفًا تقرأ فيه..

أين والدتي؟ هي على السرير مغطاة بملاءة بيضاء.. لا أصدق.. أصرخ فيهم أسألهم:

- إنتوا بتعملوا إيه هنا؟! ومغطيين ماما ليه؟ مغطيينها ليه؟!

لا أريد أن أسمع إجابتهم أرفع الغطاء عن وجه والدتي.. كان وجهها مسالمًا كأنها نائمة كما تنام.. أقول لها:

- إيه يا حبيبتي هما بيعملوا كده ليه؟ شفتي تعبتي إزاي عشان مخدتيش الدوا؟ خليتهم يفولوا عليكى!!

وأصرخ فيهم ليخرجوا.. أنتني لاكون جوارها وأمسك يدها أقبلها،
وأكمل حديثي معها:

- ميعرفوش إنك مينفعش تمشي دلوقتي.. لا إنتي أصلاً مينفعش
تمشي! أصل إنتي لو مشيتي أنا... أنا هروح فين... هروح فين؟
هعيش إزاي؟! وعشان مين؟ إنتي مش هتمشي يا ماما صح؟

فجأة لا أستطيع كبج كل دموعي وبكائي وأقول لها أترجاها:

- أنا مش حمل الزعل ده كله؟ مش هعرف أستحمل.. والله ما
هعرف.. عشان خاطري.. عشان خاطري يا ماما..

جاءت ندى لتربت عليّ، ولكن لا أريد شيئاً من العالم كله إلا أُمي
الآن.. إلا لحظة واحدة معها..

أعد جبر كل شيء كأنه أخي وأكثر.. هو من طلب الكراسي ونصبة
الشاي التي تصنع القهوة للمعزيين وسماعات القرآن ووقف بجواري
يأخذ واجب العزاء.. جاءت هند وعندما رأته قامت باحتضاني
تعزيني.. لم يكن مهما نظرات أهل المنطقة ولكن المشكلة كانت أن
ندى تنظر تجاهي لتطمئن عليّ فشاهدت ما حصل.. وكان هذا آخر
اهتماماتي في هذه اللحظة..

بعدما انصرف المعزّون وانتهى اليوم.. دخلت غرفة والدتي كنت
أريد أن أشتّم رائحتها.. أمسكت طرحتها ووضعت وجهي عليها..
كنت أكلّمها أخبرها أنني حزين بسببها.. حزين أنها لم تنتظر.. لم
تنتظرني.. لم تنتظر النقود.. لم تنتظر أن أعوضها بيوم حلو فقط

بديلاً عن كل الأيام السيئة السابقة..

أتذكر عندما كنت أقف في هذا الجانب وهي تعدل لي ملابسي وأنا طفل كما كانت تعدلها وأنا ذاهب للعمل.. أشعر بافتقادي للومها.. بكل سؤال لها عن متى سأتزوج وأجعلها تفرح..

لماذا لم تنتظري أن أفرحك؟

هل تعرفي الحقيقة يا أمي لست حزينًا بسببك.. أنا حزين بسببي أنا.. فقد كان ينبغي أن أكون موجودًا أكثر كلما استطعت الوجود..

تطرق ندى باب الغرفة وقد أتت بالطعام لي.. وتصر أن آكل، وضعت الطعام ولكنها قبل أن تنصرف سألتني السؤال الذي يشغل بالها من الصباح ولم يهدأ بالها بسببه:

- هي مين البت اللي جات العزا دي؟

- دي هند.. واحدة صاحبتني.

- آه.. ما شكلها بتعزك قوي.. بس مينفعش صاحبتك تحضنك كده

يعني..

أنظر لها نظرة تسأل هل هذا وقته.. فتجيب:

- عارفة مش وقته الكلام بس إحنا مش أجنب.. وأصل الناس

ممكن تفهم غلط.. ومينفعش طبعا تجيلك هنا الأيام الجاية دي وخصوصا لو أنا مش موجودة..

كانت غيرتها مليئة بالحب.. تركتني ثم عادت:

- حسين.. إنت جيت قولتلي كلام أنا مقدرتش أرد عليه وقتها..

كنت متضايقه منك ومتضايقه من نفسي.. إن إحنا الاتنين رضينا وقبلنا نعيش حياة صعبة عشان مش قادرين نقول كلمة واحدة كان ممكن تغير حياتنا.. كلمة مقدرتش أقولها طول عمري.. عشان مش عارفة إنت مشاعرك ناحيتي إيه..

اعتدلت لها لا أصدق ما أسمع.. وأكملت:

- أنا بحبك يا حسين.. بحبك وهفضل جمبك.. إنت مش لوحذك.. أنا معاك..

هل أنا في العالم الحقيقي أم الافتراضي الآن.. كيف أصبح العالم الحقيقي جميلًا بكلمة رغم كل أمطار الحزن التي تغرقه.. وقفت وأمسكت يدها ونظرت لي بحب وهي تقول:

- خلينا نتسند على بعض الوقت اللي جاي..

طرقات على الباب تفصل تلك اللحظة.. ترفع ندى الطرحة على شعرها.. بينما أتوجه لأفتح الباب الذي يظهر خلفه خفاجة.. لم أفتح الباب كثيرًا أظن أن هذا معنى واضح أنه غير مرحب به.. يقول خفاجة:

- إيه المقابلة دي يا أبو النسب! ده أنا جاي أعزيك..

- شكر الله سعيك.. بس مش قصة أبو النسب دي خلصناها.. أنا أصلًا مش عارف إنت هنا بصفتك إيه؟

- بصفة إن إحنا صحاب.. وصفة الواجب والأصول.

أخبرته أننا لم نكن من قبل أصحاب وأنهيت المقابلة بغلقي للباب،

ولكنه أمسك به قبل أن يقفل وأوضح نيته الحقيقية:

- هي ندى هنا؟

- وإنت مالك..

- مالي إيه!! ندى قانوني لسه مراتي وأنا مش ناوي أطلق..
وبصراحة كده أنا مش فاكر إني طلقت.. ومينفعش مراتي تقعد مع
راجل غريب في شقة لوحدهم كده.. ميصحش..

يبدو أن خفاجة أصبح يعشق تهديدي له ولذا أعطيته الكلمتين
وأغلقت الباب في وجهه.. كانت ندى خائفة فطمئنتها وأخبرتها
أنني سأترك لها الشقة حتى تمر تلك الأيام كما أعطيتها رقم جبر لو
حصلت أي مشكلة أو ظهر خفاجة تتصل به مباشرة.. ولكن هناك
مهمة يجب أن أنهيها.. سألتني:

- اللعبة برضه؟

- الموضوع بقى أكبر من لعبة عايز أكملها.. بقى مفروض عليا
أكملها..

عندما عدت لشركة سوشيال وجدتهم يعرفون كل ماحدث فواضح
أنهم لا يكفون عن مراقبتي.. يسألني مراد وهو ممسك بالنوت بوك
الخاص به يكتب فيها:

- الوجة اللي حاسس بيه كام من 1 ل10؟

الوجة الذي أشعر به لا يُقدَّر بأرقام.. لأول مرة أفهم جملة خلع

قلبي من مكانه كأن موضع صدري الأيسر صار فارغًا يمر من خلاله الهواء.. فكما أن موت الأب يعري الظهر فموت الأم يخلع القلب..

يسألني مراد:

- بس في حاجة تانية حصلت قللت إحساسك ده؟

- حد بحبه اعترفلي إنه بيحبني..

- ندى؟ قريبتك اللي قولتلي إنك بتشوفها في أرض القدر برضه؟

أومئ له نعم.. فيعود ليسألني:

- طب ليه رجعت تكمل اللعبة النهارده رغم كل ده؟ عشان وعدتني؟ ولا لسه بتهرب من الواقع.. ولا عشان عارف إننا كده كده هنعرف نجيبك تاني؟؟

أفكر قبل أن أجيب بصدق:

- ولا أي حاجة من دول.. كل اللي حاسه إنني عايز أخلص بس اللعبة أشوف آخرها ونهايتها.. حتى لو مش مبسوط في مسئولية جوايا إنني أكمل..

لم يعجب مراد بكلامي فقد كان يرى أن اللعبة صارت أسهل بعد أن حل مشكلة الإغماء.. فلم أعد أخرج من العالم الافتراضي كل مرة مغشيًا علي ولست أعود أفيق من إغماءة كل مرة.. بل أصبح خروجي كأن الزمن توقف في اللحظة التي خرجت فيها كأنني سرحت، كما أنه منح عقلي القدرة على أن أحتفظ بآخر معلومة أسمعها في العالم الواقعي.. هذا أدركته من المرة الأخيرة ولكن اللعبة

صارت أصعب بكثير..

يقول مراد ليغريني للعودة لحب اللعبة:

- على فكرة أنا ممكن أخليك تقابل مامتك ثاني جوه العالم الافتراضي.. وأقدر أخليك هناك فاكّر إنت مين.. ومش بس مرة.. زي ما إنت عايز طول حياتك.. المهم إنك تركّز معايا وتسمع كل اللي هطلبه منك

الفترة الجاية.. برة اللعبة وجواها..

كان عرضًا مغريًا بث في كميات من الأمل المفاجئ تجعلني موافقًا على أي شيء.. يبتسم مراد فقد أصاب هدفه ويخبرني وهو يناولني النظارة:

- آخر معلومة هتفضل فاكرها إن في زلزال هيحصل بعد 10 ثواني حاول تستغله..

يكرر عقلي المعلومة.. وأخفض النظارة متوجها للأرض التي أصبحت قدرتي..

..1..2..3

فتحت عيني كأنني أجفّلت للحظة وسط هذا الصراع.. وعندما فتحتها وجدت أنا وتلك النسخة مني نخنق بعضنا ونتدحرج أرضًا نتصارع.. الحياة ترحل عن عيننا ويقول لي صاحب القميص الأبيض بصوت مختنق:

- شكل حياتنا هتفضل مربوطة للآخر.. وهنموت سوا..

لكن هناك صوت في رأسي لا أعلم مصدره يردد:

“ في زلزال هيحصل بعد 10 ثواني حاول تستغله ”

من أين الصوت؟ لا يهم.. لكن يبدو أنه صادق.. وهناك زلزال ويجب أن أستغله.. السؤال هو كيف؟

أبحث بعيني فأجد خشبة ملقاة أرضاً.. كما أبحث عن مكان يصلح للتشبث..

“ في زلزال هيحصل بعد 10 ثواني حاول تستغله.. ”

أعد داخل رأسي التي بدأت في الزوال بسبب نقص الهواء..

“1..2..3..4..5”

هل الصوت حقيقي وصادق كما شعرت؟

فجأة تهتز الأرض بقوة شديدة من أسفلنا ولأنني أدرك ما سيحدث قفزت لأتشبث بهذا العمود الحديدي الذي أستهدفته.. أما صاحب القميص الأبيض فيحاول الوقوف فيسقط.. كان الزلزال قويًا ومددت يدي أمسكت تلك الخشبة القريبة وضربت هذه النسخة مني فوق رأسها.

وبعدما خمد الزلزال دخلت للسوبر ماركت الخاص بالمحطة وأتيت بغطاء قماشي قوي.. أضع صاحب القميص بداخله وأقوم بلفه.. ثم أسحبه بحبل متوجهًا لبوابات أرض القدر التي أصبحت تحت يدي..

عدت إلى القسم وأنا أ جذب هذه اللقافة البشرية فسيكون جزءًا

مهمًا من تحقيقاتي.. وكان مارو ينتظرني فلم يكن يعلم أين ذهبت..
عندما رأيته أقبل عليّ بسرعة ثم بدأ يلاحظ آثار الضرب والدم في
وجهي:

- س.. إنت كنت فين؟ وإيه اللي عمل في وشك كده؟

أشير برأسي نحو الغطاء الملفوف:

- ده اللي بيحاول يقتلني من قبل ما أوصل لأرض القدر.. واللي
سلط خفاجة عليا من الأول..

أجلس لألتقط أنفاسي.. ثم أستطرد:

- وحكاية الغربان السود طلعت مش زي ما إحنا فاهمين.. خفاجة
ورجالته استغلوا الأسطورة القديمة عشان يخلقوا عدو في الغابة
ينفذهم كل اللي عايزينه.. ويقتل أي حد من غير ما حد يدور وراه..

كان مارو منبهزًا وقال:

- إنت كده حليت كل حاجة..

فهزئت رأسي نافيًا وقمت من مكاني متجهًا لفض اللفافة وأقول:

- ناقص حاجة واحدة بس.. إني أعرف هو مين بالضبط؟

لكن عندما فتحت هذا الغطاء.. طبقة خلف طبقة.. لم أجده.. كان
الغطاء فارغًا تمامًا!

(27)

- إوعى تطلع مجنون بجد زي ما كان خفاجة بيقتنعك وبتسوحني..
قالها مارو وكان عقلي لا يزال يحاول أن يستوعب ما حدث وكيف
حدث.. أنا متأكد من أنني قابلت شخص ووضعتة داخل هذا الغطاء..
وجذبتة حتى وصلت لهناء.. أرد على مارو:

- وأنا اللي ضربت نفسي؟

أفكر فيما قاله لساني ولا أجده غريبًا فبشكل ما نعم كنت أضرب
نفسي.. أقلب في تلك اللفافة مجددًا فأنا لا أصدق حتى وجدت ما
جذب انتباهي.. كانت عملة معدنية مجددًا.. أقول لمارو أنها تشبه
العملات التي وجدتتها سابقًا فيسألني:

- وده معناه إيه؟

- معناه إن كل حاجة في الأرض دي بينهم حاجة بتربطهم وأنا لازم
أعرفها..

قابلت بعدها ندى عند البحيرة كنت متشوقًا للقائها.. كيف للحب
صفات سحرية بهذا الشكل؟ كيف أن لقاء شخص تحبه يجعلك
سعيدًا رغم حزنك.. كيف أن تلهفه ليطمئن عليك قادرًا على علاجك..
ولمسة يد منه على جرحك قادرة على أن تشفيه..

أخبرتها عن كل ما حدث وأنتي سأقابل والدها مجددًا لأسأله رغم
أنني أعلم أنه لن يعطيني الإجابات التي أريدها.. وقلت لندی:

- بس في نفس الوقت في حاجة عايزك تعملها ضروري..

استخدمت الهاتف الأسود الموجود في القسم واتصلت بالسيد حازم ليحضر للقسم لأريه اللقافة وأحكي له ما حدث.. حتى عن ذلك الصوت الغريب الذي رن في أذني يخبرني عن الزلزال قبل أن يحدث.. ليرد علي:

- أسئلتك كثير يا حسين.. والإجابات مش هتريحك..

- فعلاً!! أنا عايز أعرف الحقيقة على مسؤوليتي الشخصية ساعدني زي ما إنت عايزني أساعدك في أمن الأرض..

أخذ نفساً من غليونه المطفأ وقال:

- مش وقته.. ده هيشترك..

- أقال إمتى؟

- لما أهل الأرض يرجعوا يحسوا بالأمان.. هقولك كل المعلومات اللي أعرفها..

ثم اعتدل واقفاً وهو يكمل:

- ركز على أهل البلد ومشاكلهم ده المهم دلوقتي.. مفهوم؟

أومأ له فرحلاً.. كانت المقابلة كما توقعت تمامًا لن يخبرني بأي شيء.. ولكن ما أردته حقاً هو أن يكون خارج منزله حتى تقوم ندى بأخذ كل المستندات القديمة الموجودة في مكتبته.. كنت متأكداً أنني سأجد إجاباتي في هذا الورق..

ولذا جلست ليلاً مع ندى ومارو نفرش تلك الأوراق على المنضدة نبحث عن معلومة في كوم من المستندات.. أنهى مارو قراءة

مجموعة كان يطالعها ويضعها جانبًا وهو يقول:

- ده شوية كلام عن تاريخ الأرض كله متكرر ومش مفيد..

وكذلك قالت ندى وهي تبعد الأوراق التي أمامها:

- وفي شوية خرايط برضو..

ينظر مارو في الخريطة ثم يتركها:

- بس قديمة قوي.. الخريطة اللي معايا أحسن..

انتبهت لتلك الخريطة القديمة نظرت فيها.. أمسكها وأتحرك لتلك المنضدة الزجاجية أفردتها فوقها.. وأقول لمارو:

- وريني الخريطة بتاعتك كده.

فأضعها فوقها أيضًا.. وأمسك الكشاف أضيء أسفل المنضدة لتتضح الخريطتين فوق بعض متماثلتين.. لم يكن مارو أو ندى مدركين ما أفعل، ولكن ندى ابتسمت.. فهي تعمق أنني رأيت شيئًا لم يرياه، وثقتها في محلها قلت لهما وأنا أشير على الخريطتين:

- الخريطتين دول زي بعض بالظبط.. كل النقط الأساسية في الأرض موجودة هنا وهنا.. ما عدا المكان ده.. موجود في الخريطة القديمة بس..

0

كان هذا هو الرقم المكتوب عند هذا الموقع في الغابة.. يتعجب مارو:

- أنا أول مرة أشوف المكان ده مع إنني لفيت الغابة دي بطولها وعرضها..

- رقم صفر.. ده معناه إنه أول مكان في الأرض؟

سألت ندى ولم أكن أملك الإجابة فأخبرتهما أنه مع مغيب الشمس سأتحرك نحو المكان.. أصرت ندى أن تأتي معي.. فزفر مارو وقال ممازحًا:

- كده مضطر أتنازل وآجي معاكوا..

قبل رحيلي إلى الغابة ذهبت لعم نصر أحكي له ما أنوي فعله وأخذ منه النصيحة.. بعدما حكيت له عن نيتي للذهاب لهذا المكان واكتشافه.. بينما كان يصب لي مشروبه الذي وصل لدرجات جديدة لم تكتشف بعد في اللون الأسود وأصبح به تكتلات غريبة، جلس بعدها ثم قال لي:

- أيًا كان قرارك خليك مصمم عليه.. وماتقبلش إن حد يشترك.. كمله للآخر وأتحمل مسؤوليته..

هناك شيء في نبرته لم يكن مطمئنًا.. فسألته:

- هو ليه كلامك مخوفني المرة دي؟

- النهاية لما بتقرب كله بيخاف لأنها بتحدد مصير كل واحد..

لم أفهم ولكن هناك شيئًا غير مطمئن يزداد في الأجواء.. فجأة سمعت صوتًا عاليًا لأهل البلدة في الخارج.. وقفت فتحت الباب

وجدت العديد منهم يهرولون جريًا.. فسألت ذلك الطفل عما هناك
فردّ:

- يقولو إن طفل من اللي كانوا تايهين في الغابة اتقتل.. اللي اسمه
فريد..

فريد!! كيف حدث؟ لا بُدّ أن أرحل الآن.. سألني عم نصر:

- رايح فين؟

- إنت مسمعتش! بيقلوا فريد اتقتل..

- أو إنت اللي مسمعتش.. أسأل حد تاني؟

قالها عم نصر بهدوء غريب لا يناسب تمامًا الخبر الحاصل.. ولكني
قررت أن أفعل ما قاله أوقفت هذا الرجل وسألته عما يحصل.. فردّ:

- بيقلوا خفاجة هرب من السجن..

نعم!! ما الذي يحصل.. يتجاوزني نصر ويقول بصوت عالٍ:

- هو إنتوا بتجروا ليه؟

تلتفت لنا تلك السيدة وتقول:

- بيقلوا لقوا جثة واحد شبه المأمور الجديد بالضبط.

ينظر لي - لا أقصد شيئًا- أقصد التفت لي العم نصر وهو مبتسم
بينما أنا لا أفهم أي شيء.. فقلت:

- إزاي كل حد بيقول حاجة مختلفة؟

- عشان ده الوقت اللي بتختار هتمشي فيه ورا الناس ولا ورا

نفسك.. وصلت ولا لسه؟

وصلت الآن المعلومة إلى محطتها.. والقرار اتخذ.. سأعود إلى الغابة استعددت مجددًا للرحيل فنادني العم نصر ألفت له.. فوجدت يدًا قوية تمسك يدي لقد كان نفس العراف ذي العمامة البيضاء والأسنان السوداء يقول لي:

- إوعى تدخل الغابة..

ارتعدت وُعِدْتُ للخلف نظرت أمامي لم يكن هناك أثر للعراف.. ووجدت عم نصر يقول:

- اختار..

العراف يطالبني بعدم دخول الغابة وعقلي يريد اكتشاف المكان والوصول للحقيقة.. وعم نصر قال إنني المسؤول عن الاختيار.. ولذلك سأختار..

تحركنا نحن الثلاثة في الغابة نسترشد بتلك الخريطة التي حصلنا عليها من خزانة الحاكم حتى وصلنا للمكان.. ولكنه كان فارغًا مجرد أشجار لا يوجد أي شيء مميز.. فيقول مارو:

- أنا قولتلكوا المكان ده مفيهوش حاجة أنا ياما لفيت الغابة دي..

ندى التي كانت بعيدًا قليلًا عنَّا كانت ترفع مجموعة من الأغصان وتصيح بنا:

- هنا..

وعلى الأرضية كانت هناك دائرة معدنية كبيرة منقوش عليها الرقم

(0).. كان غطاء استعملنا عدة أغصان لحشرها في جانبه حتى رفعناه.. وأول ما قابلنا هي رائحة الهواء المكتوم منذ سنوات.. وأمام أعيننا كان هناك أنبوب تبرز منه سلالم حديدية داخلية..

كعادته ألقى مارو بنفسه داخلًا ولذلك تبعته وندى لم ترد تركي.. قمنا بحرق فرع ليضيء لنا المكان الذي لا نتبينه، ولكنه غرفة تحت الأرض.. أبحث بيدي عن أي قابس كهربائي رفعتة فأضاء المكان بإضاءة مهتزة..

تحركنا في المكان الذي يبدو كأنه كان غرفة لجمع معلومات في الحرب أوراق وأرفف كثيرة، وفجأة صاح مارو:

- س.. في حاجة لازم تشوفها..

توجهت له ولحقت بي ندى وفُتحت أفواهنا لا نصدق.. لقد كان أمامنا العديد من الصور لي وهناك الكثير من الأجهزة الغريبة التي تعرض صوراً متحركة لي.. لكن ليس هنا كانت في مكان لا أعرفه..

كانت الشاشات تعرض حياة شخص يشبهني تمامًا.. إنه هو صاحب القميص الأبيض.. كانت ندى تتأمل الشاشات وتقول:

- هو شبهك فعلاً.. بس لبسه غريب.. كأنه في حاجة مختلفة عنك

و...

تصمت ندى فجأة وهي تتكلم فلتفت لها ونقترب منها لنشاهد ما جعلها تصدم بهذا الشكل.. وكانت المفاجأة أن الشاشة تعرض فتاة تشبه ندى بالضبط في منزل آخر.. وتضع غطاء على شعرها قبل أن

تخرج من باب هذا المنزل.. قلت وأنا أنظر لها:

- دي شبهك برضو..

صاح مارو وهو يشير لشاشة أخرى:

- وده شبه خفاجة.. وده شبه باباكي..

يفرقع بإصبعه لي لأنتبه:

- ودي شبه الدكتوراة المجنونة بتاعة النفسية.. إسمعني أنا مفيش

حد شبهني؟!

كان مارو يمزح بينما كنت أفكر.. فانتبه واقترب يسألني عما في

رأسي فأجبتة:

- الشخص ده هو اللي كان محرض خفاجة إنه يقتلني.. ولما

مسكته ووصلت للقسم ملقتهوش.. ده دليل إنه موجود فعلاً وإني

مش مختل..

نظرت لمارو لأرد على اتهامه السابق.. ثم أكمل:

- واللي واضح إنه عايش في عالم شبهنا وناس زينا.. فلو واحد

فيهم حاول يقضي على اللي شبهه هنا..

أنظر لندي لأرى هل وصلت لما وصلت له.. فتكمل هي:

- يبقى وارد جدًا إن كل اللي في العالم ده يكونوا عايزين يقضوا

على اللي شبههم.. ممكن يكون العالم ده بيحاول ياخد مكاناً..

يبدو على مارو الغباء الشديد ويسأل:

- ثواني هو إيه العالم ده.. وإيه اللي بيربطنا أصلاً بيه.. إنت الرابط يعني ولا كلنا ولا إيه؟!

لماذا شعرت كأنه اتهام جديد ويجب أن أدافع عن نفسي ولكن فجأة انطفأت الإضاءة في المكان.. التفث حولي:
- ندى.. مارو..

أين ذهب! المكان مظلم وهناك صوت أزيز مزعج.. وأمام عيني يتضح كنه شخص أصبح فيه فلا يرد.. يقترب بخطوات ومع كل خطوة تضيء الشاشات التي يسير بجوارها حتى اتضحت هيئته.. إنه العراف ذو العباءة البيضاء.. كان شكله أكثر رعبًا مع الإضاءة الخافتة..

- برضو دخلت الغابة مع إني قولتلك لأ..

- إنت بتبعدني عن الإجابة ليه؟!

- عشان مينفعش تعرفها دلوقتي.. كل تصرفاتك بتقول إنك مش مستعد للإجابة.. مش مستعد تعرف إن كل الحكاية اللي حوليك دي معمولة عشانك..

يقولها العراف ويفرقع بيده ليضيء مصدر الإضاءة العلوي بإضاءة خافتة مهتزة.. فأجد ندى ومارو وقد تحولا إلى صنمين ثابتين لا يتحركان! أصبح فيه:

- إنت عملت فيهم إيه؟

لا يهتم بسؤالي كأنني لم أقله وينظر لي للحظة كأنه يتأكد من

شيء ثم يقول:

- أنت فعلاً مش مستعد للإجابة.. متدخلش الغابة ثاني يا حسين..
وإلا المرة الجاية هيكون عقابي صعب.. ممكن أخفي صاحبك..

يفرقع بإصبعه فيختفي مارو.. ويكمل:

- وممكن أخفي حبيبتك..

يفرقع بأصبعه فتختفي ندى.. أخرج سلاحه وأوجهه ناحيته
وأقول مهددا:

- هما راحوا فين؟ رجعهم ثاني..

لم يرد ولكنه رفع يده ووضعها على رأسي وفجأة وجدت جسدي
كأنه يشد بقوة خفية وبسرعة شديدة نحو الحائط خلفي..

(28)

لا زلت أشعر باندفاعة جسدي للخلف بقوة.. ولكنني هنا في العالم الحقيقي في غرفة الشاشات ومراد قد نزع النظارة عن عيني.. أقف بسرعة وأمسكه من ياقته:

- ليه بتطلّعي من اللعبة ؟

يقترّب واحد من مساعدي مراد لكي يفض بيننا، ولكن مراد يشير له لكيلا يتدخل.. ثم يوجّه كلامه لي بقوة:

- عشان إنت بتلعب بشروطي.. والواضح من إشارات اللعبة إنك خرجت بره الحدود المرسومة ليك..

بعصبية أرد:

- وإيه الحدود المرسومة ليّ؟

- إنت اللي تقولي.. أنا معرفش اللي بيدور جوه بالظبط كل اللي بيوصلني مجموعة إشارات..

أهدأ وأخذ نفسي.. وأقول:

- في حد قابلته جوه اللعبة.. شبهك بالظبط وقال لي بلاش أدخل الغابة..

- وإنت مسمعتش الكلام؟

أومئ برأسي بمعنى نعم.. فيقول:

- يبقى لازم تسمع الكلام يا حسين.. وإلا كل اللي اتفقنا عليه

هعتبره ملغي..

- طيب أنا مش قادر أكمل دلوقتي.. محتاج أخرج من هنا شوية..
- وإنت مش هنا غصب عنك.. بس برضو لازم تكون فاهم.. إحنا
مش في لعبة هنا.. ولو إنت مش هتنفذ اللي بطلبه.. أنا هحرمك من
اللعبة.. ومش هخليك تقابل مامتك.. الفلوس اللي خدتها هترجعها،
وهشوف حد غيرك.. أظن متفقين؟
أزفر بعصبية من طريقته.. سأعود ولكني بالفعل يجب أن أخرج
من هنا الآن..

مع خروجي من شركة سوشيال كان موبايلي قد بدأ يلتقط أنفاسه
بعد أن فتحته.. وجدت رسائل كثيرة ومحاولات اتصال من ندى..
سألتها عما هناك وأخذت أول ميكروباص..
في محل الفيديو جيم كان يقف جبر ومعه ندى وعلى الأرض
خفاجة المربوط من يديه.. كانت ندى تكمل لي ما حصل:
- وأول ما لاقيته مصمم يدخل الشقة.. كلمت صاحبك زي ما إنت
قولتلي..

يكمل جبر الحكاية:

- جيبته من جوه الشقة لقيته عمال يكسر فيها زي التور الهايج..
ولقيت معاه ده..

ويخرج مسدس خفاجة.. ثم يستطرد جبر:

- فقلت ألقه لفة هدايا وأجيبه على هنا.. لحد ما تشوف هنعمل معاه إيه.. عدائي العيب يا زمولي؟

- عداك العيب يا صاحبي..

يربت جبر على كتفي فأرّبت على يده الزيتية.. فقد توخّشني كما توخّشته.. أطلب منهم أن يتركوني معه فقط.. وأجذب هذا الكرسي لأجلس أمام خفاجة.

"نفس المشهد.. نفس الأشخاص.. كل شيء يتكرر بين العالمين..

لدرجة تجعلني لا أستطيع أن أحّد أيّ عالم هو الحقيقة.."

أمسك المسدس وألوح به وأقول لخفاجة:

- وبعدين يا خفاجة.. هنفضل في الدائرة دي.. مزهقتش؟!

يرد بتعب من ضرب جبر:

- نفس السؤال عايز أسألهولك.. إنت اللي خلقت الدائرة دي.. سيب ندى في حالها.. وخلي كل حاجة ترجع زي ما كانت..

- حتى الكلام ده قولناه قبل كده يا خفاجة.. فوق مفيش حاجة بترجع لورا..

يرفع خفاجة رأسه نحوي.. ولكنه خفاجة أرض القدر بملابس الأمن بقوته يقول لي:

- بس إنت لازم ترجع لورا.. إوعى تقرب ثاني من الغابة..

أرجع للخلف بسرعة أرفع سلاحني نحوه.. أجده وقد عاد خفاجة

من أرض الواقع.. أسأله:

- أنت قلت إيه دلوقت؟؟!

لا يتكلم.. يرفع رأسه نحوي لأجده عاد خفاجة من العالم الافتراضي مجددًا! ويقول لي:

- قولتك متدخلش الغابة.. المرة الجاية فيها موتك.

- إنت إزاي هنا؟!

- الحقيقة رغم إنها واضحة إلا إنك مش قادر تشوفها.. لأنك صعب تصدقها..

أمسكه من شعره وأهزه:

- اللي هي إيه.. انطق..

وهو بين ידי أجده قد عاد مرة أخرى لخفاجة من العالم الواقعي.. ويقول لي:

- إنت بقيت مجنون رسمي خلاص.. وأنا مش هسيبك يا حسين ورحمة أمي.. ورحمة أمي ما هسيبك..

تركته وهو لا زال يهددني وخرجت للخارج.. كانت ندى تجلس في الخارج على مصطبة من الحجارة فجلست بجوارها نشتم رائحة المجارير.. أخبرتني أن جبر ذهب ليأتي بطعام، ثم سألتني عما بي فأجبته:

- مش عارف يا ندى.. حاسس إنني مش مضبوط.. كل حاجة بتدخل في بعض وبتلخبط جوه دماغي..

تفكر وتسألني:

- اللعبة.. الـ VR دي السبب؟

رفعت كتفي بمعنى (ربما) فتقول:

- يبقى لازم تبطل تلعبها.. ولو حاسس إنك مش مضبوط يبقى لازم نروح لدكتور..

كنت أعلم أنها قلقة علي.. وكنت أعلم أنه لم يحدث جديد في حياتي إلا العالم الافتراضي وبالتأكيد هو السبب.. عاد جبر ومعه كيس ساندوتشات:

- أنا لقيت شكلك هفتان يا زمولي.. فقلت أجيلنا سندوتشين هو هو ناكل سوا..

- مش هقدر. أنا عايزك في حاجة تانية يا جبر..

وأخذه وابتعدت عن ندى فهناك ما يجب أن أكلمه فيه.. رغم نظرات ندى طوال كلامنا تريد أن تعرف ما يدور.. أنهيت كلامي معه وعدت أخبر ندى:

- أنا همشي.. في حد هروح أتكلم معاه ممكن يساعدي..

- طب والتهمة اللي جوه دي هعمل معاها إيه؟!

قالها جبر ويقصد بالتهمة خفاجة.. قلت:

- مش عارف.. وخايف نسيبه يجيلنا مشكلة أكبر..

- ووجوده هنا برضو مشكلة.. ممكن حد يشمه يبلغ الحكومة،

وإحنا مش ناقصين مشاكل كفاية علينا القط.. أنا هخليه هنا يومين
بالكثير.. ومش عارف بقى هسربه ولا أقتله..

أنظر لجبر لكي يصمت لكيلا تقلق ندى.. وأقول له:

- اليومين يعدوا بس ونشوف هنعمل إيه..

ثم تحركت ندى معي كنت أريد إيصالها للمنزل ولكنها أصرت أن
تأتي معي أينما ذهبت.. ولم نكن نعلم وقتها أن خفاجة تحرك من
مكانه وكان يضعه أذنه على الباب وسمع كلام جبر الأخير.. أما وقتها
فكنت أفكر فيما قالته ندى..

“لا شك أنني أصبحت مريضًا نفسيًا وأحتاج إلى طبيب كما تقول
ندى..

والواقع أنه لم يكن يستطيع أن يفهم ما يدور في رأسي إلا شخص
واحد فقط..”

لذا كنت مع ندى في جاليري العسال.. وسط القطط وأمام هند..
حكيت وسألتها عن رأيها فيما قلت فردت:

- اللي بتحكيه ده كله مفيهوش رأي يا حسين.. هو إنت عايز تفهم..
وده محتاج معلومات مش معاك وأكد مش معايا..

تنظر ندى لي ثم تتكلم:

- بس هو حسين فعلاً أتغير من ساعة ما اللعبة دي ظهرت في
حياته.. أنا آسفة يا حسين إني بتكلم.. بس تصرفاته بقت أغرب
وبقى بيقتد لوحده فترات طويلة..

- ما هي لو دي حاجة بتؤذيك فتختارها وترجع تؤذيك فتختارها
يبقى إنت كده عيان..

قالتها هند وكانت تلمح لكلام قديم بيننا عن العلاقات (التوكسيك)
واختيارك بإبقاء شخص مؤذي رغم إيذائه المتكرر بأن هذا مرض..
لكن الأمر مختلف فأوضحت:

- ما أقدرش أنكر إنها ساعدتني أعيش حاجات عمري ما عيشتها
قبل كده.. لكن في نفس الوقت حرمتني إني أعيش الحياة نفسها..
أثرت على شغلي.. أثرت على رغبة وجودي في الحقيقة.. مكنتش
موجود ساعة ما ماما..

تبًا كانت اللعبة تحمل جانبين مختلفين بين الراحة والأذى.. ربت
ندى على يدي لكي تهدئي بعدما ذكرت موضوع والدتي بينما عين
هند كانت ستحترق يد ندى التي تقول:

- ربنا يرحمها.. عشان كده أنا شايفة إن اللعبة دي مينفعش تكملها.
ونظرت لهند كأنها تطلب منها أن تدعم قرارها.. لكن هند لا تفتقد
أبدًا لموضوعيتها:

- أنا قلت رأيي.. حسين هو اللي لازم يقرر..
وقفت وابتعدت عنهم، كنت محتاج أن أفكر وأن أرتب الأولويات..
ثم قلت:

- وعدني لو كملت اللعبة إنه هيخليني أقابل ماما ثاني..
فردت ندى:

- بس ده مجرد حاجة شبه الحلم يا حسين.. خالتو كده كده في دماغك مش في اللعبة..

- إنتي بتقولي كده عشان مجربتيش.. الواقع الافتراضي ده في لحظة بيبقى شبه الحقيقة.. مبتعرفش إلك جواه إلا لما تخرج منه..
فترد ندى:

- وإنت عايز تفضل عايش في الوهم؟
- ممكن..

نعم ربما أنني أريد أن أبقى في وهم لا أفيق منه، وأن أهرب من حياتي إلى الأبد.. ولكن أردفت هند:

- غريب البني آدم ده اللي بيوافق على حاجة من غير ما يفهمها.. طب افهم الوهم اللي موافق تعيش فيه.. قبل ما توافق.. اعرف إنت بتوافق على ايه.. وساعتها ابقى قرر.

عدت مع ندى للمنزل، وكلام هند جعلني أفكر أنني فعلاً أحتاج للفهم قبل اتخاذ أي قرار..

“السبب الأساسي الذي جعلني أعود مع ندى كان لكي أوصلها..
ولكن عندما عدت أنارت في رأسي ذكرى عن شخصية شاهدتها
في العالم الافتراضي، ولكنها لا توجد في العالم الحقيقي”

أنعني أسفل السرير لآتي بوحدة من الصناديق الورقية التي تحتوي على الكثير من الأشياء التي شكلت طفولتي مجلات ميكى، علاء الدين.. وكتيبات ملف المستقبل وما وراء الطبيعة.. و...

مجلة سوق العصر.. تلك المجلة التي كانت تحتوي دومًا على الجديد في عالم التقنية بالإضافة لأسطوانة مجانية بها عدد من الألعاب.. أقلب في أعداد المجلة كثيرًا كثيرًا حتى وجدته.. إنه مارو..

مارو كان أكثر لعبة أحببتها وأنا طفل.. كان صديق طفولتي، الذي أنسني في كثير من أيام وحدتي.. لكن ليس هذا الشيء الغريب الوحيد الذي وجدته، لقد وجدت عملة أيضًا..

“نفس العملة التي وجدتها في أرض القدر، والتي أصبحت واثقًا أنها

حلم طويل كل تفاصيله مربوطة بي وبذكرياتي”

أمّدت جسدي على السرير وأقلب العملة أمام وجهي.. حتى تذكرت من أين جاءت لقد كانت هذه العملة التي توضع في أجهزة الفيديو جيم القديمة لكي تعمل..

تذكّري لطفولتي أدخلني في حالة مريحة.. انحنيت على نفسي كأنني أنكمش كأنني أصغر.. كأنني أعود جنيًا.. حتى نمت..

في الصباح أنهيت غسل وجهي بينما ندى كانت تضع الفطور.. جففت وجهي بالفوطة وأنا أتحرك عندما رأيته قلت:

- معلش يا ندى.. بس مش عارف أنا نمت إزاي..

- ده بيتك.. أنا اللي المفروض أقوك معلش..

أصنع ساندوتش قبل أن أنزل، ولكنها تطلب مئتي أن أكلهم في العمل وأعتذر عن غيابي بدون إجازة، وبالفعل خرجت للبلكوثة لأتصل بوالدها في العالم الافتراضي ومديري في العالم الحقيقي مستر حازم.. سألني:

- طمني عليك دلوقتي.. إنت أحسن؟

- الحمد لله.. أنا بس بكلم حضرتك عشان أعتذرلك عن كل اللخبطة في الفترة الأخيرة..

يقول السيد حازم بحنان أبوي:

- أنا مقدر.. ما تشغلش بالك بالشغل خالص.. أنا مقدر الظرف.. مكانك في المكتب موجود أول ما تحس إنك قادر ترجع.. ومفيش أي خصم هينزل عليك الشهر ده.. ولو حسيت إنك مش عايز ترجع مترجعش..

- مش عارف أشكرك إزاي.. حضرتك عملت معايا اللي مابيعملوش أي مدير..

أبتسم ابتسامة مكسورة عندما أتذكر وأكمل:

- اللي معمولوش أبويا ذات نفسه..

- أنا مؤمن بالقدر يا حسين.. وقدري إن أقابلك وأساعدك إنك كمان توصل لقدرك..

يصمت السيد حازم لحظة ثم يكمل:

- الإنسان ساعات بيغلط عشان خايف يخسر حاجات.. وأنا مش

عايزك تخاف وإنت بتختار.. أيا كان اختيارك..

كانت مكالمة ملغزة قليلاً في ظاهرها.. أكثر ما تكون وضوحاً في باطنها..

لقد كان القدر وكل شيء يدفعوني دفعاً لأن أختار.. ولذا وجب عليا اتخاذ قرار..

أوصلني جبر بالسيارة الـ 127 لونها نحاسي (ميتاليك).. وكان معي حقيبة ملابس كما طلب مراد لأنني قد أبقى لعدة أيام قبل أن أخرج مجدداً.. قال جبر وهو يودعني:

- زي ما اتفقنا.. أنا مجهز كل حاجة ومستني رسالتك..

كان جبر يحدثني عن إتفاقنا.. ثم قام بفرك غياره السفلي وانطلق بينما أخطو نحو مدخل شركة سوشيال..

عندما رأي المهندس مراد ارتفع أحد حاجبيه.. فسأله:

- شكلك مكنتش متوقع إنني هرجع..

- بالعكس.. إنت خد وقت أكثر من اللي كنت متوقعه..

- كنت محتاج أفكر في كل حاجة أكثر.. واكتشفت إنني محتاج أفهم حاجات كتير.. إزاي بشوف الحقيقة جوه الخيال.. وبشوف الخيال في الحقيقة؟

أضع أمامه مجلة سوق العصر التي بها صورة مارو والعملة.. وطلبت منه تفسير.. يترك مراد كرسيه ويتحرك ليجلس على الكرسي

القريب مني ويقول:

- أنا فهمتك قبل كده بس شكلك نسيت.. أنا مانسيتش أول مرة قابلتني فيها هنا في الشركة.. لما كنت بتخطط تسرق الجهاز.. وسألتني ساعتها عن اللعبة.. هو نفس الكلام اللي هقولهولك دلوقتي بس هو ضحه أكثر..

لم أكن أظن أنني بقيت في ذاكرته يومها.. أتى مراد بورقة وبدأ يرسم عليها وهو يشرح لي:

- الواقع والحلم.. يبانوا إنهم مختلفين جدًا.. بس هما مجرد انعكاس لبعض.. كل اللي بنشوفه في الحلم شوفناه في الحقيقة قبل كده.. في العادي لما بنكون في حلم بننسى الواقع كل اللي بتعمله اللعبة إنها بتحول الحلم ده لأرض تخص صاحبها حكايتها مستمرة.. طلبت منه المزيد من الإيضاح فأكمل:

- يعني الأرض دي تخص اللي بيلعب اللعبة.. شكلها وحكايتها اتبنوا بطريقة تناسب دماغه.. كل حد بيلعب اللعبة بيشوف أرض مختلفة.. الشبه بينهم.. إنه بيقابل فيها قدره اللي بيهرب منه..

- أنا مش عارف أنا بهرب من إيه..

فابتسم وهو يرجع بظهره مؤكدًا:

- عشان كده قولتلك إنك مش مستعد..

- وأنا مش هكمل الطريق ده وأنا أعمى أنا لازم أفهم..

يزفر مراد ويصمت قليلًا قبل أن يجيبني:

- بتهرب من نفس الحاجة اللي كثير من البشر بيهربوا منها.. بتهرب من مشاكلك عيوبك نقط ضعفك.. اللعبة بتواجهك بيهم وبتديك نقط لما تتغلب عليهم..

أمسك العملة أرفعها بيننا وأقول:

- العملات دي هي النقط..

يومئ لي موافقًا ويكمل كلامي:

- وفي مكان في اللعبة بتقدر تجمع فيه النقط دي.. في حكاية أرضك إنت هو المغارة..

نعم المغارة حيث الأسطوانات ذات الضوء الأحمر.. سألت مراد:

- طب ليه بتمنعني إني أخلص اللعبة؟

- عشان إنت مش مستعد يا حسين.. إنت لسه محتاج تفضل في اللعبة ومحتاج الخيال.. وخصوصًا لو هتقابل حد جواه مش هتعرف تقابله ثاني في الحقيقة..

كان تلميحه واضحًا.. هو يقصد مقابلي لوالدي التي لا زلت أحتاجها.. نعم لا زلت أحتاج للخيال.. سألته عن المطلوب مني فأجاب:

- مطلوب منك إنك تكمل اللعبة ومتدخلش بس الأماكن اللي منعتك تدخلها.. لحد ما أسمحك وأشوف إنك تقدر فعلاً.. صدقني ده لمصلحتك..

كنت موافقًا على الكلام ولذا أنا هنا الآن في غرفة الشاشات..

أجلس على كرسي لعبة الـVR، أمسك النظارة..

“لأول مرة لا أكون مرتاحاً في خطواتي لأرض القدر..

قيود كثيرة تقيد حركتي.. قيود أشعر بها حول رقبتى..”

يقول مراد قبل أن أخفض النظارة على عيني:

- المعلومة اللي عايزك تفضل فاكرها إنك متدخلش الغابة..

أومئ له برأسي نعم، ولكنني أردت بصوت خفيض لا يسمعه وأنا
أضع النظارة..

“العالم ده مش حقيقي..

العالم ده مش حقيقي..

العالم ده مش حقيقي”

..1 ..2 ..3

(29)

على أطراف الغابة وقت المغيب أفقت من غيبوبتي وكان حولي
كل من مارو وندي التي قالت:

- هو موضوع الغيبوبة ده مش كنا خلصنا منه إيه اللي حصل؟
أنظر حولي لقد كنا في نفس مكاننا قبل أن نتحرك ونصل للنقطة
صفر.. أسألهم:

- هو إحنا وصلنا هنا إزاي؟

- مالك يا س؟ مش إحنا اتفقنا هنتقابل هنا عشان ندخل الغابة
عشان النقطة صفر اللي قولنا هنروحها والشمس بتغيب!!

هل كنت أحلم؟؟ كيف يكون الحلم حقيقي لهذه الدرجة؟؟ أنا
أذكر مسيرنا ووصولنا وإيجادنا لهذا الغطاء الذي تقع أسفله الغرفة،
والعراف.. لقد لمس رأسي وفجأة أصبحت هنا.. وهناك صوت يتردد
في رأسي.. يقول مارو عندما يراني مصرًا على أن الموقف يتكرر:
- ده الموضوع قلب بهلوسة..

وكانت ندي مصرة أنني في حاجة للذهاب للمستشفى.. ولكنني
كنت أعرف من أحتاج فعلًا..

جلست أمام العم نصر وأخبرته أنني لن أتركه هذه المرة حتى
أفهم.. فرد ببراءة:

- وأنا في مرة مشيتك من غير ما أفهمك!

- آه.. دايما بتقولي الإجابات ناقصة حته.. أنا عايز أفهم كل حاجة للآخر.

- وإيه اللي عايز تفهمه؟

فكرت قليلاً أحاول ترتيب الأحداث وأتذكر ما حدث فعلاً وأخبرته:

- أنا حلمت بحلم كأنه حقيقة بالضبط.. كأني عيشته.. مش كأنه أنا متأكد إنني عيشته.. وبعدها صحيت مفيش في دماغي غير معلومة واحدة.. إن العالم ده مش حقيقي..

عندما سمعني العم نصر تفاجأ وقام بسرعة يتسند الحائط لكي يغلق كل الشبابيك بسرعة.. لا أفهم ما يقلقه لهذه الدرجة فقلت:

- إنت خايف من إيه يا عم نصر؟ أنا المسؤول عن أمن الأرض.. محدش يقدر يعملنا حاجة دلوقت..

- مين اللي قال! الأرض نفسها ممكن تبقى ضدنا والعالم كلها ينهار..

لا أفهم كيف سينهار العالم وكيف أنه غير حقيقي.. ومما يخاف لهذه الدرجة.. صحت به أن يشرح لي فقال:

- الحقيقة مش سهلة..

فأمسكت به وقلت بقوة:

- وأنا لازم أعرفها..

في عالم الواقع كانت إشاراتي الخارجة من جهاز الـ VR جعلت مراد يعلم أنني أفعل شيئًا خاطئًا لا يدركه، ولذا طلب من مساعديه نظارة أخرى لكي يدخل إلى العالم الافتراضي..

ولذا كان العراف يسير متحركًا في القسم يحاول رجال الأمن إيقافه فيفرقع بإصبعه فيتصنمون.. ويذهب إلى الزنزانة يفرقع بإصبعه فينفتح القفل.. يرفع خفاجة عينه لأعلى مرتعّبًا مما يراه.. يفرقع مراد بإصبعه ليتحول خفاجة إلى آلة في يده.. ويقترّب العراف من أذنه يقول له:

- إوعى يدخل الغابة مهما كان..

فيتحرك خفاجة لتنفيذ الأمر..

في نفس الوقت كنت لازلت ممسكًا بالعم نصر كأنه عدوي الآن.. ولكنه وضع يده على يدي لأركز للحظة وأدرك فداحة ما أفعله فأخفّضها.. ثم يقول لي:

- أنا قولتلك حلّها من أول يوم.. رجع العملات مكانها.. ساعتها ممكن تقدر تفهم السؤال الصعب.. هو إنت تقدر؟ كل مرة بتتشئت عن الطريق اللي قولتھولك.. دي آخر فرصة ليك..

وفجأة جاءت الطرقات قوية على الباب.. وقبل أن ندركها انكسر الباب وظهر خفاجة يحمل سلاحه ويطلق عددًا من الرصاصات نحوي دون تفاهم.. وبكل سرعة ألقيت نفسي خلف تلك الأريكة وجريت منتنيًا بسرعة إلى غرفة داخلية، وأنا أخرج مسدسي أبادله الإطلاق.

يقف نصر أمام ابنه ويقول:

- محدش في الدنيا دي هيقفلك غيري..

ويقول عم نصر بصوت أعلى:

- اهرب يا حسين..

بينما خفاجة يصيح في والده وكأنه مجرم لم يعرفه أبدًا:

- لو ماتحركتش من قدامي هقتلك..

يصيح في عم نصر مرة أخرى بأن اهرب.. ولذا أقفز من هذا الشباك بسرعة وأجري مبتعدًا عن بيته وأسمع خلفي صوت الرصاصات..

هل قتل عم نصر؟ هل قتل والده؟

من بين حزني وعدم تصديقي.. لم أقرر أبدًا أن أتوقف.. جريت نحو الغابة.. أصوات الأغصان تتكسر تحت قدمي أصوات أنفاسي المتسارعة صوت صدى الرصاص.. سميفونية عظيمة لا تخلق إلا التوتر أكثر..

وأنا أجري أجد العراف يجلس على شجرة مكسورة عن يميني ويقول:

- قولتك ما تدخلش هنا..

لا أسمع كلامه وأجري فأجده يقف عن يساري وهو يكمل جملته:

- اسمع الكلام..

أصوات رصاصات خفاجة تخترق الأشجار حولي سيصل لي.. أجد

العراف يقف أمامي وهو يكمل كلامه:

- خفاجة هيقتلك.. لو رجعت هنقذك..

لن أتوقف سأصل للحقيقة سأفهم ما الذي يعنيه أن العالم غير حقيقي.. وأسد أذني وأكمل جري مغمضًا عيني فأخترقه وأنا أقول:

- أنا مش هسمع كلامك.. مش هسمع كلامك..

و..

نزع مراد النظارة عن عيني.. أنفاسي متعالية جدًا ولساني جاف تمامًا أشرب وأسأله ببعض الغضب لماذا أخرجني.. فيجيب:

- عشان مابتسمعش الكلام. أنا طلبي كان واضح.. قولتك عايز تفضل فاكر إنك ماتدخلش الغابة..

فأجبت به بصدق:

- وأنا جوه اللعبة مفكرتش..

- وده معناه إن كان في معلومة تانية هي اللي عايز تفتكرها.. إنت هتخليني أرجع في كل اتفاقاتي معاك.. ولا اللي اتفقنا عليه مش مهم بالنسبة لك؟

ويلمح بنظرة عينه مجددًا لموضوع أن أقابل والدتي مجددًا.. فأرد:

- مهم.. بس أنا محتاجك تديني سبب حقيقي.. ليه إنت مش عايزني أكمل اللعبة؟

فيقول بصرامة لا تحمل أي فرصة للنقاش:

- من غير أسباب يا حسين.. العرض اللي قدمتهولك واضح تسمع كلامي وتنفذ اللي بقولك عليه.. هخليك تقابل مامتك.. هديلك الفلوس اللي إنت عايزها.. لو عايز تكمل كل حياتك جوه الواقع الافتراضي وتنسى الواقع هديلك الفرصة دي..

أبتلع ريقى وأهدأ وأطلب أن أذهب لأغسل وجهي..

وفي الحمام جلست فوق قاعدة التواليت وأخرجت موبايلي لأرسل لجبر رسالة تتكون من كلمة واحدة (أتحرك).

تحرك جبر مع عدد من الرجال بالسيارة التي قمنا بها بعملية السرقة..

وهي الفترة التي استغلها خفاجة ليستطيع فك قيده والهرب من الشباك العلوي لخارج المخزن.. وبدخله نية الانتقام، فذهب لأفضل من يقوم بها بدلاً عنه.. المعلم القط.. يقف خفاجة أمامه ويقول:

- أول ما سمعت إن العيال دي عندها مشكلة معاك جيت أسلمهمو ملك يا كبير.. أنا سمعتهم بيقلولوا رايعين عند شركة اسمها.. أأ.. سوشيال باين.. في حوار وقصة ليها علاقة بجهاز شكله مهم يا معلم..

في نفس الوقت كنت قد فتحت حقيبة الملابس وأخرجت ما أخفيته داخلها وهو عددٌ من الشماريخ التي جهزها لي جبر بخلطته السرية التي تحولها لقنبلة غاز.. أوصلتهم بشريط اشتعال سيأخذ وقته حتى يصل لهدفه..

وأشعلته..

لم يتبقَّ الكثير من الوقت قبل أن تبدأ الحفلة الجديدة.. ولدي طلب
أخير قلت لمراد:

- أنا هنفذ كلامك. بس ليا طلب.. أنا محتاج تخليني أتأكد إنني
ممکن فعلاً أقابل ماما.

لو هناك فرصة أخيرة لأراها سأفعل.. ييتسم لي مراد ويقول:

- بس خلي بالك التجربة هتكون مختلفة.. دي أول مرة هتدخل
أرض القدر بشخصيتك الحقيقية..

أضع النظارة على عيني و.. 3.. 2.. 1..

فجأة وجدت نفس أقف عند شاطئ البحيرة.. أنا هنا في أرض
القدر بنفسي وبملابس الكول سنتر المعتادة أنظر ليدي لا أصدق..
كان شعورًا مختلفًا عن كل مرة فلأول مرة أكون هنا وأكون مدرگا
مَن أنا بالفعل..

رفعت عيني فوجدتها أمامي..

هذا ظهرها الذي أعرفه وكانت بدون حجابها كما اعتدت أن أراها
في المنزل.. اقتربت منها بلهفة أنادي عليها لم ترد حتى وصلت
عندها فسألتها:

- مبترديش عليا ليه؟

- حسين.. عامل إيه يا حبيبي.. وحشتني..

عندما التفتت لي ورأيتها لم تتماسك دمعاتي.. هي هنا فرددت:

- وأنتِ وحشتيني قوي يا حبيبتي.. الدنيا من غيرك مبقاش ليها معنى.

- من غيري إزاي بس يا حبيبي أنا موجودة أهو.. وبعدين إيه الشياكة والحلاوة دي..

- القرد في عين أمه بقى..

تضربني على وجهي ضربة خفيفة كما كانت عندما تعاقبني بمزاح.. سألتها:

- فاكدة مين اللي جابلي القميص ده؟

تنظر لي فأكمل:

- أنا يا حبيبتي، إنتي عارفة إني بحب أشتري هدومي..

- عارفة يا حبيبي..

أبتسم بمرارة فقد كان سؤالي في الأساس فخًا.. فأقول:

- مش حقيقي يا ماما.. أنا عمري ما حببت أقف في محل هدوم،

وإنت اللي دايماً كنت بتشتريلي الهدوم اللي عايزها.. للأسف إنتي مش هي.. إنتي مش ماما..

تنظر لي كأنها لا تفهم ما أقول.. فأصيح فيها:

- إنتي مش حقيقية..

مع نهاية كلماتي رأيت والدتي تتناثر أمامي تدريجيًا تتحول إلى
أرقام 1 و0

هذه النسخة الكاذبة كانت تتناثر أرقامًا تتطاير في الهواء..

وفي نفس الوقت كانت الشماريخ قامت بواجبها.. امتلأ المكان
بالدخان وانطلقت أجهزة الإنذار في شركة سوشيال يبحثون عن
مصدرها.. وهي نفس اللحظة التي يدخل جبر ورجاله يرتدون
الأقنعة التي تحميهم من الغاز ويحملون الأسلحة ويسيطرون على
المبنى حتى يصلوا للغرفة التي أنا فيها..

ويقوم جبر بتوجيه السلاح نحو مراد ومساعديه وهو يقول:

- كله يعبت مكانه.. اللعبة خلصت خلاص..

كل هذا يدور حولي أما أنا فقد كنت في العالم الافتراضي أنظر
للأرقام التي تتطاير في الهواء..

(30)

كان الدخان يغطي المكان وهو ما كان مفاجأة لرجال الأمن في شركة سوشيال ولذلك لم يستطيعوا أن يقاوموا رجال جبر.. وكل من حاول أن يعترض لهم تم التعامل معه..

أما مراد ومساعدوه فقد وقعوا أرضًا من الاختناق يسعلون فقد استوصى جبر وهو يصنع هذه الشماريخ.. جذب جبر النظارة عن عيني ووضع القناع على وجهي.. يصيح جبر في رجاله:

- يلا يا رجاله.. عايز دقيقة نبقي بره..

كانت رثتي ملتهبة ولا أستطيع أن آخذ نفسي وظللت أسعل ولكنه أمسك بي ووجهني لطريق الخروج بينما رجاله يحملون الجهاز.. يحاول مراد الإمساك بهم ولكنه لا يقوى..

نصل للخارج مما يعطيني فرصة أخيرًا لأستنشق هواء طازجًا ليعيد لرثتي الحياة.. يدخل جبر لحقيبة السيارة ويعاونه (حادثة) ليستقبل الجهاز من الرجال.. ثم يجذب جبر يدي لأدخل في حقيبة السيارة أنا الآخر..

في نفس اللحظة وجدنا أمامنا المعلم قط ورجال الذين أتوا في موتوسيكلات وتكاتك حول سيارة المعلم.. فقد جاء لشعوره أن هناك مصلحة كبيرة تخص هذا الجهاز ويريده هو الآخر.. وكان جواره يجلس خفاجة..

أول ما رأنا رجال القط أطلقوا الرصاص نحونا.. يطرق جبر بيده على السيارة من الداخل ليتحرك السائق من المكان.. ثم نتعاون أنا

وهو بسرعة لقفل السيارة علينا من الداخل.. ثم سألته:

- نقدر نهرب منهم قَد إيه؟

- بص العقل بيقول ريع ساعة.. بس اللي إنت عايزه يا زمولي هيكون.. قولي إنت ناوي على إيه؟

- أنا عايزك تهرب منهم على قد ما تقدر.. في مهمة ورايا لازم أخلصها.

- وأنا هعرف إزاي إنك خلصت ولا إنت هتعرفني؟

فكرت ونظرت تجاه اللعبة ثم أجبتة:

- عشان كده بقولك على قَد ما تقدر.. انا برضو معرفش.. تعبتك يا صاحبي بس دي آخر مرة..

يبتسم لي جبر وهو يربت على كتفي بمعنى لا تقلق.. فأتحرك بسرعة نحو اللعبة لأوصل توصيلاتها بمولد طلبت من جبر إحضاره ثم أجلس مكاني أمسك النظارة..

سأدخل اللعبة وأنا داخل السيارة بينما خلفي كل من مراد والمعلم القط وخفاجة لأنني أحمل هدفًا واحدًا أردده على لساني الآن..

“أنا جوه لعبة ولازم أخلصها..

أنا جوه لعبة ولازم أخلصها..

أنا جوه لعبة ولازم أخلصها..”

1 ..2 ..3

حين فتحت عيني في أرض القدر لم أستوعب ما أراه.. كنت طائرًا
في الهواء.. يصطدم الهواء بوجهي بينما أسقط سقوط حُرًا سريعًا
نحو الأرض واصطدمت بها بقوة..

لحظات مرت بعد الاصطدام شعرت أنني مَثٌ ولكنني لم أمت.. لا
زلت قادرًا على أخذ أنفاسي والاستناد بيدي حتى أقف.. أنظر حولي
كيف أرى كل الأماكن في نفس اللحظة..

الغابة والبحيرة والقسم وشوارع أرض القدر كلها حولي في نفس
الحين.. أصوات كثيرة مختلطة حولي..

هناك صوت واحد أثق به يقول:

“أنا جوه لعبة ولازم أخلصها..”

أتمسك به فهذا صوتي.. أركز وأسد أذني وأجري نحو الغابة.. لا
أذكر مما أجري، ولكنني كنت أشعر أنني يجب أن أنجز مهمتي هنا
سريعًا.. تظهر ندى أمامي وتقول لي:

- حسين أنا ندى حبيبتك.. أرجوك أرجوك متدخلش جوه.

ويقترّب منها مارو ليقول لي:

- وأنا صاحبك يا س اللي عايز مصلحتك.. الغابة خطر عليك.

فأردّ عليهم:

- لو بتحبوني بجد سيبوني أكمل متقفوش قصادي.

- طب إحنا هنتحرك معاك.

قالتها ندى وهي تتمسك بي وتنظر لي نظرتها التي لا أستطيع أن أرفض لها طلب بعدها.. ولكنني رددت:

- أنا لازم أكون لوحدي..

وأكمل جريي بسرعة.. أجد عم نصر قادمًا من جانب ويقول لي:

- أخيرًا قررت تسمع لصوت نفسك؟

أومئ له بأن نعم دون أن أتوقف وأكمل جريي.. يظهر فريد الطفل على الجانب الآخر ويقول لي:

- شكرًا إنك أنقذتني يا س...

لا أتوقف.. تظهر والدتي تقول لي بنبرة حزينة:

- أنا زعلانة إنك مكنتش معايا..

تسقط دمعة من عيني وأسف ينفلت من شفاهي ولكني لم أتوقف.. وتظهر هند العسال بمظهرها الفجري من أحد الجوانب وهي ترتل ترنيمة تقول:

"إنت البطل وإنت عدوّه.. إنت النور وإنت الظلمة"

وأمام عيني كان يظهر مكان في الغابة مختلف عمًا حوله.. مدخل بين الأشجار باطنه الظلام.. ومن خلفي كانت أصوات طلقات الرصاص ألتفت لأجد خفاجة وحوله مجموعة من رجال الأمن يقول لي:

- إوعى تدخل هنا.. دي منطقة الغراب الحقيقي.. اقف يا حسين.
لكني لا أستمع لكلامه وأدخل..

منذ أن دخلت اختفت كل الاصوات وأصبح نعيق الغربان هو الصوت السائد.. نظرت للأشجار حولي التي كانت يختفي لونها وتتحول للسواد.. ألتفت حولي وأنادي:

- إنت فين؟ أنا مش خايف منك.. اظهرلي لو إنت حقيقي مش مجرد حكاية..

- أنا هنا..

سمعت صوته والذي كان بين صوت البشر ونعيق الغربان فالتفت تجاهه.. الآن أصبح الفرق بين الغراب الحقيقي والغربان المزيفة واضحا..

فالغراب الحقيقي أكبر حجما مئا.. كما أن لديه جناحين وعينه تضيء بلون أبيض.. كان قاتما شكلا وروحا تشعر به يؤثر على أنفاسك.. قلت:

- أخيرًا.. ده أنا من زمان وعازب أقابلك.

- غريبة.. مع إن دي ممكن تكون آخر مقابلة في حياتك.

- مش مهم.. المهم إن الواحد قبل ما يموت يواجه أي حاجة بيخاف منها..

أتأمل ريشه الأسود اللامع بينما يسألني بصوته الغريب:

- وإنت مبقتش خايف مني؟

- لأ.. وعائز أعرف إنت إيه حكايتك بالضبط.. إيه سبب وجودك
وبتأذي أهل القرية ليه؟

- كل أسئلتك إجابتها واحدة..

كلي شوق لمعرفة تلك الإجابة.. يتأنى قبل أن يقول:

- بسببك..

طلبت من إنه يوضح أكثر فقال:

- في حاجات الأحسن تفضل مش مفهومة..

- وأنا زهقت من الإجابات دي..

أنت تعرف أنني لن أقبل أنصاف الإجابات الآن.. ولذا قفزت تجاهه
أتقاتل معه.. كان سريعًا بشكل لا يوصف.. يتحرك بسرعة كأنه اختفى
من أمامي في لحظة، ويوجه لي لكمة في جانبي فتؤلمني بشدة..

كان هذا يتزامن مع مطاردة سيارة شركة سوشيال والمعلم القط
في العالم الواقعي.. تتحرك السيارة اليمنى ويسرى وهو ما جعل العالم
الافتراضي نفسه يموج بي..

أمسكت قليلًا من التراب في يدي ثم قمت لأقاتل الغراب
واستغللت الفرصة لألقي التراب في عينه ثم أجمو على صدره
وأتمسك به بقوة فيقول لي:

- بتهاجم الغراب! اتغيرت قوي يا حسين عن أول ما جيت أرض

القدر..

- أنا مش بس بهاجمك أنا هغلبك..

أقولها وأنا أسحب السيف أطعنه في قدمه فيصرخ.. ثم أرفع السيف أقربه لأطعنه في ذراعه يحاول إبعاد يدي ولكني أضغط.. وأضغط.. حتى ينفذ مخترقًا ذراعه والأرض من أسفله يصرخ من الألم، ولكن يجبر على أن يلتصق في مكانه أمسك قناعه فيقول:

- متشيلش القناع ده يا حسين.. اللي وراه مش هيبسطك.

في الحقيقة لا يعلم أحد ما يسعدني.. ما سيسعدني أن أصل للحقيقة..

وعندما نزعت القناع وجدته..

هو..

نسختي ذات القميص الأبيض.. نزعت السيف منه ووضعت على رقبته سأذبحه لو لم يجبني :

- المرة دي مش هسيبك.. ومفيش مجال للهروب..إلا لما أعرف إنت مين ومتقوليش إنا إحنا واحد والكلام اللي ميدخلش الدماغ ده..

فيرد بصوت متألم:

- أعمل فيك إيه طيب وإنت مش عايز تصدق الحقيقة..

أقرب السيف من رقبته أكثر فيقول:

- اسألني سؤال واضح عشان أعرف أقولك إجابة واضحة..

أفكر ثم أسأله:

- أنت مين؟؟

- بتسأل غلط.. بتسأل من القريب اسأل من البعيد الأول..

أفكر مجددًا ثم أسأله:

- إيه الأرض اللي إحنا فيها دي.. أنا عارف إني جوه لعبة.. مش فاهم يعني إيه بس عارف إن دي لعبة..

يضحك الغراب ثم يقول:

- عادي ما الحياة لعبة.. والحب لعبة.. والنجاح لعبة..

أضغط بسيفي أكثر حتى تبدأ الدماء تنسال وأنا أقول:

- وأنا ما بلعبش معاك.

كنت على وشك أن أقتله بلا مزاح بلا تردد ولذلك بدأ يتكلم:

- الأرض دي هي إنت.. كل الناس اللي كنت تعرفهم من عالم ثاني غير ده.. ده مش العالم الحقيقي.. إنت جوه لعبة فعلاً.. كل الناس دي وكل اللي حصل كان الغرض منه إنك تعرف حاجات عن نفسك وتتغلب على نقط ضعفك..

ضغط أكثر بمعنى أشرح أكثر فيكمل:

- زي إنك تقف قصاد خفاجة.. تلاقي الطفل اللي جواك وتحافظ عليه.. تعبر عن مشاعرك.. تعرف إنك مش ضحية.. إنك تقدر تكون صاحب وناس تقبلك زي ما إنت.. إنك تقبل بالقدر.. إنك مبقتش

تسمع الناس..

كان كلامه يعيد لي فلاشات من كل ما مررت به لكمتي لخفاجة في القسم.. إنقاذي لفريد.. وأنا أخبر ندى بحبي عند البحيرة.. المحاكمة.. مارو.. تناثر والدتي.. وعم نصر يخبرني ألا أتشتت.. ثم أكمل الغراب:
- مش كل النقط خدت بالك إنها مكسب.. بس العملات كانت بتزيد في جيبك.

أضع يدي على جيبني لأتفاجأ أن به الكثير من العملات.. وأقول:
- والعملات دي لازم أوصلها لمكانها..
فيقول الغراب برجاء:

- بس ساعتها اللي هيحصل مش هيكون خير زي ما إنت فاهم..
العالم اللي تعرفه ده كله هيختفي.. وهيظهر عالم غريب.. مش هتقدر تستحمله.. صدقني.. صدقني.

في نفس الوقت في الخارج كانت سيارة المعلم القط ورجاله بالموتوسيكلات والتكاتك يقتربون من سيارة النقل.. وخرج خفاجة من الشباك وبمسدسه أصاب إطارات السيارة ليَجبرها على التوقف..
فيشد جبر أجزاء السلاح ينتظر من سيأتي مستعدًا للتضحية بنفسه من أجل أن يحميني.. ومن أجل أنه صدق بأهمية ما أفعله الآن لي..
وقفت أتأمل الغراب الملقى أرضًا.. وقد فهمت فقلت:

- أنا عرفت إنت مين؟

بيتسم ويقول:

- أنا أنت..

- لآ.. إنت الجزء المضلم اللي جوايا.. إنت الخوف.. الخوف من الناس.. الخوف من الماضي.. الخوف من المستقبل.. إنت أكثر حاجة لازم أخلص منها.. مش هتعطلني ثاني..

يقول بتهديد باطنه الرجاء:

- حسين مش هتعرف تعيش من غيري..

- على الأقل هعرف أعيش..

واستللت سيفي وقمت بغرزه في قلبه ليصرخ صرخته الأخيرة لتطير الغربان على الأشجار مبتعدة.. وأردد:

"أنا جوه لعبة ولازم أخلصها"

أعود للجري متوجها نحو المغارة.. يظهر لي العراف يحاول أن يثنيني:

- قولتك اخرج من الغابة.

أكمل بحثي وجريي.. يظهر لي مجدداً:

- إنت مش عارف إنت بتعمل إيه.

أبعد وجهي عنه وأكمل جريي.. يقابني في الطريق:

- العالم ده كله هينهار.

لا أتوقف.. يلاحقني:

- هتندم يا حسين..

- سيبنى.. أنا هندم فعلاً لو فضلت عايش في وهم..

وأكمل جري حتى أصل للمغارة أدخلها وأضع تلك العملات في
الأسطوانات.. كل أسطوانة عملة بسرعة.. أتذكر كل ما مررت به من
أول حكايتي في هذه الأرض حتى نهايتها..

وخارج الشاحنة كان رجال سوشيال والمعلم القط وصلوا لاتفاق..
فيقوم رجال القط بتوصيل الصاروخ ببطارية السيارة ويقوموا بفتح
الشاحنة.. تباً لهم يحملون الصاروخ في كل مكان..

الشرر كان يتطاير وكان يراهم جبر.. أطلق عددًا من الرصاصات
ليوقفهم ولكنهم لم يتوقفوا.. بل أطلقوا عددًا من الرصاصات نحوه..
فيحمني بجسده لكيلا أصاب فتأتي رصاصة في صدره.. ونسقط
أرضًا ولكنه يحافظ على أن تبقى النظارة على عيني رغم أن الحياة
بدأت تنسحب منه..

أما أنا في أرض القدر فقد اهتزت الأرض بقوة من أسفلي بينما
أضع العملة قبل الأخيرة.. أمد يدي لأضع الأخيرة.. سأصل لها..

رجال الشركة والمعلم القط ومعهم خفاجة يفتحون الشاحنة
وسيصلون لي حالاً وسيفسدون كل شيء..

أمد يدي و..

أضع العملة الأخيرة..

وفجأة سطع ضوء قوي في المكان حتى تحوّل كل مجال رؤيتي
للأبيض..

(0)

فتحت عيني بقوة بفعل الضوء ونظرت حولي.. لم أكن في السيارة.. أنا في غرفة راقية كأنها غرفة معمل.. ونظرت حولي فوجدت مراد قد خلع عني النظارة ويبتسم ويقول:

- حمدا لله ع السلامة..

ما الذي يدور هنا.. أذني بدأت تهدأ كأن هناك طنينًا مزعجًا استمر لفترة ثم انطفأ أخيرًا.. أحاول القيام ولكن قدمي لا تحملني.. أحد مساعدي مراد يناوله تقريرًا قد طبع للتو.. ينظر مراد لمحاولاتي للقيام ويقول:

- ممكن تهدأ مش صح إنك تقف على رجلك بسرعة كده..

- إزاي وصلنا لهذا؟

يبتسم مراد وهو يطبع على التقرير ويعطيه لمساعدته:

- كل حاجة هتكون واضحة دلوقتي ممكن تهدأ..

لن أهدأ.. أتحامل على جسدي لأحاول القيام وأصرخ فيه:

- إزاي.. إنت عملت فيا إيه؟!!

ولكنني أسقط أرضاً، ويدخل طاقم من التمريض يلتفون حولي.. أحاول أن أبعدهم عني ولكنني لا أستطيع بينما أحدهم يمسك يدي ويدفع المهدئ خلالها، وآخر ما سمعته كان مراد وهو يربت على يدي:

- ما تخافش..

عندما أفقت وجدتهم قد غيروا ملابسهم لملابس مريحة أكثر..
وكنت في غرفة تطل على تلك الحديقة الخضراء كانت الشمس
تحرق عيني كأنني لم أتعرض لها منذ أيام.. وكان مساعد مراد يقوم
بوضع بضخ بعض الأدوية في المحلول.. كنت أنظر له بقلق ولاحظ
مراد ذلك فقال:

- مستغرب إزاي المساعد بتاعي بقى دكتور؟

- ده أسهل سؤال أظن ممكن تجاوبني عليه..

فبيتسم مراد مجددًا.. كيف ابتسامته لم تعد شيطانية كما كانت
ويقول:

- صح.. طه دكتور في العالم ده.. بس في العالم الافتراضي خليته
المساعد بتاعي..

- أنا مشفتوش في العالم الافتراضي أصلًا..

- أنهى عالم افتراضي فيهم؟

يميل بجسده للإمام وكأنه يحاول أن يوصل شيئًا محددًا لي:

- اللي هقوله لك دلوقتي صعب تصدقه بس هو الحقيقة اللي لازم
تعرفها.. هو إنت فاكرا اسم اللعبة كان إيه؟

- worst case scenario.. أو أسوأ احتمال ممكن..

- وتفتكر أيه أسوأ احتمال ممكن يكون حاصل دلوقتي؟

يقولها مراد مبتسما ولا أملك إجابة فيسألني سؤالاً آخر:

- إنت فاكّر إمتى أول مرة دخلت للعالم الافتراضي؟

أذكر وأقول نعم بكل ثقة.. فيوضح مراد كأنه يقول ما كنت سأقوله:

- لما زحت شركة سوشيال عشان تجربته بسبب دعوة للشركة اللي بتشتغل فيها.. وبعدها قررت تسرق الجهاز صح؟

فأكمل الجزء المهم الذي لم يقله:

- ومن ساعتها وإنت بتطاردني، وبعدها حاولت تخليني مكملش اللعبة..

فيهز مراد رأسه نافيًا:

- للأسف دي مش الحقيقة.. إنت في اللعبة هنا من قبل كده.. إنت هنا من ساعة ما اخترت (New Game)

كل اللي شفته من ساعتها كان عالم افتراضي..

يوضح أكثر:

- لا شركتك إدتك دعوة تجرب الجهاز ولا إنت سرقتة.. إنت شفت إعلان اللعبة.. وقدمت ضمن اللي عايزين يجربوها.. بعدها قابلناك ولقيناك متمسك جدًا تجربها بعد ما عرفت إن فكرتها بتعتمد على علاج مشاكل اللاعب النفسية وده الغرض منها عن طريق إن اللاعب يواجه أسوأ احتمالات.. ورغم مرحلة التجريب وافقت على كل

شروطنا.. يانك مينفعش تتكلم عن اللعبة أبدًا وإنك بتتحمل كل المسؤوليات..

فكرة اللعبة كانت قائمة على إننا نخلق ليك جوه العالم الافتراضي عالمين.. عالم شبه الواقع بتاعك بناءً على المعلومات اللي أدتهالنا وعالم جديد بتتنقل بينهم..

“أقف على عتبات الجنون أو ربما تجاوزتها..

عقلي لا يستوعب ولا أصدق ما سمعته..

ولا دليل على ما حدث إلا أنني قد عشته بالفعل..”

يحاول عقلي ترجمة ما قاله مراد وقد وصلت لي الفكرة من كلامه أن العالم الحقيقي الذي قابلت فيه جبر وسرقت الجهاز وتعاركنا مع القط كان مجرد عالم افتراضي آخر أنتقل منه لعالم افتراضي مختلف هو أرض القدر.. وهي العوالم التي بنيت بناءً على حكايتي لكي تعالجني..

ولكنها فكرة صعبة التصديق نظرت حولي وأنا أقول:

- الكلام ده أكيد مش حقيقي.. في خدعة بتحصل هنا..

ولكنه بيتسم ويقدم لي تلك الأوراق المذيلة بتوقيعي ويقول:

- ده خطك.. صدقني مفيش أي خدعة في اللي إنت سمعته..

أعتدل وأريد أن أفهم أكثر لأنني لا ينقصني إلا أن تطيل أذني لأكون حمازًا مع احترامي لمحبي الحيوانات:

- طب ليه!! إيه الفكرة وليه كنت بتحاول توقفي جوه اللعبة؟

- لسببين.. السبب الأول.. إنك لما تحل مشاكلك جوه أرض القدر وترجع تجربها في العالم الواقعي الافتراضي ده بيديك ثقة في اختيارك وبيأكد على حلها.. والسبب الثاني والأهم إنني أكون متأكد 100% إنك عايز تتغير وعايز تعرف حقيقة نفسك ومصمم تعمل ده مهما كان اللي بيوقفك..

يصمت للحظة ويقول مهنًا:

- دلوقتي أقدر أقولك إن كل مشاكلك اتحلت..

كم بقيت داخل اللعبة سألته فأجاب:

- أسبوع.. متقلقش أنت في الشغل مقدم على أجازة، وفي البيت مبلغهم إنك في سفرة شغل..

أذكر أهم شخص في الحياة سألته:

- يعني ماما لسه عايشة؟

يومي لي مراد نعم ويقول:

- هتلاقي حاجات كتيرة في العالم الحقيقي مختلفة عن العالم اللي عِشته.. الذاكرة هترجعك بالتدريج.. إنت هنا في الحقيقة الكاملة.. مبروك يا حسين إنت بره اللعبة..

لا أعلم لماذا أحبته في هذه اللحظة حتى إنني وقفت من مكاني لأحتضنه..

ركبت الأتوبيس في عودتي ولأول مرة لا أسند رأسي على الزجاج.. كنت سعيدًا بتأمل الناس والحياة كأنني أفعل هذا لأول

مرة..

أمشي في شوارع منطقة عابدين باديًا عليا السعادة وألقي السلام
على كل من أمر به.. بينما كلمات مراد الأخيرة تتردد في رأسي:

- أنت متلخبط دلوقتي.. بس الذاكرة هتبدأ تبقى أحسن بالتدريج..
وأكيد هنتابع معاك طول الفترة الجاية

لحد ما نتأكد إن مفيش أي مشاكل أو أعراض..

“رغم أنني اعتدت العالم الافتراضي..

إلا أن سعادتي لا توصف بالعودة للعالم الحقيقي”

عندما فتحت أُمي الباب حضنتها بشدة حتى اشتممت رائحتها
التي أفتقدُها وأنا أقول لها:

- وحشتيني قوي..

تقوُس حاجباها في اندهاش وقالت:

- وإنْت قوي يا حبيبي.. بقالك كتير محضنتنيش كده يا واد.. شكل
السفر خلاني أوحشك بجد..

سألته عن صحتها فطمأنتني ولكني أردفت:

- بصي بقى كويسة مش كويسة.. اعلمي حسابك إحنا هنروح بكرة
المستشفى نتطمئن عليك..

- يا ابني وإيه لزوم المصاريف بس!

قاطعتها:

- إحنا هنعمل ده كل 6 شهور أنا وإنتي.. الصحة دي أهم حاجة لو مش موجودة مفيش حاجة تانية ليها لازمة.. إحنا هنخلي بالننا من نفسنا شوية.. متقوليش حاجة عشان اللي أنا عايزه اللي هيحصل..

اتسعت عينها متعجبة من طريقتي وهي تقول:

- ياسلام! ده إيه التغيير قرارات وكلامي هيمشي..

رغم تعجبها كانت سعيدة فهذه أول مرة منذ سنوات أقرّر شيئًا ثم أخبرتني أن أجهز بسرعة فالضيوف على وشك الوصول.. سألتها من هم فقالت:

- إنت نسييت! مش صاحبك ده اللي اسمه خفاجة جاي يتقدم لندى.. ما أنا قايلالك قبل ما تسافر..

- ندى!

شعرت بها قبل أن تتكلم كانت تقف ورائي عندما رأيتها اشتعلت كل مشاعري.. قالت بصوتها الذي يلقي سهامه في قلبي أفضل من أي لاعب أوليمبي:

- إزيك يا حسين.. كويس إنك جيت.. مكنتش حابة خفاجة يجي ومفيش راجل هنا.. أنا عارفة إنني تاعباكوا بس أنا مليش حد غيركوا..

تنهرها أمي عن هذا الكلام ولكني سألتها بوضوح:

- ندى.. هو إنتي عايزة خفاجة ده؟!

لم تجب إجابة صريحة ولكنها نظرت لأمي ثم قالت:

- الحياة تبقى صعبة لما تكون لوحداً.. وبتبقى أصعب لما تكون بنت لوحدها.. وخالتو بتقول إنه كويس..

- عايزاه؟؟

سؤالي واضح وأريد إجابة واضحة.. وقبل أن تجيب يأتي جرس الباب. فتحت ليظهر خفاجة يحمل علبة جاتوه من مخبز (عباد الرحمن) الموجود على أول شارعنا ويقول من خلف شواربه:

- إزيك يا حس عامل إيه؟

ويلمس وجهي كنوع من خفة الدم.. فأمسك يده بقوة وأخفضها:
- أنا مبحبش الهزار ده..

يرتفع واحد من حاجبيه متعجباً من طريقتي ويسألني:

- مالك يا ابني؟ إنت بقى دمك ثقيل كده ليه؟

- غالباً اتعديت منك..

- ما تهذا يا أبو النسب.. مش هتدخلني طيب!!

أقف أمامه وأقول كل ما يجب أن يقال من سنوات:

- لا مش هدخلك.. إنت أصلاً كان لازم تخرج من بدري.. من وإحنا صغيرين.. طول عمرك كنت بتحسدني.. بتبص للي في إيدي وتعمل المستحيل عشان تاخده لا عمري شفتك صاحب.. ولا عايزك في حياتي ولا هتاخذ ندى..

ارتبك خفاجة فهو لا يصدق أن حسين المسالم يكلمه بهذه الطريقة.. وحاول حفظ قليل من ماء وجهه أمام ندى التي تراقب من خلفي كل ما يحدث.. يبعدني ويأخذ خطوة للأمام وهو يقول:

- طب اتكلم معايا بطريقة أحسن بدل...

فأنظر نحوه بقوة وأضم يدي وأنا أقول:

- امشي من هنا... بدل ما هعتبرك بتتعدى على بيتي وأمد أيدي عليك..

ينظر خفاجة نحو قبضة يدي الجاهزة تمامًا للسلام على وجهه.. ويتراجع دون أن يقول كلمة.. أغلق الباب وألتفت لندى:

- أنا مش عارف إنتي عارفة ولا لأ.. بس أنا بحبك من وإحنا صغيرين وعايذ أتجوزك..

أنظر لوالدتي:

- أظن أنا عريس كويس..

تزغرد والدتي فرحًا وأحتضن ندى التي تقول لي:

- أنا مش مصدقة إنك قولتها..

تلطمني والدتي على وجهي لطمة خفيفة وهي تبعد ندى عن حضني:

- ده بعد كتب الكتاب..

اتفقنا أننا سنفعل ذلك في نهاية الأسبوع، وأخبرتني والدتي أن

جارنا الجديد الذي انتقل للعمارة منذ شهر سأل عليّ عندما غبت..
وطلبت أن أمر به..

ولذا أقف أمام شقته أرن الجرس حتى فتح.. وانقلت من بين
لساني:

- جبر!!

كان هو جبر ولكنه يرتدي قميصًا وبنطالًا وشكله ليس مجرمًا
محترقًا أبدًا بل على الأكثر مجرد محاسب.. تعجب الأستاذ جبر:

- جبر حاف!! طب راعي السن..

ابتسمت وأنا أقول له:

- أُمال لو قولتلك يا زمولي!

لا يفهم أي كلمة مما أقول.. اعتذرت له وأخبرني أنه لاحظ اختفائي
ولذا سأل عليّ.. أسأله:

- هو إحنا ما لحقناش نتعرف كويس صح؟

- صح.. أنا حسيتك منعزل شوية.. ومرضتش أقترح خصوصيتك..
لأن في مرحلة من حياتي كنت كده.. وكانت في أفكار سودا كثير
حواليا لحد ما قدرت أتجاوزها.. وعشان كده كنت قلقان عليك.. بس
حاسك أحسن بسم الله ما شاء الله..

الكل يلاحظ أنني متغير وأنا نفسي ألاحظ ذلك.. أخبرت جبر أو
بمعنى أصح الأستاذ جبر أننا سنتعرف لاحقًا، ولكن هناك مكانًا يجب
أن أزوره..

وصلت لشركة الكول سنتر ودخلت للأستاذ حازم الذي لا يصدق الورقة التي بين يديه، فيفتح النظارة الممغنطة ويقول:

- وانت مصمم على القرار ده؟

- فوق ما حضرتك متخيل.. أنا متأكد إن هنا مش مكاني وإني بكذب على نفسي كل يوم..

يضع الورقة أمامه، ويسألني:

- وقررت تعمل إيه لما تسيب الشركة؟

- لسه مقررتش بس أنا عايز أشتغل في حاجة بحبها.. مكان أحس فيه بنفسي.. أنا بحب اللعب..

لا يفهم مقصدي فأوضح له:

- بحب الجيمز.. ممكن أشتغل في تسويقها.. ممكن أدرس وأشتغل في برمجتها.. ممكن أبقى جيم ستريمر أعمل محتوى عن الألعاب..

- إنت شايف إن دي حاجة صح؟

- طالما بحبها وشاطر فيها تبقى الصح بتاعي.. أنا عايز أجرب.. حتى لو فشلت.. هتعلم من الدرس.. أنا مستقيل يا أستاذ حازم..

لم يكن مكاني أبدًا.. كان مكانًا يقتل أحلامي وأفكاري.. لا يمتد مستقبله حتى آخر الشارع..

وتحركت منصرفًا ولكنني في الممر قابلتها؛ فائزة التي تغير اتجاهها نحو المكان الذي غيرت اتجاهي له بالصدفة.. أعود فتغير لنفس الاتجاه.. فتصيح في بنظراتها التي تحمل قرف الأرض فوق

أعناقها:

- أستاذ حسين.. أنا كنت ارتحت من حركاتك دي وإنت في الأجازة.

بهدوء سألتها:

- حركات إيه؟

- الحركات الغريبة اللي..

أقاطعها.. لا مجال لأن أسمع هذه الترهات مجددًا فقلت لها بهدوء صارم لتسمع:

- الحركات الغريبة دي اللي حضرتك بتعملوها.. أنا عارف اللي هقوله صادم ليكي.. بس صدقيني أنا مش مهتم بيكي خالص.. الطريقة واسعة اتفضلي.. وحلي مشاكلك.. عشان طريقتك هتخلي كل الناس تبعد عنك.. وعلى فكرة غسول الوش مش حرام.. نضفي وشك وقلبك..

لم أقف لأسمع باقي كلامها ولكن أقسم إنني سمعت كوب قهوتها يصطدم بالأرض وقد سقط من يدها..

خرجت من هناك متوجهًا لشخص يجب أن أزوره.. الشخص الوحيد الذي أجد نفسي عنده عندما أضل.. هند العسال.. المحفور اسمها على هذه الرخامة أمامي.. أقول:

- عارفة يا هند.. إنتي كنتي أجدع صاحبة في الدنيا دي كلها.. وقفتي جانبي كثير قوي.. وياما نصحتيني بس مكنتش فاهم..

دلوقتي فهمت يا هند كل حاجة كلمتييني عنها.. أنا بقيت أحسن..
وأتمنى تكوني في مكان أحسن.. أنا جاي أعرفك أنا وصلت لإيه..

الرخامة محفور عليها تاريخ وفاة هند قبل عام مضى واحد من
الأحداث التي لم أتقبلها وقتها.. أقرأ لها الفاتحة وأرحل من المقابر..

أسير في الشوارع فرحاً وأنا أشعر بأن الحياة اختلفت تمامًا..
والحق أنها لم تختلف، ولكن أنا والعين التي أرى بها الحياة نفسها من
تغيروا.. أتذكر آخر كلماتي لهند أخبرها بما وصلت له..

”توصلت إلى أن اللعبة لن تكون حياة أبدًا.. وأن الحياة هي اللعبة
نفسها..

وأنا قررت أن أعبها للنهاية وأفوز بها.. في العالم الحقيقي..

وليس الافتراضي..”

- النهاية -

يقترّب مساعد مراد منه ويقول له:

- اللعبة الجديدة بقت جاهزة أخيرًا.. وجهزنا قائمة لمجموعة ممكن
نجربها عليهم.. تحب حضرك نتواصل مع مين؟

يفكر مراد قليلًا وينظر للملف الذي أمامه ويبتسم.. ملف عليه
صورة واسم (حسين الشوربجي)..

أنفاس هادئة تعبر إلى صدري دون أن ألحظها، وأنا أراجع في
رأسي القرار الذي اتخذته.. أغمض عيني للحظة وأنا أعيد حساباتي
مرة أخيرة.. ثم أفتح عيني وأختار..



يسعدني معرفة رأيك

